الأعمال الشعرية الكاملة

الشاعر العربي المناضل « مظفر النواب »

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الأعمال الشعرية الكاملة

الشاعر العربي المناضل مظفر النواب

إخراج فني : مركز الصفا للكمبيوتر

* رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٤٣٨٥٧

الطبعة الأولى

٢٠٠٩م

مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم خلف بنك فيصل الرئيسي

شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

ت : ٢٧٨٧٧٥٧٤ م : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٤٠٤٦



شاعر الغربة والترحال

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة وتقديم

سمير إبراهيم بسيوني

الناشر

مكتبة جزيرة الورد



مظفر النواب

شاعر الوطنية العربية

الشاعر مظفر عبد المجيد النواب تعود أصوله إلى الجزيرة العربية وهاجر أجداده إلى الشمال ، واستقروا فى بغداد . ويرجع نسبه إلى موسى بن جعفر الكاظم . والذى مات غيلة بالسم فى عهد الخليفة هارون الرشيد ، فهاجرت الأسرة إلى الهند حيث استقرت فى المقاطعات الشمالية منها [البنجاب ـ لكناؤ ـ كشمير] ، ولمكانتهم وصل بهم الأمر أن تولوا الحكم فى هذه الولايات .

وحدث أنْ تعرضت الهند للاحتلال الإنجليزى . وكان لعائلة الشاعر دورٌ كبير فى مقاومة المستعمر الإنجليزى . وعندما تعرضت الثورة الهندية للفشل أبدى المستعمرون عدم ارتياحهم لهذه الأسرة وقرروا إخراجها من الهند . فارتحلت إلى العراق ومعها ثروتها .

ولد مظفر النواب فى جانب الكرخ ببغداد عام ١٩٣٤ فى أسرة ثرية أرستقراطية . متذوقة للفنون والأدب . وظهرت موهبته الشعرية مبكرا ولما يبلغ التاسعة من عمره ، وكان لأستاذه الفضل فى تشجيعه ومداومته على قرض الشعر ، وما إن بلغ من العمر اثنى عشر عاما حتى كان ينشر شعره فى الصحافة المدرسية .

ما إن ينهى شاعرنا دراسته الثانوية حتى تتعرض الأسرة لنكسة مالية ففقد ثروته ، والقصر الكبير الذى كان يجمع الأسرة ، وعلى الرغم من ذلك ، والظروف الاقتصادية الصعبة ، يستكمل الشاعر دراسته فى كلية

الآداب .

وحدث أن تقوّض النـظام الملكى فى العراق بقيـام الثورة عام ١٩٥٨ وشغل « مظفـر » وظيفة « مفـتشًا فنـيًّـا » . ومن خـلال ممارسته لـهذه الوظيفة شجع الموهوبين من الطلاب سواء فى الناحية الأدبية أو الفنية .

ولم يدم الحال . فكـما تدهورت أحوال الأسوة فى شـبابه تدهورت أحوال البـلاد بسبب الـتنافس وروح البـغضاء التـى سادت فى المجتـمع العراقى وقتذاك حيث احتدت العـداوة بين القوميين والشيوعيين ، والذين تعرضوا إلى الملاحقة والمراقبة الشديدة من قبل النظام الحاكم .

هرب شاعرنا إلى إيران أواخر عام ١٩٦٣ . ولكن المخابرات الإيرانية « السافاك » ألقت القبض عليه وهو يحاول الوصول إلى روسيا . وخضع للتعذيـب النفسى والجسدى قبل تـسليمه إلى الأمن السيـاسى العراقى ، وأعيـد التحقـيق والتعذيـب ثم حوكم فى المحـاكم العسكـرية وأصدرت حكما عـليه بالإعدام . ثم بـذلت الكثير من المـساعى حتى تم تخـفيف الحكم إلى السجن المؤبد .

قضى فـترة فى سجـن « نقرة السلمـان » وهو سجن فى الصـحراء قريب من الحدود العـراقية السعودية ، ثم نقـل إلى سجن « الحلة » وهو يقع جنوب مدينة بغداد .

نجح « مظفر النواب » ومجموعة من زملائه فى السجن فى حفر نفق من داخل الســجن يؤدى إلى خارج أسـواره . وكان لهـذا الهروب دوى هائل فى الأوساط العربية والعالمية .

لم تنجح السلطات العراقية فى القبض عليه . على الرغم من وجوده فى العراق حـيث مكث فترة لـيست بالقصيـرة فى بغداد العاصـمة ، ثم

توجّه إلى الجنوب « الأهواز » . وعاش حوالى سنة مع فلاحى الجنوب .

فى عام ١٩٦٩ صدر عفو عام عن المعارضين السياسيين . فرجع ثانية إلى وظيفته فى مجال التعليم .

لم يدم الأمر طويلا حيث تجددت الاعتقالات وكان « مظفر » من ضمن المعتقلين ثانية . وقد دخل « على صالح السعدى » فتم إطلاق سراحه .

عرف مظفر أن وجوده فى العراق غير آمن . فمن السهل أن يعتقل مرة ثالثة ورابعة . فرحل إلى بيروت ثم دمشق وتنقل بين عواصم عربية وأدبية كثيرة إلى أن استقر به المقام فى دمشق . حيث حظى بمعاملة طيبة من الحكومة السورية . فقد خصصت له مسكنا . وراتبا منتظما أمّن له حياة مستقرة .

وقد سعى المثقفون فى سوريا تكريما لهذا الشاعر المغترب عن بلده والتى لا يستطيع دخولها أن تمنحه حكومة سوريا الجنسية السورية وذلك حتى يستطيع السفر إلى أى بلد خارجى . ونجحوا فى ذلك وحصل «مظفر» على الجنسية السورية .

حين سقطت بغداد على أيدى القوات الأمريكية وقوات التحالف فى التاسع من أبريل عام ٢٠٠٣ . ظن المحيطون به ، والمتتبعون لأخباره بأن ساعة العودة إلى الوطن قد حلت . وأن الفرح سيغمر « مظفر » فقد انتقم الله من ظالميه . فأرسلوا له برقيات التهنئة لسقوط النظام البعثى الذى طالما ذاق منه الأمرّين ، ولكنه غضب من مهنئيه . كيف ، وقد سقطت بغداد . ودخلها المحتل . فلا يمكن أن يستبدل النظام الديكتاتورى بحكم استعمارى .

إن الوطنيــة لا تتجــزأ . وإن العيش فى المنــفى أكرم من العــيش فى وطن محتل . فإذا كان يعيش منفيــا خارج بلاده ، فمواطنوه يعيشون فى منفى داخل بلدهم .

* إننا نسمع صرخته للعرب .

وهل عرب أنتم ؟ والله أنا فى شك من بغداد إلى جدّة .

هل عرب أنتم ؟

وأراكم تمتهنون الليل على أرصفة الطرقات الموبوءة. أيام الشدّة !

ويقول : قتلتنا الردّة . . قتلتنا الردّة . . قتلتنا الردّة .

قتلتنا أنّ الواحد منا يحمل فى الداخل ضدّه .

* وهو لا يعيش هم «بغداد» فقط . . فهو يندد باغتصاب عربستان: يقول :

من هرب هذى القرية من وطنى ؟

من ركب أقنعة لوجوه الناس ؟ من هرّب ذاك النهر المتجوسق بالنخل على الأهواز ؟

أجيبوا . . فالنخلة. . أرض عربية .

* ويؤرقه ما يحدث فى القــدس . . وهذا الصمت العاطى . . وهذا التجاهل العربى المكتفى بالتنديد والشجب . يقول :

القدس عروس عروبتكم .

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها .

ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب لصرخات بكارتها .

وسحبتم كل خناجركم ، وتنافختم شرفا .

وصرختم فيها أن تسكت صوتًا للعرض .

فما أشرفكم !

لا تهتز لكم قصبة . فى كل عواصم هذا الوطن العربى قتلتم فرحى .

أصرخ فيكم .

أين شهامتكم ؟ فالقدس عروس عروبتكم .

وها هو يخاطب الفارس الآتى من الغيب والذى طال انتظاره :

يا ملك الثوار !

أنا أبكى من القلب لأن الثورة يزنى فيها .

والقلب تموت أمانيه .

يا ملك الثوار . . تعال بسيفك .

إن طواويس «يزيد» تبالغ فى التيه .

يا ملك الثوار أنا فى حل .

فالبرق تشعَّب فى رئتى .

وأدمنت النضرة .

والقلب تعذر من فرط مراميه .

والقلب حمامة برّ لألأها الطلّ .

تشدو .

والشدو له ظلّ .

والظل يمد المنقار لشمس الصحراء .

لغة ليس يحل طلاسمها غير الضالع بالأضواء .

والظلّ لغة خرساء .

وأنا فى هذى الساعة .

بوحٌ أخرس .

فوق مساحات خرساء .

أتمنى عشق خالصا لله .

وسيفًا خالصا للثورة .

* شاعرنا يؤمن بمقولة « أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » .

إن المناداة بالسلام والأخـذ به منهجا لا ينفع أمـام عدو لا يعرف إلا منطق القوة وعالم لا يسمع إلا للأقوياء .

* وطنى علمنى أن أقرأ كل الأشياء .

وطنى علمنى .. علمنى

أن حروف التاريخ مزورة .

حين تكون بدون دماء .

* لقد ضاعت فـلسطين على موائد الكلام .. وقصـائد الشعراء .. وخطب الزعماء ، والتهاب الأكف بالتصفيق .

من باع فلسطين وأثرى ـ بالله

سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام

ومائدة الدول الكبرى .

* من باع فلسطين سوى الثوار الكتبة

أقسمت بأعناق أباريق الخمر

وما فى الكأس من السم

وهدا الثورى المتخم بالصدق البحرى ببيروت

تكرّش حتى عاد بلا رقبة

أقسمت بثورات الجوع ويوم السفينة

لن يبقى عربى واحد فى الشرق إذا بقيت

حالتنا هذى الحالة

بين حكومات الكسبة

* * *

ما آن لهذا المسافر أن يحط الرحال ؟ لقد قال كلمته واكتسب عداوة حكام بلاده . . ومن تعاطف معها . . وهذا هو جزاء كل حر كريم يأبى الظلم . ها هو يزاول الهجرة يوميا . . هل الشام هى المرفأ الأخير . . وهل هى الملاذ ؟ أو . . هل هى موطن الحريات . . ؟!

* فى تلك الساعة حيث تكون الأشياء هى الشبق المطلق

كنت على الناقة

مذهولا بنجوم الليل الأبدية

أستقبل روح الصحراء

يا هذا البدوى الممعن بالهجرات

ألقيت بمفاتيحى فى دجلة أيام الوجد

وما عاد هنالك فى الغربة

مفتاح يفتحنى

ها أنذا أتكلم من قفلى

من أقفل بالوجد

وضاع على أرصفة الشام

* يرى مظفر أن الوطن استسلم للطغاة ، إن الوطن هو الشاعر نفسه، هو محمد الدُّرّة . . حيث يخاطب الجميع من خلاله .

إن استشهاد محمد الدرّة وهو فى أحضان أبيه يلخص حكاية العجز العربى .

* لم تكن

تتقى

وابل المجرمين

بظهر أبيك

ولكن ترصّ عزيمته

لاختراق الرصاص

ورغم صراخك

كم كان صوتك عذبا

كأن جميع الطيور لقد ذبحت

وهى تشدو

وبين الرّصاص

لمحت حذاءك

كان صغيرا

ولكنه قدرٌ لا مناص

وغطى دم الوطن العربى

قميصك

كل الرصاص

يوجه للوطن العربى

وما زال لم يفهم الأغبياء

بأن الرصاص طريق الخلاص

محمد

قد كشفت قمة العُهر

عن كل عوراتنا

خطب الذل باعت دماءك

كلا . .

فأنت المحال

الذى لا يباع

وأنت الترابُ

الذى لا يباع

وأنت السماء

وأنت القصاص

* إن مظفر النواب هذا الشاعر الذى أصبح الوطن عنده أغنية حزينة يعيشها .. ويعايشها.. ليكون شعره طلقات متوالية إلى صدر كل ظالم.. ومستعمر .. وحاكم مستبد ، ولتصبح كلماته أهم كلمات قيلت فى هذا العصر الذى انقلبت فيه الموازين حيث تسيّد تجار السياسة سطح الأحداث فهو حين يقول « اللهم اقصم ظهور الملوك » فإنه يقصد هؤلاء الذين حولوا الجهاد المقدس لتحرير الأرض .. وتطهير العرض إلى موائد كلامية وخطب رنانة تحصد تصفيق الجماهير المخدوعة .

هذا الشاعر الذى وضع على كتفه عصا الترحال منذ ترك العراق متجولا ما بين دمشق وبيروت والقاهرة وإرتيريا وليبيا ، واليونان ، والجزائر وفرنسا وظفار ، يلوذ من مهربه فى بغداد إلى طهران فيقع فى يد السافاك ، ليعود ثانية إلى سجون الحلة ونقرة السلمان .. حتى يستقر به المقام فى دمشق . فهل يدوم اغترابه ما دامت القضايا العربية مغتربة.. لقد احتل النواب مكانة كبيرة فى القصيدة الشعرية الشعبية عراقيًّا وعربيًّا، « فهو زيادة على مؤهلاته العالية فى مجال النظم ، موهبة وثقافة ، وحساً عاليا ، وخيالا خصبا ، وتجربة غنية » استطاع أن ينقل الشعر الشعبى من خانته العراقية الكلاسيكية ذات الاهتمامات المباشرة ، أو الإخوانية ، أو الوصفية إلى خانة احداثة الشعرية ، والرمز الذكى ، ورسم الصورة الشفافة ، ومخاطبة العقل والعاطفة معا بأعلى مستويات الاستفزاز .

إن القصيدة الشعبية التى أرسى قواعدها « مظفر » تربى عليها جيل كبير من شعراء العالم العربى الذين وجدوا فيها صدق العاطفة ، ونبل المشاعر ، وسمو الهدف . لقد كانت القصيدة « النوابية » سيفًا مسلطًا

على كل ظالم ومستبد . لم تهادن ، ولـم تتخاذل منذ ألقاها مظفر وهو فى مطالع عمره فى المدرسة الابتدائية . . وحتى الآن .

يقول « مظفـر » أكتب ما ينتابـنى من إحساس تجاه ما يـحيط بى من هموم وهواجس تخص الناس ، والعصـر . وهذا ما دفعه أن يشارك فى انتخابات العراق الأخيرة . . لقد خرج هذا الـشيخ الثائر بصحبة صديقه الشاعر « رياض النعمـانى » ومجموعة من المثقفين العـراقيين ليشارك فى الإدلاء بصوته . . لأن كل مـا هو الآن سيزول . . ويبقى العـراق ويبقى دائما أبدا صوت مظفر يلخص الحالة العربية المهينة .

فى غزّه يتوالى القصف

والبلدان العربية تبذل أقصى طاقتها

من جمل التنديد وعبارات العطف

هذا يستغرب الاستخدام المفرط للقوة

وآخر يدعو الشقيقة إسرائيل لضبط النفس

والثالث يخشى من دورة عنف

والرابع يرسل أرخص أنواع البطانيات

لتحمى القتلى

من أمطار الصيف

آراء النقاد

(١) عايد سعيد السرّاج « سوريا »

هو شاعر جـذوره فى الأرض ، وقامته تطال السمـاء ، حمل روحه على راحتيه وراح يجوب العواصم ، لا يصادق إلا النخيل والفراشات ، ولا يثق إلا بالنوارس ، كتب بدمه خرائط للعالم ، مزّق قيود السجانين، وراح يصهل حـصانا وحشيـا ، لا تلمه المنافى ، حـفر بأظفاره فـتحات للشـمس داخل السـجون ، غنى للـبصرة وأهـواز العراق ، وكان مـلكا للثـوار ، حيث وزع جسـده المحشو بـالثورات على مـساحات عـواصم الدنيا، وكـان محشوا بالقدح وبـالزهر الأمى . رجل أينما حل تـتجمع حوله إرادة المنكسرين ، ليمدهم بطاقة عجيبة ، طاقة حب وتمرد ، حفظ الجـميع أشـعاره ، ورددهـا محـبوه وكـارهوه ، ردد قصـائده الأطفـال والشيـوخ ، الثوار والعشاق ، كـان الجميع يحتـفظ (بكاسيتـاته) كمن يحتفظ بالرسائل المقدسة ، والمنشورات السرية .

كان واضحا كالسهم ، صريحا كـالعبارات القاتلة ، جريئا كالموت ، وصادقـا حد الجنـون ، لا يهاب الموت ، ولا يخـاف الحكام ولو كـانوا طغاة، يقـول كلمة الحق صاعقـة فى وجوه الأصدقاء قـبل الأعداء ، لذا كان يهابه الجميع ، وانتزع احترام أعدائه قبل أصدقائه ، لـم تلن الأحكام الجائرة ولا الـسجون من عزيمـته ، بل زادته إصرارا ، وقـوة ، وفولذت قدراته على المواجهة ، كان سلاحه الأمضى قدرته على التحدى ، وحب الناس له ، فهو بالحب واجه الطغـاة ، وبمحبة بسطاء الناس كان قـويًـا ، تحول إلى ظاهرة فى المواقف ، ليس ضـد الحـكام الطغاة فقط ، بل أيضا

ضد رجال السلطة والمخبرين ، وتجار ومروجى الفساد ، فأخذه الأدباء والفنانون والكتاب نموذجا وأمثولة لأدب المقاومة والتحدى ، فالكل كان يحفظ أشعاره أو يحفظ جزءًا منها ، فكان الناس يتبارون أيهم يحفظ الأجمل ، وخاصة قصائد ديوانه ، (حجام البريس) أو للريل وحمد ، أو قصائده الفصيحة الرائعة مثل ـ وتريات ليلية ، أو عروس السفائن ، أو قصيدته ـ تل الزعتر ـ أو القصيدة التى شهرتها جابت الآفاق ، المكتوبة باللهجة العامية ، والتى تتحدث عن السجن ، قصيدة ـ البراءة ـ بمشهدها الأول الأم ـ ومشهدها الثانى الأخت ، وهكذا يتحول مظفر النواب من شاعر يكتب الشعر ، إلى شاعر قضية ، فهو شاعر الملاحم الثورية أينما وجدت ، وهو نصير المظلومين وملك العشاق ، فالمرأة لديه ليست حبيبة ، بل أيضا قضية ، المرأة فى شعر النواب هى معادلة للثورة، بل هى الثورة نفسها ، فالمرأة عنده حبيبة ، وصديقة ، وثائرة .

مظفر النواب : خلخل الصمت المطبق على العالم العربى عبر مسيرته ، رفع الغطاء ليبين عورات الحكام وزبانيتهم من الشعراء والكتبة المندسين ، عبيد الجوائز وأسياد النفاق ، ومداحى الهزيمة والحاكم المهزوم، خصيان الغباء ، وحمير السلطان المدجنين بالخسة والدناءة ، عبدة الدولار والدينار ، حينها كان مظفر النواب ، لا يرى إلا بشرفاء الناس جوهر المسألة، وأشار إلى أن الثورة بزنى بها ، (القدس عروس عروبتكم) وعرف أن البوصلة التى لا تشير إلى القدس مشبوهة ، وهكذا راح مظفر النواب يجوب مطارات العالم ، ليرفع اسم قضية المظلومين فى كل مكان وكان يرافقه حزنه ، وتلاحقه تقارير البوليس ، فى كل مطارات العالم ، وينجو من عديد محاولات القتل ، وتغلق بوجهه عواصم ، لتفتح له عواصم أخرى أبوابها .

(من باع فلسطين وأثرى ، بالله ؟

سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام .

ومائدة الدول الكبرى) .

فهو كـان السباق إلى فهم الـقضية الفلسطـينية ، عندما كـان الجميع يتخبط فى فهم هذه القضية الحساسة : والتى ما زال يتاجر بها إلى الآن.

هل عرب أنتم ؟

والله أنا فى شك من بغداد إلى جدة

هل عرب أنتم

وأراكم تمتهنون الليل

على أرصفة الطرقات الموبوءة

أيام الشدة ؟

قتلتنا الردة

قتلتنا أن الواحد منا يحمل فى الداخل ، ضده !!

يا ملك الثوار

أنا أبكى بالقلب لأن الثورة يزنى فيها

والقلب تموت أمانيه

يا ملك الثوار أنا فى حل

فالبرق تشعب فى رئتى

وأدمنت النفرة

والقلب تعذر من فرط مراميه

وأنا فى هذى الساعة

بوح أخرس

فوق مساحات خرساء

أتمنى عشقا خالصا لله

وطيب فم خالص للتقبيل

وسيفا خالص للثورة

يا طير تأخرت

فإنى أوشك أن أغلق باب العمر ورائى

أوشك أن أخلع من وسخ الأيام حذائى

يا للوحشة

اسمع :

فوراء محيطات الرعب المسكونة بالغيلان

هنالك قلعةٌ صمت

فى القلعة بئر موحشة كقبور ركبن على بعض

آخر قبر يفضى بالسر إلى سجن

السجن به قفص تلتف عليه أغاريد ميتة

ويضم بقية عصفور مات قبل ثلاثة قرون

تلكم روحى

وسأقتل فى البر الواسع

والريح على أفق (البصرة) تذرونى

ويد الطين ستمسح عن جبهتى المشتاقة

نيران جنونى

فى العاشر من نيسان

نسيت على أبواب الأهواز عيونى

ورأيت صبايا فارس يغسلن النهد بماء الصبح

وينتفض النهد كرأس القط من الغسل

أموت بنهد ، يحكم أكثر من كسرى فى الليل

أموت بهن

تطلعن بخوف الطير الآمن فى الماء

من هذا المتسربل فى الليل بكل زهور النخل

من هذا الماسك كل زمان الأنهار ؟

يسيل على الغربات كعرى الصبح

يراوغ كل الطرقات المألوفة فى جنات الملح

يواجه ذئبية هذا العالم

لا يحمل سكينا ؟؟

يا أبواب بساتين الأهواز

أموت حنينا

هذا طيشك . . . يموت بى العمر

ويشتعل الكبريت

جنونا

جعلتنى الدمعات كمنديل العرس طريا

لا أجرح أحدا

خذنى وامسح فانوسك فى الليل

تشع بكل الأسرار

لا تلم الكافر فى هذا الزمن الكافر

فالجوع أبو الكفار

مولاى !

أنا فى صف الجوع الكافر

ما دام الصف الآخر يسجد من ثقل الأوزار

وأعيذك أن تغضب منى

أنت المطوى عليك جناحى فى الأسهار

يا غرباء الناس

بلادى كصناديق الشاى مهربة

أبكيك بلادى

أبكيك بحجر الغرباء

وكل الحزن لدى الغرباء مذلة

إلام ستبقى يا وطنى ناقلة للنفط

مدهنة بسخام الأحزان

وأعلام الدول الكبرى

ونموت مذلة ؟

أبكيك بلاد الذبح

كحانوت تعرض فيه ثياب الموتى

قد أعشق ألف امرأة فى ذات اللحظة

لكنى أعشق وجه امرأة واحدة

فى تلك اللحظة

امرأة تحمل خبزا ودموعا من بلدى

يا بلدا يتناهشها الفرس ، ويجلس فوق تنفسها الوالى العثمانى

وغلمان الروم

وتحتلم (الجيتات) الصهيونية بلعقد التوارتية فيها

والكل إذا ركب الكرسى

يُكَّشرُ فى الناس كعنزة

فتعالى

تعالى ، نبكى الأموات ونبكى الأحياء

فأنت حزينة

والحزن ثقيل فى الليل

وطنى أنقذنى

رائحة الجوع البشرى مخيفة

وطنى أنقذنى

من مدن سرقت فرحى

من مدن ترقد فى الماء الآسن

كالجاموس الوطنى

وتجتر الجيفة

من باع فلسطين سوى (ثوار الكتبة)

ويستمر مظفر النواب يعزف فى وترياته ، على جثامين الموتى الأحياء، ويدق النفير ، حيث لا حياة لمن تنادى ، فالكل مطروش برنين الذهب ، والحكام أوصدوا أبواب الأوطان بينهم وبين شعوبهم ، وأضحت قضايا الأوطان الكبرى لعبة عند النخاسين وتجار القضايا المصيرية .

(تقلص وجه الجلادين

وقالوا فى صوت أجوف

نتركك الليلة

راجع نفسك

أدركت اللعبة

فى اليوم التاسع كفوا عن تعذيبى

نزعوا القيد فجاء اللحم مع القيد

أرادوا أن أتعهد

أن لا أتسلل ثانية للأهواز

صعد النخل بقلبى

قدمى فى السجن ، وقلبى بين عذوق النخل

وقلت بقلبى إياك

فللشاعر ألف جواز فى الشعر

وألف جواز أن يتسلل للأهواز

يا قلبى ، عشق لأرض جواز)

فمظفر النواب رغم جرأته الفاضحة فى الشعر ، ولكنه حيى ، عشقه مخفور وهو يتدثر بالشيح ، والفل ، والخزامى وهو يناهد بدويته المراهقة.

(فى تلك الساعة من شهوة الليل

وعصافير الشوك الذهبية

تستجلى أمجاد ملوك العرب القدماء

وشجيرات البر تفيح بدفء مراهقة بدوية

يكتظ حليب اللوز

ويقطر من نهديها فى الليل

وأنا تحت النهدين

إناء

يا هذا البدوى الضائع بالهجرات

تزود قبل الربع الخالى

بقطرة ماء

سيرحل هذا الطين قريبا

تعب الطين

عاشر أصناف الشارع فى الليل

فهم فى الليل سلاطين

نام بكل امرأة

خبأ فيها من حر النخل بساتين

يا طير البرق ! أريد امرأة دفء

تعرق مثل مفاتيح الجنة بين يدى وآثامى)

فالمرأة عند مظفر النواب ، عالم كامل ، ولكنه عالم يملك مفاتيح الجمال ، فهى صديق الأرباب ، ومن عوالمها تترافد الأكوان والجنائن ، إذ هى السحر المطلق والنشوة الحلم ، مثلما هى القضية والرمز الماجد للانتماء ، وهى الأم التى تشد عزيمة ابنها السجين فى قصيدة البراءة .

هذه القصيدة الرائعة ، المملوءة بالحنين والمودة ، وحالة التواصل النفسى والروحى بين الشاعر وبين الأم ، أى بين الابن المفترض، وبين الأم التى تضج بالحنين والشوق واللهفة إلى ابنها ، ويتقطع قلبها عليه ألماً وهو فى السجن ، ولكنها ترفض أن يكون ابنها جبانا ، أو غير وَفِى لمبادئه ومبادئ والده ، وهذه القصيدة ـ الموقف ـ من الظلم والطغاة تمثل أجمل تمثيل الإدانة للسجن والسجان ، وكأن مظفر النواب يقول : إن قلب الأم يتقطع على ولدها الذى هو سجين رأى ، ويحاول تجسيد هذه الحالة بمشهدية فريدة ، أمام ظلم الحكام وجبروتهم ، وحالة الذل التى

يخلقها السجان وسجنه للسجين ، ولأكثر الناس إحساسا به أمه .

وهكذا يستمر مظفر النواب فى أخذنا إلى البعيد والعميق فى أغوار النفس البشرية ، ويولد بدواخلنا أحاسيس متناقضة ، ولكنها كلها أحاسيس تجعلنا نشعر بآدميتنا ، ويكشف لنا مساحات واسعة من الحيف والظلم الذى يحيط بنا ، أو من الفرح والبهجة التي نحتاج إليها ، إنها مأساة هذا الإنسان عبر مسيرته الحياتية ، مظفر النواب شاعر وضع إصبعه على المكان الأكثر حساسية فى جوهر كينونة إنسان هذه المنطقة ، وهو ليس محاربا تقليديا بل شاعر عصرى يقبض على الحالة الآنية بمفهوم زمانه ، وبقدرة المتجلى على سبك الجمل الشعرية الأكثر ارتعاشا من نهد مراهقة بدوية ، أو غزل نخلة لحنين القطا ، فى صيف لا يفرح فيه النسيم ، إلا لعذوق النخل ، وتكسرات أحلام العشاق ، وشخصيته الساحرة ، هو سيدها ، وبطلها ، وصانعها ، لأنه من لحم ودم ، ولم يحارب طواحين الهواء ، بل حارب جبارين عتاه وانتصر عليهم فى أحلامه وفى أشعاره ، وهو (الساموراى العظيم) الذى لا يقبل الذل ، ولا يشبه إلا مظفر النواب ، لأنه مظفر النواب .

كثيرون هم الذين يكتبون الشعر ، ولكن قلائل هم الذين يصلون إلى أعماق الناس ، ومظفر النواب من هؤلاء القلائل ، لو كان مخلصا للشعر فقط ، أقصد لو كان شعره خاليًا من المباشرة والمواقف السياسية الشعرية التى هى أقرب إلى البيانات ، لقلنا إنه من أفذاذ الشعر الحديث فى العالم العربى ، وهو كذلك فى بعض قصائده مثل وتريات ليلية وغيرها ، وبعض قصائد الشعر الشعبى ، مثل قصيدة للريل وحمد ، وقصيدة حجام البريس ، وقصيدة لبراءة ، وغيرها ، وهو لا يقول إلا ما يفعل ، ولا يفعل إلا ما يقول ، فشخصيته رغم أنها حالمة ، إلا أنها

متفولذة بالحياة ، وهو صاحب خبرة ، إذ أن بوصلته الشعرية لا تشير إلا إلى أكثر المواقف الإنسانية والاجتماعية حساسية ودقة ، وحياته بحد ذاتها أسطورة ، أو تشبه الأسطورة ، لأنه يُأسطر الحياة ، أو لا يعيش إلا فى حياة مأسطرة ، حتى فى العادى من حياته الشخصية ، لأنه يرى البعيد، وينظر عميقا بين قدميه . واهم كل من يتصور أن قصائد مظفر النواب لا تذهب عميقا إلى المستقبل ، رغم الخصوصية الخاصة جدا لبعض قصائده، لأن كل هذه القصائد كتبت على حالات وأحداث ذات ظرف موضوعى ، وليس على حوادث عابرة ، لذا فأشعار الفنان والأديب والشاعر المتميز مظفر النواب تستحق الوقوف عندها طويلا ، وكذلك الدراسة المعمقة والمتأملة لشخصيته غير العادية ، التى أثْرَت ليس الأدب فى زماننا بل الحياة أيضا .

(٢) علاء الدين عبد المولى

مظفر النواب شاعر ظُلِم كثيرا ، وقد ظلم نفشه بيده أحيانا ، فيما يتعلق بتأخره الطويل فى نشر أعماله الشعرية بشكل كامل ، فالذى يرغب فى قراءة الشاعر ليتخذ موقفا نقديا لا تكفيه قراءة ديوان (وتريات ليلية) وقصائد متفرقة نشرت هنا أو هناك .

النواب لديه كم لا بأس به من القصائد التى تنتظر أن تجد سبيلها إلى النقد . وهذا حق طبيعى إن لم يطالبنا به الشاعر ، فشعره يطالبنا . خاصة وأن (قصيدة الكاسيت) ـ الشكل المعتاد لاتصال القراء بشعره ـ خلقت ، وهى تخلق آراء شائعة قد يكون بناؤها قائما على عدد من الأوهام . فيقع هذا الشعر أسير الانطباعات العابرة سواء فى ذلك من أحبه كثيرا أو استاء منه كثيرا . لا سيما فيما يتصل بعلاقة شعره بالسياسة. حيث أشيع أن النواب شاعر سياسى وهجاء لاذع ، وهذا فى نظرى تقزيم غير مقبول لشعره ، حين نخضع هذا الشعر لمجهر النقد الذى لا يكترث بما يشاع هنا وهناك . فالناقد سيرى فى شعر النواب مساحات واسعة وعوالم متداخلة تشكل كلية هذا الشعر مساحات تنتظر من يحرثها ليطلع منها البذور الأولى التى أسست فيما بعد كلية هذا الشعر ، نحن هنا لا نريد أن نسىء إلى النواب فى اللحظة التى ندّعى فيها رغبتنا بتقويم شعره نقديا . فلا نقول إن النواب ليس شاعراً سياسيًّا، بل نقول : إن الشعر بما هو فعالية إنسانية جمالية تهدف إلى رفع الإنسان إلى مستوى الجمال والاستقرار ، يلتقى مع السياسة بمعناها الشامل وربما هى فعالية تنشغل بحياة الإنسان وتحقيق أمله وفرحه . بهذا

المعنى لا يكون شعر النواب وحده سياسيًّا ، بل أى شعر فى العالم ، بل أى كائن حضارى هو فى عمقه كائن سياسى . ومن دلالات علاقة شعر النواب بالسياسة بهذا المعنى أننا نجد فى قصيدته مستويات عديدة ، وعوالم مختلفة تشير إلى شمولية النظرة عنده . وهو نفسه مدرك لذلك. فنجده يشير فى مقدمة أكثر من قصيدة (على الكاسيت) أن هذه القصيدة مزيج من الحب والأرض والثورة والتراث والجنس . كل هذه العناصر مجزأة كما نوردها نحن ، بل تأتى هكذا موجات عريضة تتلوى متناغمة فيما بينها بكل اختلافاتها الحركية واللونية ، فمثلا ـ وعذرا لهذا التبسيط ـ تجد فى قصيدته (جسر المباهج القديمة) أن بحار البحارين ، وهو الإنسان الذى يشكل محور القصيدة يقوم برحلة فى البحر بحثا عن البصرة ، فيتعرض فى سفره إلى مواقف مأساوية ، لا تختلف فى النظرة الأخيرة عن مواقف المأساة بمعناها اليونانى القديم ، تتكالب عليه القوى جميعا (بحارة خونة ، طبيعة قاسية ، آلهة مشغولة بأمجادها ، سُلطة) لتمنعه عن حلمه وغايته أى (البصرة) التى هى رمز الإنسان الباحث عن غاية وجوده وعذابه ، وعندما يسأل البحار عن البصرة يقال له : لا يوصلك البحر إلى البصرة . ويكتشف فى النهاية أن (بصرته) ساكنة فيه . وهذه حقيقة الإنسان المناضل البحار الشاعر ليس فى حاجة إلى جسور ، إن هدفه ووسيلته شىء واحد ، وهو جسر ذاته ، ندرك هذا عندما نرى كيف يتحد العالم كله بالذات فى لحظة صوفية تضمر فى داخلها كل العناصر بما فيها السياسة . أليست رحلة البحار وصراعه وألمه وهدفه أليس كل ذلك داخلا فى لب السياسة ؟

أما هجائيات النواب وشتائمه المبتذلة ، فلا أرى ذلك إلا بعداً آخر من أبعاد التجربة الشعرية الشاملة للنواب . تلك التجربة التى تشكلت

على أرضية حساسية جادة يمتلكها الشاعر ـ وكل شاعر ـ فى تعامله مع الكون وفساده وظلمه وحبه .. وفيما أعتقد أن الشاعر وعندما يشتم بأية طريقة يشاء ، ليس من حق أحد أن ينظر إلى شتيمته على أساس موقف أخلاقى . وإلا فأى أخلاقى هذا الكون الذى يدمر الشاعر كل دقيقة ؟ إن قبح الكون المريع الذى يستبصره النواب يدفعه إلى التفكير بالكون بشكل جمالى . لكن هذه الصبوة للجمالى تصطدم بكل هذا الدمار والعنف والحرب ، فيشتم الشاعر معوقات وصوله إلى الجمال ، فأنا لا أبالغ بالتمسك بالجميل إلا إذا واجهت البشع المخيف وأحسست به من الداخل وشتمته .. عندما نقول : إن النواب (شاعر بذىء) لا نكون بذلك فى مقام النقد ، بل فى مقام الأخلاق وقانون العيب . أجد أنه ينبغى القول أن النواب جميل حتى فى شتائمه . وهو القائل : (ولست بذيئا ولكنه القىء وصل الحنجرة) .

إن الفضاء الشعرى للنواب يحتاج إلى عمل نقدى كبير ولا يستوفيه شهادة عابرة . فالنواب ليس شاعرًا عابرًا . يجب أن يعمل الناقد على البحث عن صوفية شعره وطفولته التى أسست فيه حس الاقتلاع والنفى إلى الأبد . والبحث عن علاقة شعره بالرسم واللون ، علاقته بالتراث الشيعى والدينى بشكل عام . وأخيرا البحث عن تميز الشاعر فى تجربته . هل نعاهد أنفسنا على القيام بذلك فى دراسات قادمة ؟ أرجو ذلك . ونحن أيضا نرجو ذلك .

(٣) صافيناز كاظم

وكما ترى فإن هذا الحوار يؤرخ فى مظفر لحياته وشعره ويدهشك بتفاصيل غاية فى الأهمية لم تكن معروفة عن علاقته بقصائده وبالأنظمة العربية .

وهذه هى الكاتبة الكبيرة صافيناز كاظم تكتب شهادتها عن شاعرنا الكبير فتقول : إيش لونك يا مظفر النواب . . ؟

كلمة من هنا وخبر من هناك ، فهمت منه أن الشاعر مظفر النواب يعانى من مرض خطير ، وأنه حاليا يعالج فى لندن أو دمشق ، . إذن فقد عرفت ، أخيرا ، ولو بالتقريب ، أين يحط مظفر النواب رحاله بعد أن ضاعت منا أخباره فى الدنيا الواسعة ، محروما من العراق ، حتى صار بذاته عراقيا كاملا مفترشا العالم ، مخترقا الحدود ونقاط التفتيش مواصلا الحسم : جرح صويحب بعطابه ما يلتم . . كان ديوان مظفر النواب « الريل وحمد » دائما أمامى ، ولكنى حين بحثت عنه امتلأت يداى بغبار مكتبى ولم أجده . مظفر النواب شاعر الوجع العراقى العظيم، قابلته لأول مرة عام ١٩٦٩ فى دمشق ، ظل رحالة بين العواصم العربية ولا يمكنه العودة إلى بغداد ، إلى شريعة النواب المنسوبة إلى عائلته والمنسوجة فى الغناء الشعبى العراقى .

فى دمشق سوريا ، وفى القاهرة المصرية ، وفى طرابلس ليبيا ، كان التقائى بمظفر النواب يأتى قدرا ، وكان غناؤه المتفجع ينتشله ، حين يبدؤه، من لمة الجالسين ليلحق به وحيدا عبر أزمنة الآلام العراقية جاذبا معه نداءات الاستغاثات البشرية . غناؤه مدويا حتى الآن فى أذنى :

أضحك ؟ إيش لون أضحك ؟ أبكى ؟ إيش لون أبكى ؟ ينطق الضاد : ظاء ، والكاف : شينا ، وفقا للهجة العراقية ، التى يصر بها العراقى على أن لغتنا العربية هى : لغة الظاء ! غناء مظفر النواب مغزول من النحيب والولولة الموسيقية الغائرة كالنصل فى القلب . كتلة شعر وموسيقى وغناء ، كلها فنون مظفر النواب . والشعر شعره ، واللحن والغناء ارتجاليات لحظية كنت أراها عرضا مسرحيا لا مثيل له .

فى ديوانه « الريل وحمد » الذى يعنى « القطار وحمد » توجد قصيدته عن شهيد من الشعب ، هو كل الشعب ، اسمه « صويحب » تصغير لاسم عراقى شائع هو « صاحب » كنت كلما التقيت بمظفر النواب أبادره بمطلعها الصارخ فى الباكيات : « ميلن لا تنجطن كحل فوج الدم ! ميلن ! وردة الخزامة تنجط سم ! » وهى كلمات ، ما زلت أحفظها ، لأم الشهيد « صويحب » التى ترفض البكاء وتقول ما معناه : « ابتعدن ! لا تسقطن الكحل فوق لدم ، ابتعدن ! حلية الأنف الوردة تسقط السم » ، وكان مظفر ينطق بعد هذين البيتين بآه ملوعة حين يكمل : حاااه ! شو وسع جرحك يا صويحب ، أى آااه ! ما أوسع جرحك يا صويحب . . . حتى يصل إلى القطع بأن : جرح صويحب بعطابة ما يلتم ، أى أن جرح صويحب لا يلتئم بدواء أو ضمادة ! ويعذرنى العراقيون إذا كانت ذاكرتى قد أخطأت فى كلمة مما ذكرت أو شرحت أو أسأت هجاءها لأن الديوان الذى كان أمامى قد تعمد الاختفاء!

ربما يكون مظفر النواب قد بلغ الآن السبعين أو تعداها بسنة أو سنتين، غير أنه كان دائما يبدو عمرا لا يتحدد بأيام الزمن وسنواته . حين زرت العراق لأول مرة عام ١٩٦٩ علمونى أن الموت عند العراقى

هو : الهجرة ، هو : النزوح ، هو أن لا يكون بالعـراق يشمه ويحتضنه ويواسيه . كان العراقى إذا انتقل مـن حى إلى حى ، فى المدينة نفسها ، يشكو اغترابه ، أما أول ما تعلمتـه من غنائهم الشعبى فكان : شى مالى والى ، بو يا اسم الله ، متعذبة بدنـياى يا بابا ، شى مالى والى . . بطة وصادتنـى ، صدقة لـ الله ، بـشريعة النـواب يا بابا ، بطة وصـادتنى ، وهى أنشودة طويلة بـلحن غاية فى العذوبة ، حملتـها معى عام ١٩٦٩ وعلمـتها لكل أصـدقائى المحبين للـغناء فى مصـر ، وكان منهم وقتـها الشاعر الفلـسطينى محمود درويش ، الذى قال لـى ، بعد ذلك بسنوات عديدة : إنه كلما حضر حفلا موسيـقيا عراقيا طلب منهم غناء شى مالى والى التى صارت تذكره بوقته فى مصر عبر ذبذبات الوجد العراقى !

وتلك الأغنـية التى تعنـى : كى أن ليس لدى حامـيا ، متعـذبة فى دنياى ؟ هى واحدة مـن أغنيتين شعبيتـين عراقيتين تشعلان الـقلب حنينا والصدر شوقا وأنيـنا . والسجع من عندى غير مقـصود . والأغنية التى أعنيهـا هى : يا زارعًا بذر الجوش ، ازرع لـنا حنة ، وجمالـنا غربت ، واويلى ، للشام وما جنا يا محبـوبى جرحتنى داوينى ، جرحك يا قلب خزن ولا تسكينة ، يا زارعًا بـذر الجوش ، ازرع لنا حنة ، واللحن يمزق الحشايا بالشجن والشكوى أن جرح القـلب قد امتلأ بالصديد ولا مواساة يمكن أن تهدئ من الألم . أليس هذا صحيحًا تماما ، وبالنطق العراقى : جرحك يا جلب خزّن ولا تستشينة !

يا رحمة الله أغيثى .

وعن وصف ليلـة من أمسيات مظـفر النواب التى يملأ فـيها الأرض شجنا مبهجا ويوزع الثورة على الحضـور لتمر فى أوصالهم كتب الدكتور نبيـل شرف الدين « مالـك الحزين » فى صحـيفة الزمـان تحت عنوان :

«أمسيات مظفر النواب .. الشاعر الإنسان» .

يتوجها بأنين الغربة . ويجسد أحزانه شعرا وحبًّا للوطن المكبل بالجراح .

بدعوة من نادى الرافدين الثقافى فى مدينة برلين الألمانية ، أقام الشاعر مظفر النواب فى قاعة « دار ثقافات العالم » أمسية شعرية بمرافقة الموسيقار الفنان يوسف ديبو ، حيث قرأ الشاعر مجموعة من قصائده بالعربية الفصحى بالإضافة إلى مجموعة أخرى من قصائده التى نظمها باللهجة الشعبية العراقية .

لقد كان النواب فى هذا الحفل شاعرا وإنسانا فبكى .. وغنى .. وأنشد .. وصفقنا له كثيراً .

غصت قاعة دار ثقافات العالم فى برلين بجمهور كبير من المثقفين المهاجرين من العراقيين والعرب ، فقد جاءوا ليستمعوا إلى أحزان شاعر داهمته الغربة سنين حياته فرسمت على قصائده ينابيع احتجاجات ثورية نازفة من يقين إنسان لم يبع نفسه أو قلمه لحاكم ، بل جعل من أبياته رصاصات موجهة ضد الدكتاتورية والتعسف .

مظفر النواب الشاعر المهاجر الإنسان الذى ظل يصرخ ويصرخ فى كل مرة بوجه الطغاة معلناً أن الوطن يتسع للجميع وأن قصائده ستبقى شامخة مثل النخيل ، لكنه مع كل هذا الصراخ المدوى عاليا ، تلمح فيه أحزان الغربة المتوغلة فى الأعماق ، قد يكابر أحيانا دون أن يفصح عما يجيش فى نفسه ، لكنه فى نهاية الأمر هو شاعر وحزن الشاعر تفضحه الكلمات حتى لو حاول أن يكظم أو يكبت ، وهذا ما حدث فى القاعة الكبيرة وأمام جمهوره المحب لشخصه وثقافته وقصائده حيث ألقى أحد

الأبيات الشعرية من قصيدة مطولة ، كانت عيناه تدمعان بعد أن تذكر أهلنا الذين يحاصرهم الظلم والجوع من كل جانب ، تذكر هموم الوطن وأوجاعه ، فهو يقول : « دمعة حزن هى الماضى هى آلام » ، أو يعلن بالقول : « ذهب الزمن الطفل وأبقانا غرباء » ثم يذكر : « قاطرتى كانت تذهب للبصرة تحمل حزنى» . قصائد النواب تتوالى حتى تغرق القاعة برمتها فى بحر من الشعر وتمتزج نفحات الحزن بالنفوس الحاضرة التى جاءت من مدن ألمانية بعيدة عن برلين أو من برلين ذاتها ، والشاعر يذكرهم بـ (البلاد التى تباع بلا ثمن) أو بظلم الحاكم العربى الذى رسم لنفسه هالات من العبقرية والبطش فى الناس فمتى (تستريح من الحاكم العربى المفدى . . واكل الشعير . .) .فى هذا الحفل كشف مظفر النواب أحزان المهاجرين بعد أن تركوا خلفهم مأساة الجوع والقهر التى ما زال تطوق أهلهم هناك ، فقد تغلغلت أشعاره فى تلك الدواخل تعلن أنه الصوت الجرىء الذى ما يزال كما بدأ ، صوت لا يتوقف عن إشهار قولة الحق وهو يعرف تماما أن الشعر انتماء وتاريخ ومبدأ ، كما أنه لا يريد أن يتخلى عن مسؤوليته كشاعر آثر أن تكون قصائده برنامجا يعبر من خلاله عن الأمة المشققة ، الضائعة ، المقهورة ، التى نالت من الظلم ما نالت ، إنه يريد أن يقول للجميع أن سبب مأساتنا الكبيرة هى السياسات كما أنها أسباب كل المحن ، إنه يفور فى خلجات النفس العربية ويمارس حقه كمواطن عربى يحق له أن يشهر آراءه أو حين تتجلى قصائده وهو يكشف هول المحنة العربية بمفردات بسيطة يفهمها الجميع ، أليس هو الأكثر معصية للحكام والأكثر قدرة فى التوصيل ، وهذا ضمان أكيد للقيمة الفنية فى أشعار مظفر أو فى تناول موضوعاته واختياره لها .

لم يكن هناك بين جمهور الحضور والشاعر سوى الاندماج الفكرى

والروحى ، فقد أحب الشاعر التعبير الحقيقى عما يجول فى خواطر الجمهور ، كما أحب الجمهور شاعرهم لأنه استطاع أن يقول ما يعجزون الإفصاح عنه ، فهذا ما حصل بالفعل خلال الأمسية . إن جمهور النواب يعرفون أن شاعرهم لا ينحنى لحاكم وليس بينه وبين الحكام إلا شرخا متجددا على مدى تاريخه الأدبى الذى شهدت له الساحة الثقافية العربية أينما حل أو ذهب لينشد المحظور من الشعر ، هذا الشعر الذى يعد وثيقة لمجتمع محاصر قتلته الهموم وملاحقة السجان وممارسات الجلاد اللا إنسانية بحق أبنائه ، وهذه المرة يصرخ الشاعر أمام جمهور الحاضرين معلنا من خلال إحدى قصائده أنه يأبى الذل ، ويرضى بنصيبه فى هذه الدنيا وأنه طير جريح فى هذا الوطن ، فلنستمع إلى ما يقول فى صرخته :

املأها علنا مولاى

فما أخرج من حانتك

الكبرى إلا منطفئا .. سكران ..

أصغر شيء يسكرنى

فكيف الإنسان ..

سبحانك كل الأشياء رضيت

سوى الذل ..

وأن يوضع قلبى فى قفص

فى بيت السلطان

ورضيت يكون نصيبى فى الدنيا

كنصيب الطير

لكن سبحانك حتى الطير لها أوطان

وتعود إليها . .

وأنا ما زلت أطير . .

فهذا الوطن الممتد من البحر إلى البحر

سجون متلاصقة . .

سجان يمسك سجان . .

إنه يرى أن تلك الأفراح التى عاشها العراقيون فى الماضى والتى تحولت إلى فواجع . لابد أن تعود يومًا حتى لو طال بها الزمن . كما أنه يؤمن أن الشاعر المبدع هو الذى يخرج شعره من خلف معاناة تلازمه، لا من خلف أجواء الترف والأموال التى يغرقون بها من قبل الحكام .

ومظفر النواب ، الإنسان والشاعر عاش الاغتراب لكنه تحداه فالوطن عشق لا ينفصل عنه حتى لو أخذه قطار العمر ، ولهذا فهو يقول « ما زلت كما بالأمس ، ألوح بالقلب لهم . . . » .

أو يقول أيضًا :

. . خاطرة خلف زجاج الماضى

استهوتنى . . .

غادرت اليوم . .

وبعد العمر يتم وصولى

يتم وصولى . .

وبعد كل هذه الأشجان الحزينة جعل من الإمام الحسين (عليه السلام) مثلاً أعـلى له ولكل أصحـاب الثبات الرافضـين الركوع للطغـاة .. فقد أنشد فى قـصيدته « فى الوقـوف بين السماوات ورأس الإمـام الحسين » قائلاً :

.. قد تعلمت منك الثبات

ولم يك أشمخ منك

وأنت تدوس عليك الخيول ..

إلى أن يقول:

.. أم ترى جنة الله

كانت تريد إليك الوصول..

واقف وشجونى ببابك..

وإلى آخر القصيدة التى راح يصفق لها الحاضرون طويلاً والتى تناول فيها أن الإمام الحسين (عليه السلام) يأبى بكاء الرجال .. مستعرضًا مآسينا فى فلسطين والعراق .

أنـت لابد يارب

تغفر للكفر إن كان حرًّا أبيًّا

وهيهات تغفر للمؤمنين العبيد

وذلك فهمى

وأنت ضمانى على ما أقول

هاهو شعب العراق

وقد رجلته سيوف الحصار وحيداً . .

ويطول يزيد به . . .

إلى أن يقول عن هذا الشعب الصابر الصامد :

« . . ولم ألق مثل العراق . . كريمًا خجول »

ومن قصائده الأخرى التى ألقاها فى الأمسية قصيدة بعنوان « يوم من حياة بغى عجوز » وقصيدة أخرى بعنوان « فراشة » وفى هاتين القصيدتين رسم فيها الشاعر حالات أخرى من أوضاعنا العربية الراهنة وبأسلوب شفاف وواقعى ورمزى أحيانًا ، فهو فى قصيدته الأولى «نحبك سيدتى ما بعت سوى لحمك » يرى بأن هناك مما باع ما هو أغلى مما باعت هذه السيدة ، هناك من ساوم على مصير وطن ، أو باع الوطن نفسه بما فيه من أجل أن يبقى هو والحاشية التى تحميه فـ (العالم ينقلب جرب) .

ومن قصائده التى ألقاها فى الأمسية قصيدة بعنوان « أوجاع حاتم آدم» هذه القصيدة التى بكى فيها الشاعر بكاء الكبرياء ، وأوجعنا وآلمنا ، فهو القائل :

. . بدالة بغداد بها خرس . .

ليس تردد وما من سبل . .

أو يقول :

. . سيدتى إنى الميت جدًّا . .

آدم . .

كان هناك من يسأل عن آدم . .

أو يقول :

.. أو لعن الله الغربة..

آدم لا يملك شيئًا للرشوة..

أو يقول :

يطعم جسده للدود

ولا يطعمه للأمن..

دمعة حزن هى الماضى..

هى الأم..

بعد ذلك قدم مظفر النواب قصائد رائعة من أشعاره الشعبية العراقية من بينها قصيدة « يا نهران أهلنا » وقصائد أخرى كقصيدة « جرس مدرسة بنات » وغيرها ، وبصوته الرائع قدم « بوذيات » عراقية :

صاحبك يا صاحبك

لكن ألف يا حيف

ما تعرف كدر صاحبك..

(٤) الشاعر: حميد الخاقانى

وكان قد قدم الشاعــر مظفر النواب للجمهور الشاعر حــميد الخاقانى بكلمة ترحيبية جاء فيها :

ليس يسيرًا أن تقدم شــاعرًا معروفًا مثل مظفر النواب لجــمهور يعرفه ويغنى شعره ، لكن غــبطة تولتنى ساعتها إذ أن لى شأنًا كــبيرًا مع شعره وما علىّ إلا أن أروى حكايتى مع هذا الشاعر :

تتلمذت بمعنيين مباشر وغير مباشر ، كنت فى مدرسة متوسطة الفجر للبنين فى ضاحية محلة النواب بالكاظمية ، وكان لنا حظ أن يكون هناك مظفر النواب وسعــدى الحديثى وتلك نعمة ، كان الاثنان الــشاعر ومغنى قصــائده معروفين عــلى الجانب الشــعبى شاعــرية النواب وشعــره ، كان الكثير من العــراقيين يحفظون شعر النواب ويرددونــه حتى فى الشجن ، فقد أعاد مظفر للــقصيدة العراقية رونقها وزهوها ، وقــد مضى بالقصيدة الشعبــية العراقية بــأسلوب جديد غير مــألوف نفث فيها من روحــه حياة أخرى بعد سبات طويل ، مع النواب لا مع غيره ارتقت القصيدة الدارجة إلى الفصحى ، فهى وليس كل ما كتب بالفصحى فصيحًا ، وسرعان ما أصبح مدرسة فى العراق ، ولا أظن أن القــصائد التى تكتب عندنا حتى اليوم على تــنوعها قد خرجــت من أسار مظفر وروحه ، وكــان « للريل وحمد . . وهى الــقصيدة التى تغنــى بها الناس ، ولسعــدى يوسف قولة تجســد « للريل وحمــد » « ومظفر » يــقول بأنه يضــع جبين شعــره على أهداب « للريل وحمد » ، ومن يعرف سعدى يدرك ما تنطوى له قصائد مظفر النواب .

وكان لنا نحــن تلاميذ مظفر إلا أن نتـتلمذ على يده وكانت تـلمذتنا على ما أخذنا عليه ، كان إيقاع قصائد غير إيقاع الشعر المألوف.

أنا لم أقـرأ لشاعر لديـه مثل ذلك الإحســاس بجرس الكلـمة ورنين الحرف مثلمـا هو الحال لدى مظفر ، وهذا ما نجده فــي « وتريات ليلية » أو « قراءة فى دفتر المطر » وكثير غيرهما .

ويختتم الشاعر والناقد حميد الخاقانى كلمته بالقول :

لا شك أننا من دون مظـفر وشعره أكثـر فقراً ، فدعونا نـزداد فخراً بمظفر وشعره .

حوار صحفى مع الشاعر

تشكيل بالطين، ونحت بالصخر

حوار أجراه معه « معد فياض » الصحفى بجريدة الشرق الأوسط يوم الجمعة ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩م .

العدد رقم ٧٦٤٠ تحت عنوان « تشكيل بالطين ونحت بالصخر » .

مظفر النواب يتحدث عن القصيدة الأولى ومزاوجته بين العامية والفصحى أو الطين والصخر وموقفه من شعراء الحداثة .

كتب مظفر النواب قصيدته الأولى « الريل وحمد » بين عامى ١٩٥٦ـ ١٩٥٨ . وما تزال هذه القصيدة تشكل محطة أساسية في تاريخ الشعر الشعبى أو العامى فى العراق والبلدان العربية .

ومنذ ذلك التاريخ ولحد الآن تنتقل قصائد النواب بين الناس بوسائل مختلفة ، إذ أن أغلبها ليس مطبوعا فى ديوان . وفى العراق يتداول الناس اليوم قصائده مثل منشور سرى . إذ أن شعره ممنوع هناك . لكن صوته يصل إليهم عبر أشرطة الكاسيت المسجلة ،ويزور النواب لندن الآن لإحياء عدد من الأماسى الشعرية ، كانت أولاها الأمسية التى أقامها يوم السبت الماضى فى قاعة « بلومزبرى » وحضرها عدد كبير من عرب المهجر فى بريطانيا ، وخصص الشاعر القسم الأول من أمسيته التى استمرت حوالى ساعتين ونصف الساعة للقصائد الفصيحة ، والقسم الثانى للشعر الشعبى . وعلى هامش الأمسية كان هذا اللقاء معه :

هل ما يزال الشعر ديوان العرب وشاغلهم ، أم أن القصة والرواية

باعتبارهما فنًّا مدنيًا احتلا الساحة الأوسع ؟

ـ إذا كان هناك ما يقلص انتشار الشعر وسطوته بين الناس فهو ليس بسبب الرواية أو القصة أو الفنون الأدبية الأخرى ، وإنما طغيان الحاجة المادية والفقر الذى احتل مساحته بين الناس وهموم الوطن العربى بسبب المجاعة والقمع وانعدام الحرية والديموقراطية ، إضافة إلى دور الفضائيات المخرب ، وهنا أتحدث بشكل عام، فتخريب أذن ورؤية لمتلقى هو العامل الذى يؤثر سلبًا على انتشار الشعر وتغلغله بين الناس .

أما كون الرواية ابنة المدينة والشعر وليد الريف أو البادية فهذا غير صحيح إطلاقًا ، فالشعر العربى كان فى الحواضر العربية ، فى بغداد ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، والشعراء العرب المهتمون كانوا فى الأساس أبناء مدن وتطورهم الهائل ارتبط بتطور المدينة ، ويضرب المثل عن الشاعر ابن الجهم ، إن صحت الرواية ، عندما دخل على الخليفة وهو قادم من الريف وقال له : أنت كالكلب في حفاظك للود / وكالتيس فى قراع الخطوب . وأدهش الجمهور الذى كان جالسا . فقال الخليفة ـ أعتقد أنه أبو جعفر المنصور ـ اتركوه ، ومنحه بيتًا مترفًا على نهر دجلة وخدمًا هناك ، فرقت حياته وترفت مفرداته وقال : عيون المها بين الرصافة والجسر / جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى ، وقد تكون الرواية غير صحيحة لكنها تضرب كمثل فى تاريخ الأدب على أن المدينة والترف يؤثران فى مفردات وصور الشاعر ، فإذا كانت القصة أو الرواية تستوعب تعقيدات الحياة فى المدينة فالشعر أيضًا يستوعب ذلك ـ للشعر منحاه وللرواية منحاها كبقية الفنون الأخرى من رسم ونحت وموسيقى ـ وعندما يكون للشاعر صوته وتجربته الشعرية التى تسند ما يطرحه فى القصيدة ، وأن يكون فنانًا ، فالشاعر فنان ، وملوّن جيد

قادرًا علـى بناء قـصيدتـه بإحكام ، فالـناس تنصت لـه وبالتالـى تصل قصيدته، أنا أجد فى أغلب الأماسى الشعرية أن القصيدة تصل إلى الناس رغم قلة دواوينى وأدهـش أحيانًا لكيفـية وصول القصيـدة إلى الناس فى بعض الأقطار العربية . إذًا لا يزال للشعر نفوذه وسطوته .

الشعر والنجومية :

* هل تؤثر ظاهرة نجومـية الشاعر ،أو الشاعر الـنجم ، على الناس على حضور الأماسى الشعرية ؟

ـ عندما تعرف الناس أن هذا الشاعر تسنـده تجربته وأنه شاعر حقيقى لا يتلاعـب بالألفاظ أو (الشعـوذات) كما أسمـيها أنا ، فـالناس تحب سمـاع شعره وهذا لا عـلاقة له بنـجومية الـشاعر بل بـعمق ما يـطرحه الشاعر، عمق تجربته وفهمه للغة وتطويعها . أما النجومية فتظهر فى فترة معينة ثم تنطفئ . النجومية لا تكفى على الإطلاق وبإمكان الناس أن تميز وتكتشف الشاعر الحقيقى عن سواه .

* أنت تكتـب الشعر الـعامى (الشعـر الشعبـى العراقى) والشـعر بالعربية الفصحى ، فأين تجد نفسك بين الاثنين ؟

ـ للشعر العامى مزاياه وعالمه ، وللشعر الفصيح أيضًا مزاياه وعالمه ، إن ذلك يشبه الـشغل على مادتين مختـلفتين تمامًا ، فعندمـا تنحت على الصخر غير أن تشكل تكوينات بواسطة الطين .

* أيهما الطين ، وأيهما الصخر ؟

ـ الطين القصيدة العامية ، كون العـامية مطواعة وبعيدة عن موضوع النحو والإرث البلاغى الـذى يشد شاعر الفصحى بأبعـاد معينة ، ثم إن اشتقاقات العامية وتراكيبها تمنح الشاعر سعة وحرية فى اشتقاق أية مفردة

ربما غير موجودة أساسًا وتؤدى معناها . فى الفصحى لا يمكن ذلك ، فالاشتقاقات لها قوانينها النحوية ، وهذا لا يقلل من شأن الفصحى على الإطلاق ، فلها طبيعتها النحوية وهو ما أسميته النحت بالصخر . فهناك نحو وقوانين لغوية وقواعد بلاغية وهيمنة تراثية . لهذا عندما يحاول شاعر الفصحى أن يكتب قصيدة حديثة يتحرر فيها من كلاسيكية اللغة تكون له معاناته ـ هناك من يتحدث عن تفجير اللغة . لا يوجد مثل هذا المصطلح . هذا ضحك على الذقون ، هناك تطوير للغة وتعامل معها بمحبة وود لتكون قريبة وصديقة .

أما العامية فهى مثل الطين المختمر . فى أول زيارة لى لأهوار جنوب العراق شعرت بذلك ، الهور مائى وطينى وطبيعته انسيابية والماء فيه يتشكل ، كذلك الطين ، بأشكال عدة وأيضًا يجب التعامل مع العامية بمحبة حتى يتشكل هذا الطين مثلما نريد .

* هناك حملات دائمة واتهامات مستمرة للشعر العامى ، فى عموم البلدان العربية، كونه مضاداً للثقافة العربية ومن عوامل تشتيت الإنجاز العربى الإبداعى ، ولكونه أيضًا محدوداً داخل البلد أو المنطقة الواحدة ؟

الفصحى والعامية :

ـ الاتهامات ضد العامية فيها تجنٍّ كبير . العامية لهجة لها ارتباط كبير وواضح باللغة العربية الأم ، هناك اتهام على أساس أن العامية هى لغة شعوبية وهذا خطأ كبير ، فاللهجة العراقية يفهمها كل العراقيين ، صحيح أن هناك بعض الاختلافات فى المفردات بين الشمال والجنوب أو الغرب والشرق ، ولكن من الممكن كتابة قصيدة عامية يفهمها كل الناس، ثمة مفردات إذا كانت غير مفهومة فالمتلقى يبحث عن معناها ويفهمها ـ قصيدة « الريل وحمد » يقرؤها ابن الموصل مثل ابن العمارة أو

البصرة بل حتى من خارج العراق ، وفى الخليج العربى وليبيا والجزائر . لقد تفاجأت أن هناك فى الجزائر من يحفظ قصيدة « الريل وحمد » ويستوعب صورها . وكون اللهجات العامية تؤذى الوحدة العربية ، فهذا أمر مضحك ، العامية قادرة على الإثارة والتحريك أكثر من الفصحى . عندما تكتب قصيدة بالعامية حول أوضاع معينة يعيشها الناس ، فإنها تحركهم أكثر إذ يتداولونها ويحفظونها . ونادرًا ما نجد الآن من يحفظ قصيدة فصحى حديثة ، أو أن تبقى بعض أبياتها بين الناس . إذًا القصيدة العامية ليست شعوبية ، وهى أيضًا ليست معادية لوحدة الأمة العربية ، بل هى إغناء للشعر ، وفيها مادة لا تستحملها قصيدة الفصحى وفى الوقت نفسه من غير الممكن ، مثلاً ، أن تتناول موضوعًا فلسفيًّا بالعامية .

* ولك إن هذا موجود في قصائدك فأنت تتطرق لمواضيع فكرية فى قصائدك العامية .

- فى إطار عدم تحميلها أكثر من طاقتها ، القصيدة ، حتى الفصحى، عندما تحملها مادة فكرية أكثر من طاقتها لن تكون شعرًا بل فلسفة بحتة .

* أنت شاعر عامية أم فصحى ؟

- الاثنين . فى القصيدة العامية أتحدث عن أوضاع العراقيين ، قضايا الفلاحين مثلا . العامية أكثر إيصالا ،أكثر شجنًا ، فى القصيدة الفصحى أتناول قضية عربية أكثر شمولاً ، فقصيدة « آر بى جى » التى كتبتها بالفصحى عن الفلسطينيين وسلاحهم ، أو القصيدة التى كتبتها عن الشاب خالد الفلسطينى الذى هبط لطائرة شراعية وسط معسكر

(إسرائيلى) . حققتا تواصلاً كبيراً مع جمهور الشعر ، وتطلبان منى فى الأماسى التى ألقى فيها قصائدى . إذًا للقصيدة الفصحى أبعادها وخصوصياتها .

* تحدثت عن قصيدة « الريل وحمد » التى كتبتها عام ١٩٥٦ ، فما يزال الناس فى العراق يحفظون ويغنون هذه القصيدة التى ارتبطت بوجدانهم ، وكلما ذكر مظفر النواب ذكرت هذه القصيدة ، فما هو سر « الريل وحمد » ؟

ـ الريل يعنى فى لهجة جنوب العراق القطار ، وقد كتبت هذه القصيدة ولم يكن يدور فى ذهنى أنى سأطبعها فى يوم ما ، أو أنها ستنتشر هكذا ، وتثير كل هذا الاهتمام ، كتبتها لأننى شعرت بها ، شكلت لى بهجة داخلية غناء وجدانيًّا ، وكنت أكتبها فى ظروف خاصة واضعًا القلم والورقة تحت وسادتى ناهضًا ليلاً لأدون بعض المقاطع فى الظلمة ثم أنام ، كتبت هذه القصيدة عام ١٩٥٦ وأكملتها عام ١٩٥٨ ، وأخذها على الشوك من دفترى ثم نشرها دون علمى ، وكتب عنها الشاعر سعدى يوسف وقال ما معناه إن شعرنا العربى تسيطر عليه الهوية العالمية وهذه القصيدة زهرة نادرة فى بستان شعرنا العربى ، وأعتقد أن سعدى يوسف لخص قضية أساسية هى أن طبيعة هذه القصيدة لها هويتها، وهى ليست هوية الشعر العالمى أو القصائد المكتوبة بالفصحى أو القصيدة العامية التى كتبت فى السابق ، واعتبرها نقلة من القصيدة العامية التقليدية إلى مناخ جديد ، لقد فتحت « الريل وحمد » بمفرداتها المتداولة بين الناس أبوابًا جديدة أمام لقصيدة العامية . ومن العوامل التى أثرت فى كتابتها ممارستى للرسم ، والأجواء العائلية المشبعة بالموسيقى ـ كان والدى يعزف على العود ، ووالدتى على البيانو والأجواء الكربلائية .

كل هذه العوامل لعبت دورها فى بناء القصيدة ، وتشكيل عالم مختلف فى « الريل وحمد » عن غيره في القصائد العامية الأخرى .

موسقى اللغة :

* لكن بعد قصيدة « الريل وحمد » بسنوات بدأت القصيدة العامية لديك تأخذ منحى آخر ، وذات صور أكثر تعقيدًا ولغة أكثر صعوبة ؟

ـ لا أبدًا ، حتى عندما كتبت « الريل وحمد » هناك من قال : إنه من غير الممكن أن يتحدث فلاح بهذه اللغة . أنا لست فلاحًا . أنا شاعر ولى عالمى وأبعادى ، والشاعر ينقل عالمه ، والشاعر الذى لا ينقل عالمه الخاص فهنالك كما أعتقد نقص فى تجربته الشعرية .

* هل تجد هناك من يفهم قصيدتك العامية من الجمهور العربى أعنى غير العراقيين ؟

ـ بالطبع ، هناك الكثير من قصائدى العامية تطلب فى أماسى شعرية من قبل ليبين أو جزائريين ، مثلا . ففى أمسية شعرية فى ليبيا كنت أقرأ قصائدى المكتوبة بالفصحى وفوجئت بأحدهم يطلب منى قصيدة عامية (مو حزن لكن حزين) وفى أمسية شعرية لى أخيرًا ببرلين جاءت سيدة عربية وليست عراقية وقالت : إنها لم تفهم أغلب المفردات لكنها ستبحث عن معنى هذه المفردات لأنها تفاعلت مع أجواء القصيدة . وكنت قد أقمت الأمسية فى دار الثقافات العالمية ببرلين ، وهذا الانتشار ليس خطأ، العامية المصرية ، أو اللبنانية منتشرة فى كل مكان ، العامية تفتح آفاقًا جديدة حتى أمام الفصحى .

* هل تخضع القصيدة العامية لأوزان وبحور مثلما الفصحى ؟

ـ لا ، أنا بطبيعتى لا أدقق مع قصائدى ، وعندما كنت طالبًا فى

الجامعة كنت أهرب من دروس العروض فى الشعر ، وفى القصيدة الفصحى عندما أجد أى خلل أعود إلى ذهنى لأبحث عما تبقى من دروس العروض التى كنت أهرب منها فى الجامعة . فى العامية تسيطر علىَّ مشاعر وصور مستمدة من داخلى . من جماليات وصور وموسيقى. أذكر مرة أننى كنت فى سفرة للأهوار فى جنوب العراق ومرت قربنا زوارق (مشاحيف) فيها نساء .

وسألنا عن اتجاه المنطقة التى كنا نبحث عنها فأجبن بلهجة فيها موسيقى ، هذه الموسيقى هى شعر ، والعامية التى أنا على احتكاك معها،وهى لهجة أهل العمارة جنوب العراق . فيها موسيقى خاصة ، حتى في الأسماء عندما تصغر عندهم تكون (صويحب) و (جويسم) وهى صاحب وجاسم ، نجد موسيقى وسهولة فى النطق وهذا أثر بى بشدة .

وهناك حوار آخر على قدر كبير من الأهمية أجرته معه الكاتبة الكويتية نور القحطانى وتنبع أهمية الحوار من أن كويتية تحاور شاعرا عراقيًّا وهو ليس أى شاعر وليس أى عراقى فهو رجل مغموس بحب العراق حتى النخاع . هذا الحب الذى دفع شاعرنا من سنين حياته ومن حريته ومن صحته ثمنا غاليًا بنفس راضية وكان هذا الحوار كالتالى :

دخل علينا بقامة فارعة هى المعادل لقامته الشعرية ، وبرباطة جأش منطوية على ذاتها ، فمظفر النواب شاعر أكثر من كونه سياسيًّا !! تحدث بهدوء مفرط وبثقة لا يبدو أنها ستغادره ، فأعاد تشكيل الحلم فى مخيلتى الصحفية عنه : الشاعر المتمرد ، الثائر ، المطارد ، الحزين ، الملتاع . . . .

إنه ببساطة صورة لإنسان داخل شاعر وشاعر داخل إنسان ، مظفر النواب زاهد فى كل شىء إلا الشعر ، وهكذا كان علىَّ أن أضع (لعبتى الصحفية) جانبا فهو لا يمت بصلة لمن يتوجب على المحاور أن يدخله فى شراك لعبته ، مظفر النواب خارج سياق المقدمات وتفاصيلها ، لأن الأسئلة تتصاعد أمامه منذ أن أوقد شمعة الأمل فى السجن وحتى قصيدته التى لم تكتب بعد . . كذلك قلت له :

* دعنا نتحدث أولاً عن علاقتك بالمتلقى ، ويصح مع تجربتك استخدام كلمة الجمهور .

ـ فالعراقيين يحبونك كشاعر شعبى والعرب يرون فيك الضمير المعبر عن صرخة الشارع بوجه السياسة ، فهل تعتقد أن علاقتك بالجمهور تكتفى بهذه الحدود ؟

ـ لا أعتقد أن علاقتى بالجمهور العراقى تقتصر على القصائد الشعبية ولا حتى مع الجمهور العربى حيث السمة السياسية ، أما لماذا طغيان هذا الجانب ، فلأن الهم السياسى دائم الحضور فيلقى متابعة مستمرة ، لكن ثمة جوانب أخرى فى شعرى منها ما هو جمالى وصوفى تجد من يهتم بها من القراء ،وثمة دراسات كتبت تحديدًا عن هذا الجانب ، وربما المداخل السياسية الحادة تقود إلى التساؤل أكثر خصوصًا بعد إلقاء القصيدة أو عند الاستماع إليها مسجلة ومن بعد لابد أن يبحث عن الجماليات والرؤى فى متن القصيدة ، الشاعر رائى وثمة كثير من القراء يلتفتون إلى الرؤى ،خصوصًا عن قصيدة ألقيت قبل ثلاثين سنة مثلاً وكأنها تتجسد اليوم .

* حسنًا ، ألا تعتقد أن ردة فعل المتلقى المتواصلة على قصائدك

القديمة باتت حاجزاً أمام استقبال جديدك . فكثير لا يعرف مظفر النواب إلا مع قصيدة الوتريات مثلاً ؟

ـ أبدًا ، والمحك فى ذلك الأمسيات التى ألقى فيها قصائدى الجديدة، فردة فعل الجمهور لا تختلف كثيراً إن لم تتجاوز عن جماهيرية قصيدة الوتريات ، فهى كانت صرخة فى وقتها ، والآن ثمة قصائد خصوصًا السياسة التى تعالج الوضع الفلسطينى المتردى إن لم يترد الوضع أكثر ، أشعر أن الجمهور يتلقاها بالمشاعر نفسها مع أننى لم أنشرها لكنها تنتقل عبر الأشرطة المسموعة ، وحتى القصائد غير السياسية ، وهذا ما حدث فى المهرجان الذى أقيم مؤخرًا فى دمشق حيث ابتدأت بقصائد تحمل زمانيات معينة بعيدة إلى حدما عن السياسة وتفاعل معها الجمهور بتذوق خاص .

* هل تعتقد أن وظيفة الشعر تبقى مرتهنة بإلقاء الشاعر لقصائده من على المنصة وغالبًا ما تقوم أنت بذلك ربما لأن شعرك مصادر فى أغلب البلدان العربية ؟

ـ أعتقد ذلك وتحديدًا الشعر العربى ، ويمكن أن نلاحظ ذلك عندما يقال وقف المتنبى بين يدى سيف الدونة وأنشد شعره ولا يقال قرأ المتنبى، وهذا الإنشاد يلعب دوراً مهمًا كون اللغة العربية تحمل موسيقى تفتقرها كثير من اللغات الأخرى ، أما الجانب الثانى فهو خشية الأنظمة من التفاعل أو الجو الذي تخلقه القصيدة داخل القاعات والذى يختلف بالتأكيد عما إذا كان قارئًا واحد يقرأ قصيدة في منزله ، جو قاعات الشعر هو جو متكهرب يدفع إلى الرفض والتحدى والوعى .

وهنا لا أقول : إنها الوظيفة الأساس للقصيدة ، بل هى إحدى

وظائفها فالقصيدة التى تقال الآن لها تأثير وأبعاد قد تظهر بعد سنين عدة، والشاعر لا يحمل مهمة السياسى فى الخطاب المباشر ، وأرى أن الإلقاء. وإقامة الأمسيات الشعرية أمرًا مهمًّا وتبدو أهميته خشية الأنظمة العربية منه .

* يبدو أن ثمة جانبًا فى السؤال السابق لم نتطرق له ، قلت : إن العراقيين يحبونك كشاعر شعبى ، فهل ما زالت تكتب القصيدة الشعبية العراقية مع تنقلك فى أكثر من بلد عربى ؟

- لا لم أقلل من كتابة هذا النوع من الشعر لكننى لا ألقى كثير من القصائد العامية ، وما زلت أكتب شعرًا عاميًّا أكثر مما أكتبه بالفصحى ، ففى أمسية مدينة مانشستر الأخيرة قرأت فى قسمها الأول قصائد فصحى وانتقلت إلى القصائد العامية خلال القسم الثانى ، إلا أن طلبات الحاضرين الذين هم من أقطار عربية مختلفة كانت تشدد على الشعر الفصيح لصعوبة فهم العامية العراقية .

قد يبدو الطريق سهلاً أمام الشعر الشعبى العراقى فى سوريا والأردن وفلسطين ودول الخليج العربى .

* ثمة آراء يتبناها نخبة من الشعراء مفادها أن وظيفة الشاعر ما عادت تقتصر على الوقوف خلف المنصة وأمام متلق عادى ، بل اختلف الحال عما كان عليه فى زمن المتنبى وسيف الدولة ، ويأملون فى القصيدة بعثًا جديدًا وتأثيرًا مختلفًا ، كيف تنظر إلى الأمر وأنت أكثر من يقرأ شعره أمام الجمهور ؟

- قبل كل شىء ، أرفض وبشكل مطلق اتهام الجمهور وهذا من أخطر ما يمارس فى الوطن العربى ضد الجمهور، فى حين أن أيدى الاتهام

يجب أن توجه إلى مكان آخر ، أما الإيغال بالغموض بدعوى الحداثة فهو ما يصد ويبعد الجمهور عن كثير من النتاجات ، إذن لمن يكتب هؤلاء ؟ الشاعر يكتب لزمانه ويمتلك رؤى مستمدة من واقعه ومبنية عليه .

والأمر غير الصحيح هو المصطلح السائد عن الرغبة فى الغموض وكأنه كلما أوغلت فيه كلما كنت فى مستوى أعلى .

ولا أعتقد أن القارئ الجاد يختلف كثيراً مع القارئ العادى فى تذوق الجماليات التى تمنحها القصائد الشعبية ، لكن أصحاب الرأى المتبنى فكرة الغموض لا يطبقون هذا الأمر على تلك القصائد ، لأنه فى الأساس ليس ميدانهم ، فيعكسونه على ما أكتبه بالفصحى . والأمر ليس تنافساً، وأنا ضد التنافس فى الشعر ، لأننى أكتب ما ينتابنى من إحساس وعلاقتى بالناس وبالعصر ، أقوله وأمشى ، أما من الذى يقول شيئًا آخر، فذلك عظيم لأنه يؤدى دوره شرط ألا يرمى تهويمات بالفراغ .

وإذا كان المثقفون لا يتصدون للصراع فى أصعب مرحلة نمر بها فلماذا نلوم الجماهير ؟

* حسنًا ، هل تعتقد أن وظيفة المثقف هى وظيفة السياسى أو الجندى؟

ـ هى ليست كذلك ، إنها وظيفة أخرى لها علاقة بالصراع الذى يدور ، والمفروض بالشاعر طبقًا لتركيبته وحساسيته وحدسه ألا يتعالى على قضايا الناس ، نحن أمة مهددة بكوارث ونرى ماذا يحدث ، فإذا بقى المثقفون جالسين فى منازلهم لكتابة قصائد تقرأ فى الليل على ضوء خافت وموسيقى ناعمة ، فأين نحن من الصراع ، بل أين نحن كأمة؟

وفى كل ذلك لا أنكر وجود جماليات فى بعض النصوص ولكن إذا كانت متعالية على الناس لماذا تنشر ولماذا تطبع فى ديوان ؟

هؤلاء أنفسهم يشكون من عزوف القراء عن الشعر ، وأن زمن الشعر انتهى ، هذا الكلام غير صحيح لأنه ليس ثمة عزوف عن الشعر ولم ينته زمنه ، لكن الناس لا تهتم بمن لا يهتم بها .

* حسنًا ، هل تستطيع أن تحدد لنا كم من الشعراء الذين يحضر لسماعهم الآلاف عند إقامة أمسية شعرية ، كما يحدث غالبًا مع مظفر النواب ؟

- نزار قبانى له جمهور واسع وكذلك محمود درويش ، الجواهرى أيضًا .

* هل أنت نادم على كونك شاعرًا ؟

- لا ، أبدًا ، وأشعر أن الأشياء التى انتابتنى أبعدتنى عن أماكن عديدة كى أذهب إلى الشعر ، ربما هنالك قصد جهول يقودك كى تكتب القصيدة .

*ألم تكبلك القصيدة بالأحزان ؟

- على العكس ، وحتى فى أقصى حالات الحزن أجدنى فرحًا ، وثمة قصيدة لى يقول مطلعها (مو حزن لكن حزين) ، فالشعر يحوى فرحه الخاص ، ورغم كل مصاعب حياتى أجد أن الكتابة هى أمتع ما عندى ، وحتى ما بعدها وما تؤول إليه ، إنها باختصار أمتع حالات حياتى .

* لكن كل نصوصك مفعمة بالحزن ، ولا يبدو أنها تأمل بمغادرته ؟

ـ السعادة تعنى تحقيق الذات، فعندما تمر على الكرة الأرضية يجدر بك أن تكون قد تركت شيئًا كى تكون سعيدًا ، وثمة فرح يكمن داخل النص الحزين ، وهذا ما تحسه فى حالة النشوة والطرب عند سماع أغنية حزينة .

* إذًا هل أنت سعيد بعد كل هذا الشتات والمطاردة والغربة والبعد.. ؟

ـ ثمة هم وحيد لا يوازيه هم ، هو البعد عن العراق ـ لكن تبقى الأشياء الأخرى تحمل فرحها الخاص ، وبالذات حب الندس لى ، هنالك حب هائل بينى وبينهم فى الشارع والمقهى ، ألا يكفى أن يحقق الشعر هذه المحبة ؟

* بشأن الغربة عن العراق ، يقال أنك لم تغادره كمعارض سياسى وأن رئيس الدولة هو الذى سهل لك الخروج حينها ، فهل صحيح هذا الكلام ؟

ـ لم يسهل لى بالخروج ، والجانب السياسى هو الأساس فى مغادرتى العراق ، إذ كان الصراع محتدمًا آنذاك وقبل خروجى كنت معتقلاً فترة من الزمن ، وفى السجن الانفرادى ، وتحديداً عام ١٩٦٩

نعم ، صحيح بعدما أرسلوا لى من القصر الجمهورى وطلبوا منى أن أتبوأ المركز الذى أرغب فيه ، لكننى تكلمت باللغة التالية : أنا مقتنع بما عليه بين الناس ولا يهمنى المركز أو المنصب . وكان الرد أننا لا ننوى البيع والشراء معك .

حكيت قناعاتى بوضوح تام ولم أخف حرفًا واحداً حتى وإن كان يؤدى إلى كارثة ، ولا أنكر الاستقبال الجيد الذى حظيت به آنذاك إذ

كانت الأمور وقتها فى بداية الاحتدام ولم تكن حادة جداً.

إذن الجانب السياسى كان موجوداً في مغادرتى العراق ، وقبلها كنت قد طلبت الموافقة على طبع مجموعتى « الريل وحمد » فى بيروت وأسافر كى أتابعها وبالفعل سافرت ولم أعد .

* هل وجهت لك دعوات رسمية لزيارة العراق بعدها ،وكيف كنت ترد عليها ؟

ـ نعم ، كثيرة ، وكنت أرد على شىء أساس لأنهم كانوا يقولون اكتب ما تريده كى نحققه لك قبل عودتك إلى العراق .

والحقيقة أننى لا أمتلك مطالب بقدر ما هى مطالب الشعب الذى أنا جزء منه ، وسأعود إلى العراق عندما تعود للإنسان كرامته ولا أحد يعتدى عليه ، فالكرامة قضية أساسية ، وحدث أن كان وقتها أحد طلابى يحمل مسدسًا داخل الصف الدراسى فاستأت كثيرًا لكونه طفلاً وطلقة واحدة منه تؤدى إلى كارثة غير متوقعة .

إذن كان المطلب الوحيد هو مطلب الشعب برمته وليس لى مطالب خاصة ، وكرامة الإنسان فوق كل شيء ويجب ألا يعتدى عليها ، قد نختلف فى الصراع السياسى والتوجهات ، لكن سأحترم هذا الصراع عندما تحترمه السلطة ، وهى أجدر بأن تقوم أولاً بذلك لأنها تمتلك القوة وأنا لا أمتلكها .

* ثمة خلط تأسيسًا على ما قلته بين مظفر النواب الشاعر والسياسى فأيهما يتغلب على الآخر فيك ؟

* هل تبكى كثيراً ؟

ـ عندما أنفعل نعم ! اليوم مثلا كنت فى منزل العازف أحمد مختار

وبطريقة غير مقصودة أسمعنى شريطًا لجنازة المفتى الراحل رياض أحمد . فغالبتنى الدموع ، بكيت ، نعم بكيت . .

* هل تصلك صورة الوله الذى ينتاب العراقيين تحديدًا مع سماع نصوصك الشعبية ؟ هل تتحمس وطأتها عليهم وأنت البعيد القريب عنهم ؟

- نعم ، تصلنى وبشكل دائم خصوصًا بعد موجة سفر العراقيين ، وحديثهم معى أينما نلتقى ، أحيانًا نتحول إلى مناحات معبرة عن حالهم فى الغربة .

* هل كتبت نصًّا شعبيًا بمستوى النصوص القديمة التى لا تغادر الذاكرة ؟

- بشأن المستوى فلا يمكن تحديد ذلك ، لكننى أحاول وطبقًا للحالة التى تنتابنى وقدرتها على استفزازى مع بداية الدفعة التى ستشكل زخمها وإلى أين ستستمد ، وأحيانًا وأثناء المداخل أجد أن هذا النص لا يفيد فأمزقه ، ليس له زخم ، لقد أتلفت كثيرًا مما كتبته ، والقصيدة الجيدة هى التى تكتب نفسها فيما بعد ، وما كتبته أنت يكتب معك ، تحدث هذه الحالة لتثمر أجمل أنواع القصائد ، وأحيانًا وبعد الاستيقاظ عن سطوة الكتابة تستغرب كيف كتبت ما كتبت،لكونك تمارس الرقابة على ذلك،فثمة من يكتب فيك وثمة من يراقب فيما بعد على النحو واللغة .

* هل تعرف أن ثمة ما يشبه الأساطير أحبط ببعض قصائدك وأجواء كتابتها ، فحيك حولها الكثير من القصص ، هل تتذكر مثلاً أجواء قصيدة (البنفسج) مثلاً متى كتبتها، من قرأها أولا . . . ؟

- لا أؤرخ كثيرًا لقصائدى ربما لأننى أعتبر القصيدة عالمًا لا ينتهى ،

لا بأس بكل ما قلته .. لكنني لا أتذكر وقت أو حالة كتابة (البنفسج).. الصورة الشعرية تأتى نتيجة حسابات معقدة لا نفهمها ، أقرأ حاليا كتابًا عن التزامن يتحدث عن تصادف تتالى حدوث أشياء معينة دون سبب ، فالحديث قائم اليوم عن علاقات مجهولة غير العلاقات المستمرة ، لذلك عندما نفسر أجواء كتابة القصيدة وميزة تلك اللحظة ، فأنا لا أتذكر شيئًا أو لا أملك الآن على الأقل تفسيرًا لذلك ، لأن ثمة كما هائلاً من التركيبات لعشرات الأعوام الماضية هى التى منحتك هذه البناء أشهر .

* أنت شاعر بقيت صلته عميقة مع نصوصه الأولى ، لأن أغلب الشعراء يشعرون بالخجل إزاء ما كتبوه فى سنوات تجربتهم الأولى ؟

ـ أنا لا أتبرأ من أى جانب من جوانبى إطلاقًا ، مع ذلك أنا ما زلت أكتب قصائد جديدة وربما لا تصل إلى القارئ بسبب الظروف التى تحيط بنا ، وهنالك سيرورة للتطور جانب منها عقلى ، لكن المنطق لا يفعل شيئًا فى عالم الشعر الذى يعتمد على الحدس والمجاهيل ، ثمة شىء يتطور وأحيانًا ينشطر الشاعر إلى اثنين : الشاعر والرقيب ، وأشعر بالسعادة عندما تتناول قصائدى جوانب جديدة ، أعنى ثمة شىء ينمو ويتطور ، والقصائد التى أكتبها الآن هى بنفس البذرة التى كانت فى مظفر الطفل وصار بعد ذلك ، والمسيرة الحياتية للإنسان فىّ هى مسيرة الشعر نفسه ، لذلك ترانى لا أتنصل من أى قصائدى القديمة .

* لو تسنى لك أن تنظر لشعرك ، ماذا ستقول ؟

ـ لا أميل كثيرًا لهذا الجانب وأكتفى بالكتابة وحدها، وعندما أسأل عن شعرى أحاول أن أجد تفسيرات ربما لا تكون كما يعهدها القارئ .

أعتقد أن النقد ليس مهمتى ، على الرغم من ضرورته فى تربية أذواق الأجيال ، وربما ألجأ إليه بعد أن تتوقف بذرة الشعر بسبب العمر .

وغالبًا ما أسأل عن عدم طبع مجاميع شعرية ، والسبب ببساطة أننى كلما بدأت بإعادة كتابة قصائدى القديمة كونى أكتب بخط ناعم جداً ، لا أستمر فى ذلك بل أشرع بكتابة قصيدة جديدة ، وهكذا. . .

* هل تعتقد أن النقد مارس دوراً موضوعيًّا على نصوصك ؟

ـ لا يمكن البت بالموضوعية من عدمها ، لأنه لم يكن هنالك نقد أصلاً على شعرى ، لكن ثمة كتابات كانت شفافة وجميلة مثل ما كتبه الناقد محمد مبارك . أما كثير مما كتب فلا يرقى إلى مرتبة النقد بأبعاده وأدواته ، وهناك بعض المخاوف تراود النقاد وتمنعهم من تناول قصائدى بسبب تناولها السياسى ، وأيضًا هناك بعض المواقف المتحاملة علىَّ من بعض كتاب الصحف ، وآخر شىء كان على أمسية أقمتها فى مبنى اليونيسكو في بيروت وبدعوة من لجنة مكافحة التطبيع وغصت القاعة بالجمهور وحتى المداخل ، كنت منقاداً لقناعتى وحدها فقرأت قصائد مداخلها حمرية وسياسية ، فكتب ناقد أو هكذا يدعى ، مستثيراً ضدى الأنظمة السياسية ورجال الدين ، فلم يحدث ذلك أبداً وقال : إننى منذ عشرين سنة لم أتغير وما زلت أخاطب الأنظمة باللهجة نفسها ، فى ما هى تغيرت وتطورت ، بينما واقع الحال يقول : ليس هناك تغير أو تطور إذا لم نكن قد تراجعنا إلى الوراء .

وقال : إننى لم أحترم القمامات الدينية لكونى قرأت مطالع خمرية متناسيًا أن الشعر العربى يحفل بذلك ، وهناك رجال دين كتبوا مثل هذه القصائد ،وحتى الخومينى نفسه في ديوانه كتب قصائد غزل صوفى

وخمريات تصوفية وعرفانية .

* وهل ثمة أسباب أخرى غير ما قلته عن عدم جمع قصائدك فى مجاميع مطبوعة ؟

ـ السبب الرئيس هو ما قلته أما الأسباب الثانوية فهى ما يتعلق بدور النشر التى لا تحترم شيئًا ، عندما تعد بطبع ألف نسخة من كتاب ، فيما تقوم بطبع أضعاف هذا الرقم وهذا ما حدث معى بالفعل ، ويوجد حاليًّا فى مكتبات القاهرة وكندا وأمريكا وغيرها ما يسمى بالمجموعة الكاملة لمظفر النواب ، وليس لى أى صلة بطبع هذا الكتاب لأنه صادر عن دار نشر وهمية لم أجد لها أى أثر ويباع بثمن غال جدًّا ووجدته أيضًا هنا فى مكتبات لندن ، والكتاب سيىء لكونه مليئًا بالأخطاء اللغوية فضلا عن طباعته الرديئة . أيضًا هناك صحيفة تصدر فى شيكاغو نشرت إعلانًا تزعم فيه أن من يريد المجموعة الكاملة المسجلة لمظفر النواب أو محمود درويش فعليه أن يدفع ٥٧ دولارًا للحصول عليها . ومن دون أن أعرف كيف حصلوا على هذا التخويل .

ثلاثة أمنيات على بوابة السنة الجديدة

مرة أخرى على شباكنا تبكي
ولا شيء سوى الريح
وحبات من الثلج على القلب
وحزن مثل أسواق العراق
مرة أخرى أمد القلب بالقرب من النهر زقاق
مرة أخرى أحنى نصف أقدام الكوابيس بقلبي
وأضيء الشمع وحدي وأوافيهم على بعد
وما عدنا رفاق
لم يعد يذكرني منذ اختلفنا أحدٌ غير الطريق
صار يكفي
فرح الأجراس يأتي من بعيد
وصهيل الفتيات الشقر يستنهض حجم الزمن المتعب
والريح من الرقعة تغتاب شموعي
رقعة الشباك كم تشبه جوعي
و (أثينا) كلها في الشارع الشتوي
ترخي شعرها للنمش الفضي
وللأشرطة الزرقاء واللذة

هل أخرج للشارع؟
من يعرفني؟
من تشتريني بقليل من زوايا عينها؟
تعرف تنويني.. وشداتي وضمي وجموعي
أي إلهي: إن لي أمنية أن يسقط القمع بدار القلب
والمنفى يعودون إلى أوطانهم
ثم رجوعي
لم يعد يذكرني منذ اختلفنا
غير قلبي والطريق
صار يبكي
كل شيء طعمه طعم الفراق
حينما لم يبق وجه الحزب وجه الناس
قد تم الطلاق
حينما ترتفع القامات لحنًا أمميًّا
ثم لا يأتي العراق
كان قلبي يضطرب
كنت أبكي
كنت أستفهم عن لون عريف الحفل
عمن وجه الدعوة
عمن وضع اللحن
ومن قادها ومن أنشد

أستفهم حتى عن مذاق الحاضرين
أي إلهي : إن لي أمنية ثالثة
أن يرجع اللحن عراقيًا
وإن كان حزين
ولقد شط المذاق
لم يعد يذكرني منذ اختلفنا أحد في الحفل
غير الاحتراق
كان حفلاً أمميًّا
إنما قد دعي النفط ولم يدع العراق
يا إلهي رغبة أخرى إذا وافقت
أن تغفر لي بعدي أمي
والشجيرات التي لم أسقها منذ سنين
وثيابي . .
فلقد غيرتها أمس بثوب دون أزرار حزين
صارت الأزرار تخفى
ولذا حذرت منها العاشقين
لا يقاس الحب بالأزرار بل بالكشف
إلا في حساب الخائفين

* * *

أبو مشهور مقاتل فلسطيني
قاوم في مذابح الأردن ورفض أن ينسحب
ثم مات في ظروف غامضة بعد ذلك
صرة الفقراء المملوءة بالمتفجرات

أفل الليل
وقبرك في الأفق الشرقي يوازي السعف
يوازي همسات السعف
وثمة طير منكفئ تدفعه الريح
ورأسك في الطين البارد ساكنة
ترتاح إلى حجر
أرحم من هذي الدنيا وسفالتها
فالعالم آلة إيذاء
لا تتغير بعد الآن ولا الأرض
فإنك بالاسم الأول أحلى الأسماء
أقسم أنك تلتفت الآن إلى بلد الموت
وقبرك بعض خيام فلسطين
تفتش عن بيت يجمع كل الغرباء

الثورة بيت يجمع كل الغرباء
وتفتح جفنيك رطوبة ليل القدر نشيجا
لم يجد الوقت الكافي بالأمس لديك
وحرف يكتظ بكل إدانات الشهداء
والحرف يشخص بعض الأوهام
وبعض الأسماء
هل أنت تصيخ خلال مسام الأرض
لريح بساتين الموز
تهب على الغور
وتذرو في الليل بقايا مذبحة في الأردن والأشلاء
لم يبق سوى وتد واحد في الأرض
يطل على نهر الأردن في صمت
ويثبت حقا بالعودة
أكثر من كل حدود الخوف العرجاء
أدين بموتك مقبرة حولي يتفسخ فيها الأحياء
أدين بموتك
أزياء التاريخ وقاعات المؤتمرات
وعرض النظريات الأشياء
أدين بموتك
عهر الشارع
يقرأ فيه فاتحة وتثاؤبتين على الشهداء

أدين بموتك
إن رؤوس الأموال وراء الأشياء
أدين بموتك
لكن الصمت يعض على قلبي
حين أواجه أن حروف المرتدين بدون حياء
ولم الصمت؟
وأول ساعات الفجر تقوم بأكفانك
في غضب تتوعد كالبرق بأعلى الصحراء
تتسلل عبر خيام يستكثرها الحكام عليك
تشد الغدارة في وجد
وتقبلها
والصدر الثوري رجاء
تمسح باب القدس بما فيك من الشوق لها
وترش حدائقها . .
أقسم أن حمام الساحة سيعرف ثوبك
والأيتام سيجتمعون إليك بأمعاء فارغة
وعيون فارغة
وأماني فارغة
وملابس من صدقات السلم
وأنت تزور بيوت الفقراء
سيرونك تحمل صرة حزن مثل جميع الفقراء

سيرونك . .
تقطع تذكرة للصرة في الباص الإسرائيلي
وتجلس بين الناس الغرباء عن القدس
تسافر في صمت
وترى السهم على زاوية الشارع
ينزل آخر من في الباص
تنزل أنت سريع الخطو
تخط على أبواب مطار اللد خيانات ذوي القربى
وشراكتهم للأعداء
والآن فقط . .
توزع ثوبك . .
أكفانك . .
خاتم عرسك . .
تمسي مجهولا
وتوزع تلك الأشياء الربانية في صرتك الزرقاء
بأرجاء مطار اللد
وبعد قليل . .
حسب التوقيت الصيفي
فأنت تحب التوقيت الصيفي
تنفجر الخزانات
وتنفجر الصالات

وينفجر الحل السلمي
وتهتز اللد من النشوة
حين تراك تغادرها عجلا متقد القلب
تفتح دفترك الثوري لتسجيل أماكن أخرى
أدين بموتك
ألا تتفجر في الأرض أماكن أخرى
أدين بموتك
كثرة ما تحشى بالتبن فقاعات الصابون
فتصبح أسماء كبرى
أدين بموتك أصلا
إن الثورة تقطع أرضا لتسمى تلك فلسطين
بديلاً عمن مت لها والناس يموتون لها
ليست تلك فلسطين أبا مشهور
ولكن تلك خيانات كبرى
وأطايب بالسيف ليغسل بعض الأوهام
من كان مع السيد هنري فليرفع ياقته
من كان مع الثورة هذي فليرفع قبضته
قبضات الثورة أعلام
سيرونك تأتي من جهة القبر
تلوح عليك خمايل أفحاح البدو
تلفعت بخرقة خام سمراء

تحزمت قنابل في من حبل من مسد
تتوسط حول حقول النفط كموعد عشق
يا اللّه. . .
وقبل التنفيذ بمملكة النفط وشايات حصلت
قبل التنفيذ. . وقبل التنفيذ
حذار. .
حذار حذار أبا مشهور حذار
وألقى الحرس النفطي القبض عليك
وصار مصيرك مجهولاً ثانية في الصحراء
يحضر مؤتمر القمة للتحقيق
وتنزع أكفانك تنبش :
ماسمك. . ؟
لم تنبس
ما اسمك ها؟
لم تنبس
عمرك. . ؟
لم تنبس
وتبسمت
فليس هنالك عمر للشهداء
من أي بلاد أنت؟
تشير إلى الصرة. .

تلك بلادي

لنشهد أنك منها . .

لنشهد أنك منها . .

وتغذيت من البارود بتربتها

نحن الشعب

ونشهد أنك منها وتغذيت من البارود

نقسم أن نسترجع كل فلسطين أو التدمير

ونسف الآبار وحتى العودة

السهم يشير إلى الآبار

السهم يشير إلى الأسماء الكبرى

السهم يشير إلى الدول الكبرى

السهم يشير إلى مكة

السهم يشير إلى . .

إذ ذاك يغص التحقيق

ويسقط ريش الحكام جميعا

ويصوت أن تدفن فورا

تدفن فورا

وتقوم وتدفن ثانية

وتقوم وفي يدك الصرة ثالثة

تدفن رابعة تذهب ألفا

تدفن ألفا

تذهب آخرة وفراقا
وتحاسب هذي الدنيا
حتى تشهد أنك منها
وتغذيت من البارود بتربتها

* * *

اعترافتان في الليل والإقدام على ثالثة

في الهجر جفاني اللؤلؤ
في الوصل رعاني الصدف
كنت أنت حضوري مولاي
تعذبني الصدف
لوثني عسل الليل
وغام قميصي الصيفي
ونهنهني السعف
وتمارس كلّ فراشات المرج بأكمامي
شغل الليل
ومن عبقي
شبعًا ترتشف
أسكبهنّ ثملات شف مفاصلهنّ
نزيف الألق القمريّ
على مفصل ماء
بالسرة ترتجف
وأمد يدي مولاي!
إلى سرتها تتغارق

في الطيب الشاميّ
ولا ترسو ألا أتلفني التلف
تطردني الباب
وتترك في جيبى المفتاح
بأن فيها أنصرف
مولاي أدرت المفتاح
ففاضت كل زوايا الحجرة بالمسك
وكادت كالنخلة تنتصف
نهرتني من خديّ كالطفل
دخلت حجِيرتها
ما أوسع هذا التصغير وأرطبه
من صادف تصغيرا رطبا في النحو
تفرغت له وبعون اللّه سأحترف
أتوب وصمتي يعرف كيف الصبر على جسد
كان تنتأ زهرة لوز
فاضطرب الطلّ الخالق عشقا
وتهيجت النطف
واكتظّ حليب اللوز فهيما
وانسحب الشرشف تحت النهدين
وشفشف على ضلع فاترة
تتلجلج فيها الألوان المائية والشغف

أرجعت وثارة شرشفها الخمريّ
وغطيتهما
أقسم عذريا
لكنهما مساني مسا
مولاي لقد مساني مسا
مولاي لقد مساني مس "النوكة"
فاختلط الفستق والشرف
لم تر أعيننا أنفسنا لكن مولاي
سمعنا زقزقة بين الجسدين
كأن عصافير الدنيا تتأهب
ليس لها هدف
فيم أخذت حكايات وشايات الليل
أما كفروا
شاركتك بالخلق
وما شاركت سوى فيما يتنزل من حسنك في
وترتفع السدف
ضيع بيتك انصفني
لا ألقاك
ولا يغزلنا الصمت
ويحكي المشمش والتوت البريّ
وتختلق الطرف

ضيعه فاشتاق إلى لا شيء
أنا أشتاق إلى لا أشيائك أيضـ
تذهلني
أنت ولا أنت
واجهل أو اكتشف
ما غربة روحي ترف
دقوا كفي بمسمارين من الصدأ البارد
فارتج صليبي
وانهاروا من الي
سألوا قدمي الغفران
وساح المكياج على أوجههم ءالشرف
أينك مولاي
سكوتك أوجع من صلبي
وناداني في الفقر
كأن غزالا يسلخ في حمى العشق
يشابك جفنيه الوطف
هذا ثالث صلب
أخشى في الرابع أكفر يا مولاي
وكل الأشياء بقلبي تنعطف
مولاي اتفقوا ساعة شنقى حتى الموت
وحين شنقت اختلفوا

كانت ضحكتهم
أخجل مولاى أقول
قد أسفوا بعد التنفيذ
فجاء كما الطعنة فى جسدى الأسف
مولاى شموعك ترتجف
سامحك العشق أبا الطين يشك الخزف
كن أنت حضوري الدائم في
تعذبني فيك الصدف

* * *

في الرياح السيئة يعتمد القلب
الأساطيل

إيه الأساطيل لا ترهبوها
قفوا لو عراة كما قد خلقتم
وسدوا المنافذ في وجهها
والقرى والسواحل والأرصفة
انسفوا ما استطعتم إليه الوصول
من الأجنبي المجازف واستبشروا العاصفة
مرحبا أيها العاصفة
مرحبا.. مرحبا.. مرحبا أيها العاصفة
احرقوا أطقم القمع من خلفكم
فالأساطيلُ والقمعُ شيءٌ يكمل شيئا
كما يتنامى الكساد على عملة تالفة
بالدبابيس والصمغ هذي الدمى الوطنية واقفة
قربوا النار منها
ولاتخدعوا إنها تتغير
لا يتغير منها سوى الأغلفة
مرحبا.. مرحبا أيها العاصفة

أيها الشعب احش المنافذ بالنار
أشعل مياه الخليج
تسلح..
وعلم صغارك نقل العتاد كما ينطقون
إذا جاشت العاطفة
لا تخف.. لا تخف..
نصبوا حاملات الصواريخ
نصبوا جوعك
ضع قبضتيك على الساحل العربي
وصدرك والبندقية والشفة الناشفة
رب هذا الخليج..
جماهيره
لا الحكومات.. لا الراجعون إلى الخلف
لا الأطلسي ولا الآخرون وإن نضحوا فلسفة
لا تخف..
لا تخف.. إننا أمة
- لو جهنم صبت على رأسها- واقفة
ما حنى الدهر قامتها أبدا
إنما تنحني لتعين المقادير إن سقطت أن تقوم
تتم مهماتها الهادفة
يا حفاة العرب.. يا حفاة العجم..

ادفعوا الهادر البشري المسلح
ضكوا على عنق السفن الأجنبية
الووا مدافعها في ادعاءاتها الزائفة
حشدوا النفط
فالنفط يعرف كيف يقاتل حين تطول الحروب
وقد يتقن الضربة الخاطفة
يا جنود العرب..
يا جنود العجم..
أيها الجند
ليس هنا ساحة الحرب
بل ساحة الالتحام لدك الطغاة
وتصفية لدك بقايا عروش
توسخ في نفسها خائفة
أيها الجند
بوصلة لا تشير إلى القدس مشبوهة
حطموها على قحف أصحابها
اعتمدوا القلب
فالقلب يعرف مهما الرياح الدنيئة سيئة جارفة
هل أرى.. كل هذا السلاح
لقد داس من داس متجها نحو يافا بنيرانه الجارفة
جاء يوم الجماهير ما أخطأت إنها لمقاديرها زاحفة

ليس وعدا على ذمة الدهر
غير الجماهير والعبقريات والعاصفة
مرحبا أيها العاصفة
مرحبا. . سيقوم من الجرح أكثر عافية وطني
بجراحاته النازفة
دفنوه عميقا فقام التراب به إذ تمـلمل
فالقوتان هي القوة الخائفة
صرت شوقا مخيفا لكثرة ما اشتقت يا وطني
أن أحط على كل باب خدودي وألثمها
مثلما شفتى هاتفة
أيها الدم العربي لماذا هزمت
وواجبك العسكري فلسطين
أنت أجب أيها الدم يا سيد المعرفة
أيها اليأس. .
يا مثقلا بغرائزي سما على شفتي أمتقع
أيها الزبد الأرجوان الثقيل على شفة الملحدين
بكل القبائل زد وارتفع
رفرفي راية الحدس
ردي الشجاعة للدهر تستيقظ الفلتات
وتعطي نبوءتها القاصمة
اجمعي أمة الحزن واستأمنيها المفاتيح

دهرا فدهرا
فمهما بدت للوراء تسير بها النكبات
هي الأمة القادمة
شفتاي امتداد لجرح بها كلما صاح صحت
فأمي هي النخلة الحالمة
وأمي هي الأنهر الحالمة
وأمي التي علمتني على الصبر
آنئذ علمتني على الطلقة الحاسمة
وطني البدوي.. نساؤك منهوبة
ويباهي رجالك نصرا بأعضائهم فرحين
فما زالت العاصمة
تُب قوم زعاماتهم أرنب عصبي جبان
وعزمهم خصية نائمة
اسكتوا.. فالحكومات في استها نائمة
لا.. لا فحكومتنا دون كل الحكومات
فزت من النوم شاهرة سيفها
وعلى صدرها ما تشاء من الأوسمة
طعنتنا ويشهد الإله مثل البقية مستزلمة
إياس.. يا سيد الموقف اعصف ودمر
اقبل حزن يديك
اتقد.. طهر الشعب من لعنة الجبر

شمر.. وذوب مقاديرنا الشحمة
تمرد.. تمرد.. فهذي الشراذم ملعونة الأبوين
على عهرها شدت الأحزمة
من جلالته بالحجاز يزج بكل أذان إله
إلى خير الأنظمة
شهوة نحرت باتجاه أميركا سبعا وسبعين في لحظة
وتوضأ مجرمها بالدماء
وصلى إلى قبلة مثله مجرمة
يا جُهيمانُ حدق فما يملكون فرائصهم
نفذت.. نفذت
زرعتهم قرحا
ونفذت نفذت بعيداً فأصلابهم عاقمة
فإذا طوفوا كان وجهك
أو سجدوا فالدماء التي غسلوها
تسد خياشيمهم ومناخيرهم وقلوبهم الآثمة
لم يناصرك هذا اليسار الغبي
كان اليمين أشد ذكاء فأشعل أجهزة الروث
بينا اليسار يقلب في حيرة معجمه
كيف يحتاج دم بهذا الوضوح
إلى معجم طبقي لكي يفهمه
أي تفوه بيسار كهذا

أينكر حتى دمه
ويا ناصر بن سعيد
إذا كنت حيا بسجن
وإن كنت حيا بقبر
فأنت هنا بيننا ثورة عارمة
أيها الناس
هذي سفينة حزني
وقد غرق النصف منها قتالا
بما غرقت عائمة
وشراعي البهي شموخي
تطرفت وعيا وأدرج في كل يوم
كأن لي في قتلهم قائمة
لا أخاف
وكيف يخاف جمهور بطلقته طلقة كاتمة
قدمي في الحكومات
في البدء والنصف والخاتمة
حاكم وحمت أمه عملة أجنبية في يومه
فأتى طبقها
وانقلاب بكل الحبوب التي تمنع الحمل يزداد حملا
وسلطنة ربعها لحية وثلاثة أرباعها مظلمة
ومشايخ ملء الخليج

مراحل بعد الفراغ
وأموالهم ذهب إنما أكرمة
والجماهير قد حولت وزنها ضجة
والبلاد إذا سمنت وارمة
وقد تشرق الشمس من حزننا غاربة
ينطبق الجوع منذ ولادتنا
ويشب بنا الموت والأتربة
وأجانب مهما نقاتل
والحاكمون الخصايا هم العرب العاربة
حاكم طوله وكرامته دون هذا حذائي
ويضرب طولاً بعرضٍ هو الصفر
مهما تك الآلة الضاربة
بصدق الانفجار بنيرانه اللاهبة
أيها الجمع صه
لا تصفق لأنظمة غائبة
ما لها تتثاءب هذي الجماهير
تهتف وهي منومة
زلزلي.. واكفهري.. واكفري
اكفهري يا أجمل من أمة غاضبة
امسحيهم فهم حاكمون بغايا بأفواههم
والشريف الشريف شهامته سالبة

اركليهم فأقدارهم يركلون
وأقدارنا القوة الضاربة..

* * *

البقاع..البقاع

لم يعد في المحطة إلا الفوانيس خافتة
وخريف بعيد.. بعيد
وتترك حزنك بين المقاعد ترجوه يسرق
تعطي لوجهك صمتا كعود ثقاب ندي
بإحدى الحدائق
إن فرشت وردة عينها يشتعل
وتجاوز خط الحديد
كأنك كل الذين أرادوا الصعود ولم يستطيعوا
أو انتظروا
أو كهاو اكتظ دفتره بالدموع
دموعك صمت
ثيابك بدعة صمت مقلمة بالبنفسج
لم يبق زر بها
وحقيبة حزنك قد ضيعت قفلها
لم تزرر قميصك.. بنطالك الرخو
لم يبق شيء يُزرر
لا أنت

لا صوتها
لا المحطة
لا الأمس
آخر قاطرة سلمت نفسها لم تقاوم
على فكرة
صوتها طائر ينهل الصبح من لوزة
سلمت نفسها
آخر القاطرات انتهت
سلمت نفسها لم تقاوم
أخذت رجائي وصغرته سنتين
وأجلسته فوق مصطبة سكرت من أريج النساء
لا تقلب متاعي الحزين أمام الأجانب
فالثياب القديمة مثل البكاء
وأخذت الهوية منه
ووجه الهوية مما مسحت الإساءات
لم يبق فيها انتماء
لم يعد في المحطة إلا الفوانيس خافتة
وخريف يسير بعكاز ورد
وتترك حزنك بين التذاكر
ترجوه يذكر في منزل
في طريق بطيء التذكر

قاطرة أصبحت مسكنا
وتقدم وجهك عود ثقاب
لكل الذين قد استهلكوا
وعلى علبة الأمس
تقتات
تسحب نفسك
أمسك
في نفس هادئ
ونساء ببهو الثلاثين ضاعت تذاكرهن الرخيصة
تدفع تذكرتيك وتبتاع لمسة نهد مصغرة
وعلى فكرة
أنت من شدة الحزن والصمت تقطع تذكرتين لنفسك
تقطع حزنين.. حزنين
تقطع كل القطار تبيع دموعا وحلوى
لأن القطار بلا امرأة أو صديق
وأنت دخلت ليالي الشتاء
ساكنا كالصخور الحزينة في قمة الليل
تبكى بكاء الصخور المنيعة
تجتازها الريح في آخر الليل
لم يبق من نجمتيك سوى ثؤلولتين وتبتسمان
تبتسمان كثيرا

ووجهك عرش من الشهوات تهدم
طال احترام النساء له
والسكارى حزينا
كأن حصاناً من الشمع قبل الصهيل يذوب
كأنك طيب من الشمع لم تنطبق شفتاه ثلاثين عاما
وتهرب من قاعة الشمع
من خطب الشمع
والحاضرون يتوهون فوق الكراسي
تمنيت لو كل هذى الثلاثين عـما تنظف مغسلة
أو تبلط حجرة حزن
تمد الحديقة سكتتها النرجسية صوبك
أنت مرايا تصير إذا لمستك الحديقة
أو غمزتك تنام بزهرتها في المساء
كيف تستأجر الانتحار بدرب طويل
وتقطع تذكرة وتمزقها وتقرر ثانية
تستدين من الصحب جرعة خمر
وتذكرة ثقبت مرتين
ورقعة ود
كأنك صندوق جمع الإعانات للحزن
تخدعهم في القطار
تفضل

وتحني أمام المفتش رأسك ليس احتراما له
بل لثقوب البطاقة
مثقوبة
مرة.. مرة سيدي
مرتين
ويلبث وجها من الشمع يأخذ منك اشتياقك
يأخذ منك البطاقة
يأخذ منك الهوية
انزل...
نزلنا...
ويلقى الهوية قد مسحت مرتين
صحبك المدمنون على نفسهم غادروا مرتين
أغلقوا بالحجارة والصمت واللامبالاة أبوابهم
والغبار بلون البنفسج يا سيدي
إنهم يكنسون السكارى
مناخ من الذكريات المطيرة
من عبروا الجسر لم يعبروا
والذين غنوا الأغنيات يرين السكوت عليهم
وهذي البطاقة قد عبرت أحدا مرتين
ريقها بارد.. بارد مثل جرار قبر الحسين
كنت في حاجتين لها

تفتح الباب في رقة كبكاء الحرير
وتفتح أفواهها وحكاياتها وبطاقتها النرجسية
في دفئك العائلي الخطير
ثم ترفعها آخر الليل قارورة من عقيق
وتسكبها في ذكاء السرير
كنت في حاجة لكتابة شيء أخير
لم يعد أحد في المحطة
عادوا لأحزانهم
أو هم اختطفوا مثلما يحصل الآن في كل يوم
أو استعملوا كالقناني الجميلة
أو بالقناني الجميلة
أو استهلكت نارهم
وغفوا بين رماد السنين
لم يعد سيدي . .
ورجائي رجاء البنفسج أتلفت نفسك بالشرب
أي قطار بهذا المساء الحزين
انتظر . . انتظر
انتظر أيها الصاحي جدا
هنالك قاطرة للبكاء تقل المغنين والحالمين
ألغيت
خذ إذن جرعة

رغم أن الخمور وغير الخمور بهذي المحطة مغشوشة
ربما تفهم اللغز
سوف أوري المحطة فاصبروا
تعطي دخاناً بلون المناديل والقبعات
تهز قناديلها أكثر مما لنا
كتب اللّه فوق الجبين
إن تأخرت.. أغلق برقية الحزن للصمت
قد أخرتني
وأغلق للياسمين
أغلقت بابها
ما طرقت احتراماً لغفوتها ولعشقي
ولما تأخر بالباب حزني طويلا
ورأيت مفاتيح غرفتها
ومشابكها
ومشداتها
وانتظاري بأيدي سكارى الموانى
بكيت البلاد التي تقتل العاشقين
أين كانت كلاب حراستها
أم تراها تهز الذيول لمن يعتليها
وترسل أنيابها بالشحارير
إن كان صوتي أقل الشحارير شأنا فلم يرتجف

والمخالب تقدح حولي
ولا غيرت دوزناتي لغير الهوى والحنين
أغرب الأمر.. بعض الشحارير
لما رأتني لست أحط على الفضلات كأحوالها
نبحت كالكلاب
إلهي إني كفيل بتلك تكفل بهذي
فأنت خلقت جناحا لها لتغني
فصارت تهر
تعض وأخشى تعضك أنت كما الآخرين
لم تعد بلدة لا تربي كلاباً مدربة
ضد من يرفعون مزاميرهم للصباح
فأين البقاع.. ؟
أحذره من دخول الكلاب بكل انتماءاتها
ليظل بلاد البنادق والأغنيات
وكل الذين على دهرهم خارجين
سوف أوري المحطة
بيت لنا بالبقاع أمين.. أمين
يعشي البساتين..
يملأ مخزنها بالرصاص
وبين حراساته
أغنيات عن القاعدين بحضن المنافى

أيبقون في حضنها قاعدين
ولدتنا البنادق يوم الكرامة
والأمهات لهن حقوق على البالغين
أنت يا مدفعا
يا إله يمد بقامتيه بين زيتونتين بقاعيتين
وينشق خطين مما ارتفاعك في الجو
لون السماء وسرب الغمام وسرب الحمام
كأن حديدك يفقد وزن الحديد لسرعته خلف أسرابهم
ليت كل المدافع تقرأ ما أنت قارئه في الظلام
ارفع الكف صبيرة جرحت نفسها
لونت وجهها وردة
في الضباب المشاغب عشقا
وأترك خطوة حب
تغرد ما بيننا بالرضا والرؤى والسلام
باليدين الفدائيتين غدوت إله
وإلا فإنك مما يكدس أهل الكلام
ثمل ليس عيب على ثمل بالسلاح
فإن العراق قديم بهذا الغرام
أيها السكر كم قد سكرت بنا بالعراق
وأسكرتنا
نم بمرارة غربة العمر

فبعد العراق جهلنا ننام
وافترشنا لهيب الرمال
فواحاتها غازلتنا بجرعة ماء
رأينا الخناجر فيها
وما للغريب سوى واحة أن يكون الصيام
ارفع الكف صبيرة جرحت نفسها
كذبوا ما انتميت لغير لهيب الدهور
كذب المنتمون لكل نظام
إنني شارة في طريق الجماهير ضد النظام
يتبارك هذا الضحى
مخمل يلمس الروح تبكي
فتى يرجم الشمس في غابة الصمت
والآخرون استقلوا فتوة أقدامهم
غازلتني البنادق زيتية النظرات
وضعت قميصي برحمة صفصافة
لم تسيج بغير رضا الشمس عنها
وأرجوحتان من القبرات توالف صوت الرصاص الفتي
تدغدغ خد البساتين
مرحى لهذي البيوتات
مرحى لهذي القواعد
مرحى لهذي البساتين

تخرج للصبح عذراء
ماء اليفاعة يكشف عن جسمها
تفرش للفرح الحلو سجادة
اجلسوا يا رفاق.. خذوا قهوة الصبح
شق كشق الفواكه في القلب
من أنت..
يا أنت..
يا قاحلاً ليس فيك سوى الحزن
يمسك رشاشة في الهجير
استرح لحظةً يا حبيبي هنا قهوة الصبح
أو تشتهي بالذخيرة تدخل في سورية الذاريات
تعانق قنطرة..
ستمر مدرعة باتجاه الشمال عليها
اختفي.. اقتربت
قبلت طرفا من حذائك
اتل فلسطين قبل الشهادة
اسحب أمانك..
اسحب أمانك..
اسحب أمان أمانك.. نار
حمل النهر شبه مدرعة
لا تزال بكفين مقطوعتين

تشد على صدرها
تقبض الروح منها
وترخي يديك قليلا وتفرح
ثم قليلا وتفرح
زفوا جنازة ورد
وتذهب بين البساتين
بين القرى حبقا
وحكاياتنا حبقا
تختفي كالمصابيح . .
أعمدة الكهرباء
وجوه القرى في دخان القطار
خرجوا في أعالي الدجى
والقلوب بقبضاتهم تنشر النور
في غابة اللوز والعشق والذكريات
ولم يتركوا قرية . . فتشوا عنك . .
لم يلقوا البندقية
لم يعرفوا أنت للنهر سلمت
ونمت نعنا لا يقاوم إغراؤه
فرقة الليل عادت بثوبك
فالأغنيات تعسكر بين البساتين رافعة شارة الانتصار
يتبارك هذا الضحى . لفظ الناي أنفاسه

قطعة قصب الحلو أدت نشيد الخلود
وجدنا الشظايا الطروبة فاغرة فمها
تتملى النجوم تلتقط من كرمة في الجليل وتصعد
كان يراقبها وتركناه
كان يريد يظل وحيدا
أمام فلسطين يحكي هواه
تركناه كاللوز يعقد بين عيون دلال
وبين الشهادة في الخالصة
نحن جئنا إلى العرس من آخر المدن العربية
من زمن القمع والقهر والقتل والتركات الثقيلة
شق كشق الفواكه في القلب
لم يحمل السيد البندقية مثل اللصوص بغيا إلى بيته
بل عروسا
وقد عقد العرس في زهرة التين
كل الدفاتر جاءت بثوبين من خالص الفجر
بعض القرى قدمت بالهدايا البسيطة
كان المهم المجيء
بعلبك جاءت.. وعامل..
طيبها اللّه أُمّاً وشيخاً وراغب حرب
فهم منذ خيبر لوالد البندقية أب
جد وأب

إيه أهل الحمية. .
أنصار يجثو على صدره باب خيبر
فاقتلعوه لديكم بهذا نسب
وهو السيد الآن يمسح أنف العروس
مسافة حزنين بالورد
والسيد الآن شد على قهوة الليل والصبر
أعصابه قاذفات اللهب
أمر النار فاستبسلت في نقاء الذهب
صدر الأمر للراجمات
توازي رضا اللّه عنها وعزته والغضب
مسح الجرح في قدم ثبتت
ليتها ثبتت مثلما قدميك جيوش العرب
أبعد اللّه عنك وجوه المشاريع
تجعل حتى البنادق تبكي
ولا تطلق النار
إلا كما تطلق النار بعض اللعب
رافق الصمت يحمل نعشاً من القبرات الحزينة
في حدقات البساتين
تأتي القواعد باقات ورد
ويأتي الرصاص دموعا وحلوى
وتخفق في الدرب أم كراية حرب

برغم التمزق راية حرب
وشق كشق الفواكه في القلب
أرجوك سيدتي
لا تزيحي نقاب القتيل
فلم يبق إلا أصابعه طوقت مخزن النار
واسترسلت بالطرب
وجدنا قريباً من الدم كِسرة خبزٍ تزغرد
لا بد أطعم بعض العصافير
غنى لها أغنيات الوحيد أما الدروع
ولا بد. . لا بد ضاجع هذي القناطر واحدة بعد أخرى
ولا بد عانق سطح مدرعة
حل خوذتها بهدوء
وألقى الفواكه تفاحتين من الصمت
تفاحتين من النار
تفاحتين من الجحيم. . الجحيم
ولا تنتهي
أنت لا تنتهي
حزني يوم خروجك من بيروت
للملح. . لليم كاليتم
كاليتم لا ينتهي كالقدر
انشر الآن وجهي راية عشق لديك

وصبارة العمر تجمع عندك ماء لأسقامها
قطعوا الماء عنها فلم تنحن
هكذا كل صبارة سيدي
إن رماها الظما أو رماها حجر
هكذا جئت كل المحطات صفا ورائي
فمن لا يجيء بقاطرة بالمحطات يأتي
فإن لم يجدها يسافر يا سيدي بالسفر
يا عريس البقاع تسيج
فبعض الذين يحملون الزفاف يريد العروس
وبعض الزغاريد يوجب أقصى الحذر
من زمان يبرج عشق البنادق غرناقنا وغرانيقنا
ونسور العراق
وعشنا على جمرة الصمت
والوحل. . والبرد
من زرقة الشفتين كتبنا الأغاني الحزينة
كان البنفسج ينمو بأضلاعنا آخر الليل
انتظروا الشمس
لم ندر من أين في بادئ الأمر جاء الرصاص
تثقب ضلعي وضلع رفيقي
ولما يكن جاوز الوردتين وشهرا
ومن يومها وضلوعي مزامير حزن يا سيدي والسهر

وزعت حقولا من الأسبرين المرير بجسمي
كأني صداع بهم ليس يشفى
انتظرت كياناتهم تنتهي فأعاتب شيئا يساوي عتابي
أعيد الدموع القديمة فوق الرفوف مع العلب الخزفية
إلا كما لا أصرح يا سيدي
دمعتين سأخفيهما تؤلماني
وفي مدخل البيت أسترجع الزنبقات
وعود أبي ينشر الفل في حجرة الشاي
علمني أتدوزن قبل لقاء الضيوف
وقبل ارتفاعي إلى شرف البندقية
كان يقول الأغاني كشق الفواكه في القلب
كان يقول أهم المغنين من يشعلون الأغاني
ومن يمطرون المطر
قال والعود شارف آخر أحلامه
والمفاتيح لم تعد تستجيب له
أين أنت
لماذا تأخرت عن موعد النغمات الأخيرة والشاي
قلت أقبل كفيك في غربتي
لا أزال بأرصفة الليل
كل العراق بأرصفة الليل يا ولدي
كل هذي البلاد بأرصفة الليل للشحن يا والدي

غير أني ما بعت وعودي
ولا مثل شيخ الغناء الرخيص
رقصت بها كلما جاء بغداد والٍ جديد
كثيرون باعوا
كثيرون ناموا هنالك واستغرقوا
وبقيت مغني المحطات والعربات التي لا مصابيح فيها
وأسحب جفن الذين ينامون في الذل
أنظر ماذا بأعينهم
يا عيوني. . لماذا تنامون
إن المغني يغني
عن الفجر بالدشت والرشت
والرشت هذا أمير المقامات قبل الصباح
أمير الشعر
فأعلن. . . . فأعلن
(   ) قبضوا
أصبحوا الآن أرصدة وانتهوا كرجال
باعوا الحقل يا سادتي
والمغني بحبة قمح يهيم على وجهه
دفع العمر من أجلها وسقاها على البعد بالدمع
يا رب احفظ بلادي وأطفالها
والأزقة والأمهات

وعود أبي
واجتماع رفاق السلاح على خطة للنضال
رب لم يبق في العمر شيء
سوى ساعتين صباحا على دجلة والعراق معافى
نزيل المنافي عن الروح نغسلها ونوافيك غير حزانى
وأنظف شيء بنا القلب والراحتان
وأغنية للوصال
وهو السيد الآن يعقد.. يدعو البساتين
والزمن العربي لشن قتال
وتأتي من النهر مقبرة قبلت خدها المرمري الشموع
وتفتح مثل المدارس في ساعة الانصراف
إلى البيت أبوابها
يخرج الشهداء الصغار إلى العرس
من كان منهم رضيعا بصبرة
يبقى على حجرها ضاحكا
يترك السيد الآن خيمته ويجيء إليها.. وينفردان
تسلمه إصبعا لم تجد غيره
من تراه يكون
تقرب من رأسها رأسه..
يبكيان..
وتخفي أساها ويخفي أساه

تقلبه وتعود إلى حزنها المرمري
كما للسواقي تعود الظلال
وتعلو الزغاريد في خيمة العرس
يا شعب
عاد الوسيط الجديد إلى أمه فاتحاً فخذه ويعرج
ماذا به يا رجال
ربما الاجتماع
ربما.. ربما..
صوت رشاشة صار فتقا به واتساع
بيجنن.. ريجنن.. شولتزن..
فهدزن.. سلطانزن
كتائزن ..كل هذا نهايته في البقاع
صاحبي ليس يعطي المفاتيح
كل المزامير تجلس بين يديه
وكل الموازين تجمع ميزانه للصراع
صاحبي صاحب الدهر هذا البقاع
كلما ارتفعت راية عانق الارتفاع
فإذا راية أنفت من يد نكستها
تخطفها عاليا
تتمرى النجوم بها وتغار القلاع
علم البندقية عز الهجوم وجنبها الذل

فاستبسلت وكأن هجوما بها في الدفاع
في غد في البقاع أعانقهم
وأرى قبة البيت مزهوة في وجوه السلاح
وأدمع مثل الصنوبر يصعد في الشمس أمر الصباح
ينادي الصلاب الجميلين
أن يغسلوا ليلة الأمس
أن ينشروها على طولها
بين مشمشتين ويرفوا جميع الجراح
وغدا في البقاع أقبل عزم السماء
وعزم الشباب
وعزم التراب
هو من كامد اللوز عيناه عبارتن على الأولى
يحبهما
تعبران السماء المحلى كشاي ثقيل يعيد التوازن
أحصى الرصاصات في حجره
جلدا كالجدائل
حاول يحصي المرارة والحقد والشوق
هذي التي ليس تحصى
تلفت في قلبه.. رائع كل شيء
سيسمع وكر الذئاب
ينوح النواح القديم

وطري خشونة كفيه بالرقرقات الحزينة
كان يغص كنهر من العشق
تنهل منه الذئاب
سحبت نفسها الشمس خلف الكواكب
ظل الرصاصات صار طويلا
ولولا البريق الفدائي في بؤبؤه بدا كرمة
صمت تفاحة
مشمشا.. مشمسا..
أو غناء طيور يحير من أين يأتي
كهولة دهر بعينيه أو جبل بالشباب
ليس شيء يغرد مثل سلاح خفيف تخاطف كالصقر زار
البيوت الصغيرة
قبلها عشبة.. عشبة
وترقرق
باغت وجه العدو تثبتت فيه مواقع الذل
وانساب في النهر مثل الهدوء
وأحصى الرصاصات
لم يبق إلا ثلاثة
واحدة للرجوع إلى كامد اللوز
الأخريان لهن بكل نظام حساب
هو من كامد اللوز

لكنه لم يعد
صار في كامد اللّه
نام على كتف الأولى
لقد علم الكرم أن يطلق النار
نافذة أن تمد البنادق جسرا على الأولى
تعلم منه الشجاعة
حين يمر الشجاع بشيء سيصبح شيئا شجاع
في غد كامد اللوز
تخرج تلقاه غطى ذوائبه بالندى السندسي
وفي صدغه المرمري كشاهدة
قمر عربي من الزعفران
يميل إلى الارتفاع
لم تتوج على الدهر وردة عشق
كانت كوجه الحزين البهيج الأمير اليفاع
سيدي كامد اللوز
خذ من غنائي الذي يمسح البندقية
واترك حروب الدموع
فهن العراق ينوح بنا في اللقاء ينوح بنا في الوداع
العراق طباع به عاشق مدمن شاعر
إنما البندقية أم الطباع
لم يعد في المحطة

إلا غناء المغني
وسافر هذا إلى جهة ليس يعلمها أحد
ترك العود في آخر المصطبة حزينا
وكراسة للأغاني الجديدة
للقاطرات التي لا مصابيح فيها
لتذكرة ثقبت مرتين
لمن فضلوا أن يضيعوا على أن تضيع الأغاني
سلام عليكن أرصفة الليل
سلام على العربات التي احتملتني
أنام بها ساعة في أمان
سلام
فإن الكلاب تحيط بقلبي
سادتي سيداتي
انتهت آخر الأغنيات التي يمكن الآن إنشادها
ربما يقتلون المغني
ويخفون آثاره ربما سيذوب أو يختفي
مثلما يحصل الآن في كل يوم
ولكنها الأغنيات
ستبقى تذوبهم أبد الآبدين

* * *

الرحلات القصية

قصيدة غزل

لكل نديم يؤرق
والقلب مل نديمه
كأني عشق تقوس طعم الهزيمة
دخلت وراء السياج
فآهٍ من الذلِ في نفحة الياسمين
زكيٍ ويعرفَ كل الدروب القديمة
وآه من العمر بين الفنادق لا يستريح
أرحني قليلا
فإني بدهري جريح
لكم نضج العنب المتأخر
وانفرطت بعض حباته
كن يدا أيها الحزن واقطف
ولا تكُ ريح
رمتني الرياح بعيداً عن النهر
فاكتشفت بدرتي نهرها
غطت الدرب

والفتية المنتمين إلى اللعب
والخطر البرتقالي في حدقات الزقاق
وتدخل غرفة نومي
وهذي رسومي وهذا صباي الحزين
وتلك مراهقتي في شبابيكها
ولهاث السفرجل
والشوق
قد كبر الشوق عشرين عاما
وصار اشتياق
وما من دموع أداوي
بها حضرات الهموم الجليلة
إلا قميصي وقلبي
وكلمة حزن نسيها الرفاق
تفتح حزن كثير غداة افترقنا
ولست على أحد نادما غير قلبي
فقد عاش حبا معاق
أحلق وحدي بطائرة
كل ركابها نزلوا في مطار غريب
وأغطس في البرد
في البرد
في البرد

لا طاقما..

لا مضيفة..

لا مطارات حب فأنزل فيها

ولا بلدا عربيا

يكون تبرأ مني الزمان الحبيب

لكم كان يكفي

قليل من الورق الناعم البالي

أصنع طائرتي وأهيم بها في الطفولة

والناس مثل الطفولة

صحو يغني به عندليب

وتلك النوايا الصغيرة جدا

تمر البساتين فيها وتبني قناطرها

والكلاب الصغيرة

تركض في فروها الليلكي

وراء نحاس المغيب

وبستان نون على شفتي مراهقة قبلتني

لأني طفل ولا أفهم الرحلات القصية

ما زلت طفلا تهجأت

أو يتهجأ قلبي طيب

وأتقنت أقرأ مثل الكفيف

بهذي الأصابع خصرا وكسراته

فإذا ضمني مثله لم أعد معربا
بل بناء رهيب
لقد ختموني الحروف إلى النون
ثم اكتفوا
فبقيت رضيعا
وعيني على الواو والياء
أيتها الأحرف العربية
فالهاء حرف عجيب
وأمدّ الخيوط
وطائرتي تسمع النبض عبر خيوطي
وفي اللازورد السماوي في طرب تستجيب
وقد يعلق الخيط بمدخنة لرفيق قديم
فيجفل من رقة الخيط
هذا زمان دنيء كئيب
وأخجل أسحب خيطي الوفي
أراه لقد فحص الخيط حد الهزيمة
كفى..
كفي تنفخين رمادي
تقصدت أن أحرق القلب مستعجلا
أصفات الحريق السريع ذميمة..؟
لذاك احترقت

وأعطيت ما يعجز النور عنه
فإني على النور بعض النميمة
لكم كنت كالورق الناعم البالي حد الجريمة
لقد خربش الحب أمسي
وقد خرجت خربشات الهوى لغدي
والتقت عند تلك المصاطب
والسرور والحانة المستديمة
هنالك مصطبة في (النواسي)
يغمرها القشر والليل
كنت أحب عليها
وأنسى عليها
وأربط طيارتي والسياسة والعشق
واقتلعتها الدهور الأثيمة
أعيد المصاطب قاطبة بيدي
إذا انتصر النهر والناس
أدهنها غير مصطبتي
سوف أتركها مثل ما هي كانت قديمة
كما وسختها العصافير والنسنات
التي يترك العشق والسكر والصيف
قبل نهايته
والقوارب بيضاء في آخر النهر

في مسحة من ضباب رحيمة
وأغفوا عليها وزراري قد قطع من قميصي
ليخرج قلبي متى ما أراد إلى دجلة
يتبرج ثم يعود . .
يمارس نفس الهوى والخطيئة
بل والجريمة
وأغسل عني
الذي زور الملحقون بكل الدوائر
إذ وجدوا القلب دائرتي وحده
وبه أتحدى ومنه العزيمة
وأقرأ ثانية بالأصابع خصرا تعشقته
والقراءة تأتي ـ وإن كثر الكسر والتأتآت ـ
سليمة .

* * *

زهرة صفراء ذابلة تفيح فى آخر الحديقة

حاسة الشم وحدها مستيقظة فى الآن

المساورة أمام الباب الثاني

في طريق الليل
ضاع الحادث الثاني وضاعت زهرة الصبار
لا تسل عني لماذا جنتي في انار
جنتي في النار
فالهوى أسرار
والذي يغضي على جمر الغضا أسرار
يا الذي تطفي الهوى بالصبر لا باللّه
كيف النار تطفي النار
يا غريب الدار
إنها أقدار
كل ما في الكون مقدار وأيام له
إلا الهوى
ما يومه يوم. . ولا مقداره مقدار
لم نجد فيما قطار العمر
يدنو من بقايا الدرب من ضوء على شيء

وقد ضج الأسى أسراب

والهوى أسراب

كنت تدعونا وأسرعنا

وجدنا هذه الدنيا محطات بلا ركاب

ثم سافرنا على أيامنا أغراب

لم يودعنا بها إلا الصدى

أو نخلة تبكي على الأحباب

يا غريبا يطرق الأبواب

والهوى أبواب

نحن من باب الشجى

ذي الزخرف الرمزي والألغاز والمغزى

وما غنى على أزمانه زرياب

كلنا قد تاب يوما

ثم ألفى نفسه قد تاب عما تاب

كل ما في الكون أصحاب وأيام له إلا الهوى

ما يومه يوم. . ولا أصحابه أصحاب

نخلة في الزاب

كان يأتي العمر يقضي صبوة فيها

ويصغي للأقاصيص التي من آخر الدنيا

هنا يفضي بها الإعراب

هب عصف الريح وا يوماه يوم

وانتهى كل الذي قد تاه من دنيا
ومن عمر ومن أحباب
هاهنا ينهال في صمت رماد الموت
يخفي ملعب الأتراب
كم طرقنا بابك السري في وجد وخوف
لم تجبنا
وابتعدنا فرسخا هجرا
فألفيناك سكران جوابات
فلم نغفر ولم تغفر كلانا مدعٍ كذاب
كل غي تاب
إنما غيي وغي فيك قد غابا
وراء النرجس المكتوب للغياب
قد شغلنا ليلة بالكأس
والأخرى باخت الكأس
و الكاسات إن صح الذي يسقيك إياها
لها أنساب
يا غريبا بابه غرب الحمى
مفتوحة للريح والأشباح والأعشاب
قم بنا نفح الخزامى طاب
ننتمي للسر
لا تسل لماذا ألف مفتاح لهذي الباب

لا تسل
من عادة أن تكثر الأقوال
فيمن ذاق خمر الخمر في المحراب
لم يقع في الشك
إلا إنه من لسعة الأوساخ
تنمو خمرة الأعناب
لم يقل فيها جناسا أو طباقا إنما إطلاق
نبه العشاق
مدنف أودى بلا هجر ولا وصل بباب الطاقة
مرهق من خرقة الدنيا على أكتافه
لم تستر الأشجان والأشواق والإشراق
لم يكن أغفى
وحبات الندى سالت على إغفائه شوطاً
ودرب الفجر في أوصاله رقراق
آه من زمن إغفاءة لم تلمس الأحداق
أي طير لا يرى إلا بما ينجاب عن ترديده البني
سعف النخل والأعذاق
موغل في السر مندس بنار الماء في الأعماق
يا طائر يحكي لماء أزرق بالوجد في الأعماق
ما أبعد الأعماق
ما أبعد الأعماق

لم يطق يوما ولم يأبه بمن قد فاق
مشفق مشتاق
كله إطراق
أثملته الخمر صحوا
فانبرى يبكي
وأطفال الزمان الغر ضجوا
حوله سخرية في عالم الأسواق
قل لأهل الحي
هل في الدور من عشق لهذا المبتلى ترياق
نأمة في العشق تكفي
نقطة تكفي
فلا تكثر عليك الحبر والأوراق
كل ما في الكون تنقيط له إلا الهوى
فاحذر فبالتنقيط (نهوي)
واسأل العشاق
هاك كأسًا لم يذقها شارب في هذه الدنيا
موشاة بحبات الندى سلطانها سلطان
إنها جسر الدجى للمعبر السري فلتعبر
ولا تنصت لمن أعياهما الإدراك والإدمان
لم يكن إيوان كسرى مثلما إيوانها إيوان
إن كأس الله هذي مسكها ريان

هذه درب وقد تفضي إلى بوابة البستان
إنما انفض الندامى والمغني
فاتئد في وحشتي
يا آخر الخلان .



المسلخ الدولي

باب أبواب الأبجدية

تعلل فالهوى علل
وصادف أنه ثمل
وكاد لطيب منبعه يشف
فمانع الخجل
وأسرف فى الهوى ولها
فأسرف شيبه العجل
وفيما كان فى حلم تقاطر حوله الحجل
وفاخر صحبه فى رحلة الدنيا وما وصلوا
ولما أيقظته الريح ضاقت فى الشجى الحيل
فما يبكى ولكن لو بكى يرجى له أمل
تفرد صامتا مرا ومنه يقطر العسل
فما خلل بها الدنيا ولكن كلها خلل
ذئاب كلما شمت جريحا بينها
أطالت من مخالبها وصارت فيه تقتتل
بمذئبة كذلك كيف دعوى يسلم الحمل
وكيف يقال أن الحكم للأغماد ينتقل

تفاهات وأتفهها ضمير تحته عجل
يفلسف ثم ينقض ثم لا عقم ولا حبل
مزالق في مزالق يرتشي فيها ولا جلل
بمختصر العبارة إنه عهر تركب فوقه دجل
طباق أو جناس أو مراحل كلها حيل
فإن لم تقدحوا نارا فكيف يراكم الأمل
فإن قدحت فكونوا لبها ستظل تشتعل
ففي ليل كهذا تكثر الضوضاء والجمل
وما نظروا هذا الحضيض وتلكم العلل
قضيتنا وإن عجنوا وإن صعدوا وإن نزلوا
لها شرح بسيط واحد حق لم الهبل
لماذا ألف تنظير ويكثر حولها الجدل
قضيتنا لنا وطن كما للناس في أوطانهم نزل
وأحباب وأنهار وجيران
وكنا فيه أطفالا وفتيانا وبعضًا صار يكتهل
وهذا كل هذا الآن مغتصب ومحتل ومعتقل
قضيتنا سنرجع أو سنفنى مثلما نفنى
ونقصف فوق ما قصفوا
ونقتل ضعف ما قتلوا
فإرهاب بعنف فوق ما الإرهاب ثوري
يمينا هكذا العمل

أقول ويمنع الخجل
بشج العين يكتحل
وكيف عروسكم حصص وحصتكم بها نغل
أعولتم على جمل بمكة
تسلمون ويسلم الجمل
غفى جرح فارَقه بماذا قد غفى كهل
وأنب قلبه ما كان عشق فيه يكتمل
وكاد بما تفضّى والتقت في روحه السبل
تطيب بريقه القبل
وأطيبهن تتصل
ولكن في قرارته هموم ما لها مقل
كما قطط ولائذ في عماها والعمى كلل
تذكر أهله فطوى
فكابر دمعه الخضل
وعاتب صامتا مرا ومنه يقطر العسل
وكاد يذوب لولا تمسك الآمال والحيل
فلا أحبابه يوما بأحباب ولا سأ'وا
وما مسحوا له دمعا كما الأحباب بل عملوا
ونقل قلبه لكنهم كانوا هم الأول
فلم يعدل بنخلة أهله الدنيا فنخلة أهله الأزل
وماؤهم الذي يروي وماء آخر بلل

ففيم كلابهم نبحت عليه وكشرت حيل
وأرسل كل قطر نابه في وحدة
في قلبه حمراء تشتعل
قضيتنا وإن نفخوا الكلى وشرارهم جبل
وصاغوا من قرارات وإن طحنوا وإن نخلوا
لها درب مضيء واحد رب
فلا لات ولا عزى ولا هبل
قضيتنا لنا أرض قد اغتصبت وكنا عزلا
لا نعرف السوق البرجوازي في الدنيا
ولا ما تصنع الأموال والحيل
وطالبنا فكان قرار تقسيم
وطالبنا فصرنا لاجئين وخيمة جرباء تنتقل
كم اغتصبت عروس من مخيمنا
وكم جعنا عرينا كم خجلنا
ثم طالبنا فلم نسمع فكشر نابه الخجل
لعنتم أطبقوا الفكين إطباقا على لوز الملوك
وأرسلوا السكين تختجل
يمينا إنه درب إلى حيفا غدا يصل
تعافى جرحه من طهره وبدا سيندمل
ولكن نشأة فطرته حتى كاد يشتعل
فغض لدمعه مضضا وكابر حيث يحتمل

وعلل نفسه وتعلة فيما انتهى محل
فما شيء كعشق ينتهي لا يرتجى أمل
أعدله فينخجل
وأخذله فيعتدل
لقد تقلب طبعه عن ثابت فيه وينتقل
فبعضي عاشق يصحو وبعضي عاشق كهل
وكاد .. لولا كاد لا دبر ولا قبل
وأمسكه هوى لبلاده ما بعده غزل
عراقي هواه وميزة فينا الهوى خبل
يرب العشق فينا في المهود وتبدأ الرسل
ورغم تشردي لا يعتريني بنخلة خجل
بلادي ما بها وسط وأهلي ما بهم بخل
لقد أرضعت حب القدس
وائتلقت منابرها بقلبي
قبل أن تبكي التي أرضعتني وهي تحكي
كيف ينتزع التراب الرب من شعب ويحتمل
وتغتصب الذوائب ثم تلوى
كمعصم طفلة يرتادها مستعمر عجل
وكيف مشت مجنزرة على طفل
وكيف مسيرها مهل
وكيف تداخلت شرفاتها بعموده الفقري في حقد

وصار اللحم في الشرفات ينتقل
وكيف تسطحت في الطين صرخته بما داس الحديد
وغارت المقل
وجاءت أمه تمشي بكفيها
على ما تترك الشرفات من لحم تنزت حوله القبل
تعثر صوت أمي واعترى كلماتها الشلل
وقالت لي قضيتنا وغصت بالدموع
فقلت يا أمي قضيتنا الدمار
أو التراب الرب لا وسط ولا نحل
قبيل ذهابكم للمسلخ الدولي وفدا
أرسلوا السكين وفدا إنها أمل
سيسمع صوتها
وتشق دربا للرجوع وينتهي الخطل
بذلت الروح حتى قيل يا مولاي يبتذل
وقد صار الفراق هوى جديدا وهو متصل
فما أدري سلوت أم ابتدأت
تشابه الزعل
وإن من الهوى ما ليس عشق إنما سبل
وشاغلتني محجلة ببيت في العراق علائم فيها
الفم العبري
إغفاء شديد الوصل بين الحاجبين

تمائم مكتوبة للنهد
نصف شراسة في الحلمتين
إطالة في الخصرما طال الهوى
كسر وحجم توأمين
وبسط عشق ليس يعتدل
ورغم تشردي لا يعتريني بدجلة خجل
فلست أرى ليومي إنما ما ينحط الأمل
وأشهر كل ظفر نابه في كياني حينما النهاش يرتجل
وقد يفتى بنفيي من هنا فأظل أفنيهم وأرتحل
أعيط بكل نهاش وجندي وهم سلل
قضيتنا سلام بالسلاح
فثم سلم حفرة وسلامنا جبل
وأن العنف باب الأبجدية
في زمان عهره دول .

* * *

إلى الضابط الشهيد
ابن مصر العظيمة الذى فجر إحدى
الطائرات الأمريكية ومزقته بعدئذ زخات الرصاص

ليس بين الرصاص مسافة
أنت مصر التي تتحدى
وهذا هو الوعي حد الخرافة
تفيض وأنت من النيل تخبره
إن تأخر موسمه
والجفاف أتم اصطفافه
وأعلن فيك حساب الجماهير
ماذا سيسقط من طبقات
تسمي احتلال البلاد ضيافة
ولست قتيل نظام يكشف عن عورتيه فقط
بل قتيل الجميع
ولست أبرئ إلا الذي يحمل البندقية قلبا
ويطوي عليها شغافه
لقد قبضوا كلهم

وأحطهم

من يدافع عن قبضة المال مدعيا

أنها الماركسية أم العرافة.

* * *

بحار البحارين

ملك العمق . .
ازور نجوم البحر أُزوِّجُها بنجوم الليل
أطيل لدى موضع أسرار الخلق زياراتي
وتفتح قلبي في الماء بكل المسك
وأرسلت يديّ إلى الأعشاب المسكونة
فالتصق الشبق الوردي لماء الليل عليها
واختمرت لغةٌ وتنفس فيّ الأيل
ما أوقح لذته
يبني بغزالاتٍ أربعةٍ . .
ينزع عنهن ثيابًا ربيعين . .
تعبت . . تعبت . . تعبت . .
قلبي مبتهج تَعِبٌ
يا مثقل بالمنزلقات
ونون النسوة قد وضعت نقطتها فانوسًا
هاك تلألأ
وأعد للنسوة نقطتهن
تلألأت لهذي الساعة لئلاءً حسناً

وحروف العشق على شفتي السفلى نائمةٌ
أخذتني الموجة من ثوب عقوقي
مسحت زهر الرمان وأبقته حزيناً
في الماء البارد خاض الطفل بلا صندله
يا موجة.. أركض.. أركض..
بين المرجان وبين الحزن دخلنا مرحلة الأبواب
صدمت قدمي بالباب الأبنوس مصادفة
فطرقتُ
من الطارقُ؟
ليس لديك جوابُ
أنت تذوب بصوتك
تطرق باباً أخرى من ذات الخشب المدلوك
بجذب لا تعرفه
من أنت.. تعلّم أسلوب الطرق وعد
تعلّم من أنت
تثاءبَ حرفٌ لا أعرف قدرته
لقّح ناقات الليل وراءات أبي صخر الهذلي تنام
صرفتني أم الأبواب وما عرفت قلبي فعلا
لا يتصرف إطلاقا
من أنت.. وما قصة روحك؟
ماذا في الدنيا المألوفة والأيام فقدتَ

ومن جئتَ تزورُ
أنا . . أخذتني اللعثمة الحلوة . .
قلبي كالعشب قدام المنجل
روحي خائفة خوفا مرتفعا
قدمي حزن الأسفار عليها ليس يجف
وحزب المخصيين يطاردني
ابحث يا من تبحث عن باب أخرى
يورق في الرفض قبولي
وأحكمت الأبواب الآلهة المسئولة عنها
وضعوا شيئاً خلف الأبواب كذلك
أرسلت يدي إلى الأعشاب المسكونة
فالتصق الشبق الوردي لماء الليل عليها
إياك وأنت قليل الخبرة
إن الطرق يزيد الباب المجهولة أبوابا
ومفاتيحك من لغة تغلق ما تفتحه
وتصد كما المرأة عند الماء
لمن لا يدخل بين حروف مباهجها
ونظنك من أهل الحدس
فما تتهجى جسد المحبوب
بل اقرأ قاطبةً

تلك بنفسجة . .
تلك كما الزبد الليني تذوب أنوثتها
فيمن مدّ يديه بمعرفة عرف العمق
وزكّى الهمزة بالبخور ثلاثاً
حتى طرد السحر وأطلق عقدتها
بين أصابعه ينمو الصبح وكمّون العشق
وتكشف نسمة صبح فخذيها
وتدوس على ريحانة روحك
آه . .
آه . . للوجع الطيب
يا نسمة . . يا بالغة العفة
من أين دفعت الباب على العاشق
فالقمرة نائمة والعاشق أثمله التفكير الخاسر
والنجمة تستأذن أن تدخل بعد هزيعين اثنين
فما أذن البحار العاشق
فالنجمة تحمل فاكهة
قال المعتكف البحار
أنا ما ذقت سوى طرف النهد
وصمت عن المشتهيات
رضعت العنبر من صدر العشق
وأمسكت بحلمتها الوردية في الليل أؤنبها

امتلأت كفاي رحيق الفستق واشتعل الخنصر
بين الورد وبين اللحن
وبين اللحن وبين الورد
احترق الخنصر
أعطى ضوءا عربيا
ليس لإصبعي الوسطى في الليل أمان
وأدير على هذي الإصبع حكام الردة قاطبةً
سوف أحدثكم في الفصل الثالث عن أحكام الهمزة
في الفصل الرابع عن حكّام الردّةِ
أما الآن فحانات العالم فاترة
مللٌ يشبه علكة بغي لصقته الأيام بقلبي
يا بن ذريح..
هذي الحانة باردة.. أوقد صوتك
يرحل بعض الإثم من الحانة
يا بن ذريح ..
هات لنا نغما
بعض المشتهيات من الصوت السابع
قل نغما عصفورا
قل نغما سرّة أنثى..
قل نغما طرقة بابٍ مجهولٍ
من أنت.. ؟

نصحنا أذنك أن تسمع تلك الأشياء المألوفة في الدنيا
آلهة المجهول
أتيت بآخر أشكال الهم وروحي لونٌ مكتئبٌ
طوقت عليه بزناد مراهقة
من يطرق ثانية
حذرناك فماذا تطلب؟
جازفت على فلك لا يعبر ساقيةً
قيل تسفهه كل الصلبان وكل الأصنام
رفعتَ كؤوس الكفر عليها
يأخذكَ الجو
وترفع إبريق الخمر في الهم شراعا
كيف تجرأتَ تدّقُ علينا في الليل
فإن اللذات تنام وراء الباب بدون ملابسها
ويسيل لعابك.. كيف اللذات تكون بدون ملابسها؟
تنساب... وتنطق أشياء مبهمة
وتحاول أن تخرج من تأتأة في جسمك
تعرق جدران همومك
يعرق أظفر إبهامك بالمنزل
توقد عود السمّاك لدى فخذي أنثى
أسأم حسن اللّه عليها
واجتمع التلقيح فأعطى إنشاء ذهباً

أوقدتَ فجُنّ الحشراتُ
وهاج الموج وقام الزبد الفاسد
واضطرب البيض الفاسد
يا صاحب هذا الفلك المتعب
أنت تسميه سفينة عشق
أنّى أوقدت . .
سيفقس هذا البيض الفاسد أوسخاً مقذعة
ألديك فوانيسٌ ؟
زيت ما لمسته يدان
روح تبصر في الزمن الفاسد
أوقدَ بحار البحارين قناديل سفينته
أبقاها خافتة
بحار البحارين . .
ومَن جمع اللؤلؤ والأضواء وأصوات البحر
بخيط لحبيبته أبقاها خافتة
تملك أحلى الهمزات حبيبته
تملك أحلى ميم أعرفها
ولها جسد مزجته الآلهة الموكولة بالمزج
بكل عطور الخلق
فمارس عشق الذات وأربأ بالحسن عليها ارتبكت
أعرف بحار البحارين ومن سأحدثكم عن سيرته

كان يقاوم أوساخا ممتعة يستمتع حين يقاومها
عيناه تألقتا كالجمر من الحمى
بعث الحمى بغلاف من ورق العشق لبيت حبيبته
وبيت حبيبته في الشام يقال
قرب الجسر الخشبي
وبيت علي بن الجهم يقال.. برام اللّه يقال
قيل بباق الخلق
وقيل بترهونة أيضا
من أنت..؟ وفي هذا الوقت المشبوه تزور
أطرق بحار البحارين وخبأ في الصدف الحي حكايته
فالعُثّة في بلد العسكر
تفقس بين الإنسان وثوب النوم وزوجته
وتقرر صنف المولود
وأين سيكوي ختم السلطان على إليته
فإذا آمن بالحزب الحاكم فالجنة مأواه
وويل للمارق..
فالأنظمة العربية تشنقه قدام الدنيا قاطبة
تبقيه لساعات
ثمة تنسيق سري بين فنادقنا
أحد منكم لاحظ أن الصمت تكاثر.. والجرذان..
وسيارات الشرطة تحبل في الطرقات

بشكل لا شرعي وسخ
هذا الطقس دنيء جدا
ولذلك خبأ في الصدف الحي حكايته
وأقام على دولاب سفينته
عيناه من الحمى والحزن تألقتا نجمين كئيبين
أرسل تلك الحمى بغلاف من ورق الحزن لبيت حبيبته
جلست تغسل للحمى..
جدلت بالورد وبالزيت البارد
والنعناع جديلتها
سمع الجيران بكاء الحمى في الليل الأول من شعبان
قالوا نغلق هذا الشباك ونخلص من وجع القلب
لقد شعث كل بنات الحي
وكون من حبات الدمع فراشات عمياء
وقمن إلى الشباك من النوم وأغلقنه
ونون النسوة ما نامت أبدا
نقطة نون النسوة مما تذرف دمعا مسحت
وأتى النون هلالاً فوق المرقب
كانت ريح قاسمة والمركب ينبئ أن اللجة
سوف تقوم على آخرها
وعلى الدفة كان مهيضا في تلك الليلة من شعبان
يقاوم أحلاما ساطعة. . يغلق عينيه

وأبواب الروح لشدتها
ويتسأل أين الأرض
وأرسل قامته الغجرية بين نجوم الليل
وكان الوشم على رسغيه يكمل عقد النجم
تطاول أيضا
أين تريد؟
فعنقك تمتد بأكثر مما قسم اللّه لها
قال كذلك قد خلقت
هذا منطق صوفي . .
أين تصوفت وجسمك ينضح لذات خضر
اسكت . . كيف تخمرت وأنت من الطين الفج
وتعشق طلع الصبح ولا يؤنسك الليل بلا جسد
تتركه في الصبح
تنوح الأغصان عليه وبالضدين يضيء
تقول: دخلت حدوس الضوء
في العام الأول كان الضوء المألوف
وبعد . . وبعد . .
وفي العام الثالث كان الضوء المستور
وبعد . .
وجاء ظلام أطفأ كل قناديلي حتى الموروثة منها
إذ ذاك تلمست طريقي

عثرت قدماي بمن علمني..
صار هو العثرة
ضيعت من العمر طويلا كي أنهضه عبثا
فالجثة كانت تتفسخ من أين أرادت أسندها
أعثرت بمن علمك الـ..
أسفاه نعم
كيف؟
كذلك.. قال كذلك..
هذا طبع الأشياء
عند الأصوات الخارقة الإيقاع يشذ
أوحشني الدرب..
وأصبح صدري مدخنة في مطر لا ينبئ عن صحو
غرقت روحي إلا عقدة عشق آنئذ
والمركب يوشك أن يقطع رحلته
أبرق حرف من تحت الباب مهيبا
وأطل الرأس من القمرة حول العينين
من الصرف ونحو الكوفة أشكالا
لا الخط الثلث له هذا الحسن له
لا الكوفي ولا الرقعة أيضا
ورأيت ثياب العشق تضيق على جسدي
فتوضأت بماء الخلق..

أخذت بهذي القيثارة
دوزنت عقودا أربعة. .
وشددت على وجع المفتاح الخامس والسابع
فاعترض النحو البصري علي
كذاك اعترض النحو الكوفي
وأحلس من لا أعرفه يعرف نحوا في الشام
دع الريح تهدهدك الهدهدة الأهدأ
نذرك كان كثير الشمع الأحمر والآس
ومرت كل شموعك من تحت الجسر
وأبعدت كثيرا في البحر
فأين البصرة؟
آه صحيح. .أين البصرة؟
البصرة بالنيات
لقد خلصت نياتي
حتى وتسلق في الليل عمى الألوان عليها
أين البصرة. . ؟
مشتاق بوصلتي تزعم عدة بصرات
منذ شهور قلبي لا يفرح إلا بين النخل
أتسير ببوصلة؟
حين يكون لذلك فائدة
ما دخت؟

إذا كنت بلا أمل
يا صاحب هذا الفلك المتعب أنت تسميه المركب
لا بأس عليك تفاءل ما شئت
أطلق ما ترتاح من الأسماء عليه
وصيف وبغى متفقان على نفط البصرة
فدع الرياح تهدهد هذا المركب شيئا
واسترخ فما تلك نهاية هذا العالم
مد ذراعك
فالشمس تريح الجسد المكدود
تمد مرونتها فيه فيصبح كالسعفة
والفقراء المخلوقون من الخرق الليلي وخوف المتوكل
بالسعف احتشدوا
ملؤوا باب البصرة بالسل
وقد أطفأ برد الليل قناديل حماستهم
كان السياب مع الأطفال يحرك سعفته
انتظروك طويلا
أرهم أن السعفة تنفع . .
لا بأسا بجرعة خمر تخدر لها عيناك وتذكر
ها أنت . .
مصابيحك ترتعش الرعشة الحلوة للسكر
وتأخذ كامل قوتها

ماذا ستخبرنا
ارقص قبل البدء.. أريكم فرحي
ها أني أرقص.. أضحك
ها أني.. أني.. أني..
ثم يصير الرقص وقورا
قاومت جميع الأطراف بهذي ،لسعفة حتى بريت
رفعت عليها الراية يا صبية..
بين السفن المخصية
تحمل سفودين عظيمين
ويفتح أحفاده البصرة فوهة النور عليك
فما أجمل هذي الأعين يا رب
وعقدان من القهر وأنت بهذا البحر
أما أكل الضجر المالح جنبيك؟
تمسكت بهذي السعفة
من كان له سعفته في الليل سينجو
اعتصموا بالسعف جميعا
والوحشة يا قبطان أجبنا
كيف قدرت على الوحشة
تزوي عينيك قليلا
أوقدت بها عشق الناس وداويت ظلامي
يا سيد في البحر العاصف

هل أحببت كذلك
أكثر مما في الأرض وفي اليوم الهادئ
تملك أحلى الهمزات وأحلى ميم أعرفها
أنصت أولاد الوسخ المتروك إليك
فأنت تعلم مثل نبي
فإذا أنت أتيت البصرة أنكرك الحسن البصري
فآه مما يتقلب هذا الحسن البصري
وآه مما كشفوا فخذيك وكانا مبتهجين
كثور يتفرغ للإتيان بحزب السلطة
حتى شهق الخلق وزاغ البصر
قيل معاذ اللّه فما هذا بشر
هذا مارس كل طقوس العالم بالسلطة قدام الجمهور
وألب حتى الدرجات المنحطة جدا
مولانا كان يعلم خارج ما علمه الكهان
وسفه كل معابدنا
يا حضرة حاكمنا . .
مشتبه يعشق جسر الكرخ الخشبي
ولا يعشق جسر الدانوب كذلك
وارتفعت شهقات من غرب وشرق المجلس منكرة
يرتكب الكفر الأممي
يخوزق أعراض الطبقات المرموقة

يرفع خصية ثور
يهزأ قدام طقوس السادة والحرم الجمهوري
ويشتم تكيتنا
قالوا يقتل.. ينفى
يقتل.. لا تكفي هذه
لا بد يشوه بعد القتل ثلاثة مرات
آه.. صرخ الوزراء الفأريون
يدوس على ذيل وزير النفط
يُقالُ..
وزير النفط له ذيل يخفيه بكيس أمريكي
ويصوت ضد الإرهاب به
مولانا..
يزعم أن شيوخ أبي ظبيٍ والبحرين ورأس الخيمة
يخفون ذيولا أرفع من ذيل الفأر
وحين يخرون سجودا للشاه..
تبين قليلاً من تحت عباءتهم ويبشر بالخازوق
أخوزقكم.. يا ديدان
أخوزقكم..
اسمع يا والي البصرة قال لنا يا ديدان
وقال يخوزقنا
خوزق.. خوزق..

صرخ المصنوعون من الجوع وقام الخازوق الباسل
خوزق.. خوزق
هاتوا الملك السفلس
هذا ملك يستأنس بالخازوق
وذلك حزب يتخوزق مختارا
لا إكراه ولا بطيخ بمحض إرادته
يا سيد.. فاحمل سعفتك الآن نبيا
حرك بيت العقرب تخرج مكرهة
يا حاكمنا ـ صاحب طائفة الخلقيين ـ
يوشي الجمل الربانية في الشعر بمفردة
يخجل منها المعجم
ماذا أعمل
أن أشد بذاءات العالم يزداد تألقها فوق الحاكم
وأضاف قميء عفنا كان يوقوق بين القوم
وكنت تفرغ شحنتنا الثورية
يا بن الشحن السلبية
بطارية حزبك فارغة ماذا أعمل
والتفت الآخر لفتة من فاجأه الحيض وقال
تفاهمت مع السلطة تشتمها وتورطنا
اربأ أن تسمع.. واستعذ اللّه
فمهما قيل فأنت تعلم مثل نبي

سلمك المفتاح على الذمة بحار البحارين
وأعطاك السعفة
أعطاك طريق التبانة
أعطاك بأن تصبح طفلا عند الحاجة للعب
وسيف حين يجد الجد
فأي الأشياء رأيت
وأي الأشياء ترى
لست أرى غير الدفة
هذا سفه بحري
إن معارفك الآن لغامضة جدا
وحجاب الجملة أعماك
لكن أين البصرة يا مولاي ؟
وما شأني بالبحر
إذا لايوصلني البحر إلى البصرة
بل يوصلني البحر إلى البصرة
لا يوصلك البحر إلى البصرة
بل يوصلني
لا يوصلك البحر إلى البصرة
بل يوصلني البحر إلى البصرة
قلنا لا يوصلك البحر إلى البصرة
أحمل كل البحر وأوصل نفسي أو تأتي البصرة

إن شاء اللّه وبحكم العشق وأوصلها
فإذا أخرك الصف فماذا بعد
طير الوعد
تعال وصيحتك الممزوجة بالفجر
يا نبأ عن بحار البحارين
وما صنعت عاصفة الجزر به في الليل
هل ارتاب القلب المدمن
أم كان به ما يكفيه من الزاد وعلم البحر
وهل نسي الفردوس المفقود
وعاثت عاصفة الإفك بأمجاد طفولته
أعرف بحار البحارين
وهيهات يغادر صدر سفينته الحربية
رقطه الزمن السيئ بالملح وزيت أصابعه
صار هو اللون المألوف
لقد زعمت سفن الأقزام ترافقه
وانكفأت حين رأته على الموجه
محتفلا بالغضب الكوني
ويستلم البرق من اللّه
وأرقام جميع الهزات الأرضية والرعد
كان يلم الأخلص من بحارة تلك الأيام
ومن في الجزر وفي الجزر الأقصى

قرأوا السنوات المطلوبة للمد
بحار البحارين بلا حد
والسفن الإيجار لها حد
قال وبين حواجبه نقطة حبر عالمة بالأنواء
كتاب البحر كتاب يتغير يا أحباب سفينتنا
والنوتي الفائق من يتنبأ قبل التغيير
وأخطاء النوتي الفائق تعني
أن النجم القطبي يغير موقعه
ورث النوتية هذا العلم المتطامن جداً عن جد
ضربت إحدى الموجات الندفة واضطرب الميزان قليلا
حدق بين الحلم وبين اليقظة
هذا ليل قدري
والخشب المتآكل ضرس أنياب الأمواج
فألقوا المرساة فإني آنس نارا
وأشار بإصبعه المتضخم للضوء الباهت في آخر الأفق
كان هنالك ميناء يكمن خلف الكون
وكانت في المركب ريح الأصقاع الثلجية
تمسح وجه النوتية إلا من آمن
رب النوتية قال الواقف فوق المركب
والمطر الأبيض يغسل بالطهر نبوءته
رب النوتية واحمل مصباحك بالعشرة أرواح

إن طريق الميناء مخيف
وطريق المركب جد خطير وتكثر فيه الأوجار
تنبه بحار أزمن فيه البحر
وقد نبت منذ زمان الردة آثار التعذيب على فخذيه
خذ سكينك
لا تؤمن هذا الساحل
وانظر أشجار دم الأخوين تخبر أخبارا فاجعة
فالظلمة فاحشة ولقد ينقلب الليل برغم إرادتنا
ويهوذا يكمن في بعض الناس برغم دلالات الخير
نعيذك يا سيد مركبنا
تجار الأخلاق كثيرون فعجل
نزل السيد
غاب وراء الطرقات المشبوهة يبحث عن درب المرأة
ذلك لا بد..
في تلك اللحظات تدبقت الأشياء
ونز دم الأخوين وعلم ثوب النازل في الطرقات المشبوهة
مضطرا
أحد يقتل في هذي الليلة
أو أحد ينفي في هذي الليلة
محتمل أن يحصل تغيير ما كنا نتوقعه
وحسبنا كل حساب

إلا أن يكن الميناء هو القاتل
إلا أن يصعد هذا الميناء إلى المركب
يغري بعض البحارة أن يلقوا المرساة نهائيا
إلا أن يصبح بعض البحارة مما كنا نأمنهم مشتركين
أطفئ فوانيس الخبرة
لا النجم ولا القمر المعهود أضاء
فالزمر المنحطون تلاقى
تتوزع.. وتنقض وتجرح ثوبك
قلبك كان يحس برودة خنجرها
تلك مؤامرة كشفت
وأسر أمين البحارة كانت نارا خادعة
إن كتاب البحر كتاب يتغير يا أحباب سفينتنا
أخرج أوراقاً باهتة أكل الدهر عليها
وتفحص خارطتين معتقتين فضيعتاه
قال إله الليل تظنون ظنونا خاطئة
سفن الثورة تستصلح مبحرة
فإذا وقفت يمتد إليها الميناء
أجاب السيد يا رب هو الماء
لقد دخل الماء سفينتنا
سفن الخلص لا تغرق بالماء
يقول الرب بل القلب إذا ارتاب بقدرته

والروح إذا تعبت
أرسل بحار البحارين فراسته
عجم البحر
قلب قرآن اللّه وإنجيل اللّه ورأس المال طويلا
فرأى الدب البيض والدب الأشقر والثعبان
وبعض البحارة متفقين على اللعب بلحيته
أقسم بالشعب وبالأيام الصعبة قاطبة
ليقاتلهم حتى يصلا المركب ثانية..
أو يهلك منتصرا
أبلى في الليل بلاء حسنا
قاوم عقدين وبضعة أيام موحشة
وأحس دوارا منذ شهور ينزف
والعمر تقدم بالمبحر
واختلط البر.. البحر.. الغيم .. النجم.. السأم
..الليل
وألقى المتفقون القبض على قبضته
وأزبد من أزبد
أرعد من أرعد
واستحلمت السلطة أنك سوف تطيع
وأحضر في الليل صليباً ورفعت عليه
فما أحلاك أضفت على السكة فانوسا

أعرف أنك تبكي منفردا
أين البصرة يا رب . .
صرخت . . أما وصلت
وسمعت ضجيجا وسخا طيلة تلك الليلة
كنت تعاني الموت
وكانوا يحتفلون
وقد سلبوا المركب والبوصلة الدرية
واعتقلوا البحارة
جاءوك صباحا بالصفقة ثانية
ثانية أنت من التعذيب بصقت عليهم
آذوك طويلا . .
منعوك ترى جسر الكرك الخشبي . .
فما أتفههم
انزل في ظلمة قبو لا تأمن فيه العقرب صاحبها
أنعش بالمسك وقيل
نريد بك الخير فما لك لا تأمن
خذ ما شئت من الميناء
أعرنا المركب والبوصلة الدرية
نوصل أموال أبي العباس السفاح
فإن أمير البصرة منتظر والجامعة العربية منتظرون

معاذ اللّه يكون الخصية في المركب
جميل يا سيد
يا سيف النظرات
جميل أنت.. بهي أنت.. عظيم أنت
وحين وقفت على الأرض بكل ثبات
وجميل أنت.. جميل حين بصقت على الصفقة
واستحليت ثباتك فازددت ثباتا.. ثبتك اللّه
منعوا صوتك ما أتفههم
زعموا أنك مجنون.. معتوه.. صوفي وشيوعي
كيف جميعا
ما أتفههم.. ما أتفههم
حملوا الميناء وبيت المال ورايتك الحمراء
ودست الباذنجان كذلك
فكيف جميعا
قال الأجرد ذو الشيب المصبوغ لإخفاء الصفقة
تبقى جسدا للبوم وللغربان ونبحر دونك
فاقبل قبل فوات الفرصة صفقتنا
شارك في الحل السلمي قليلا
أولاد القحبة كيف قليل
نصف لواط يعني...
امتعضت روحك..

كنت كمن يجبر أن يأكل فأرا
هاج البحر وكشرت الأهوال
وكادت ريح قادرة تقلب كل مفاهيم البحر
وصار الدولاب يدور عليهم
والدفة توشك أن تقلب من يمسك عصمتها
ارتبكوا وحاق المكر بهم وأسروا
ألقوا المرساة نساوم هذا القذر المفزع ثانية
جهلوا مولاي مزاج البحر
وأما البوصلة الدرية فانطفأت ضاحكة
وقفوا بين يديك
وكأن العرق القطري يوسخهم
قالوا بالوحدة
لكن زادوا القطرية ذيلا قبليا
ورأيت الزبد الأبيض يذبل فوق كواهلهم
صعب الأمر عليك..
تشوقت إلى الوقفة فوق الدفة منفرداً وحدك
يعلو الدولاب لعزم يديك
ووحدك تبحر في الليل وليس لديك صليب أوصنم
رايتك السعفة
والموج يقبل جأشك

فاقتربوا من قدميك وصاحوا والريح تغالبهم
بحار البحارين..
ليك الثلث من المركب
إن أوصلت حمولتنا
ويقول المالك..
يبقيك ومن شئت من النوتية في خدمته أبدا
وتفردت بهم..
أولاد الإفك يبيعونك نص سفينة عمرك
ثم يمنون عليك بأن تخدم سيدهم
ابصق ثانية
هذى واللّه مكان البصقة.. فابصق.. تبكي غضبا
تلعن كل مبغي البصرة في العصر الجمهوري الجائر
قد منعوك ترى جسر الكرخ الخشبي
وهذي السنوات التسعة قد صهرتك من الحزن
وقالوا صوتك يخدش أخلاق الجمهورية
خافاك اللّه.. بقاؤك محض بقائك يفضحهم
ما ظل سوى حبل يتحلق حول خناقك
والقلب وراء ضباب البحر
يدخل كل الليل علامة عشق ووجود
فإذا احتد عليه الشوق سيشتعل
ولقد يفتك بالبحار أريج مبالغه

وأوار الحمى ينكث روحك. . والريح
ومال المركب للهوة بعد الهوة
يا سيد فانشر روحك في الخشب الخائف
إن مزاج الكون سيعتدل

* * *

في رياح الليل الرطبة تتفتت زهرة

انتظار كل دقيقة وباقي زهور الانتظار

تتفتت عبر هذه الساعة الخالدة من الصبر..

لقد نفذ اتحاد المخابرات حكم الإعدام بهم .. لذلك سيجتمع الشعب

في هذه الساعة من الليل . هنالك قرار

بنفسج الضباب

حبيبتي . . .
أشم زنديك العروسين
وعقم الليل في فراشنا
والهمس
أنا أرى باللمس
ما عاد غير اللمس
مدينة يكذب فيها الناس على أنفسهم
تقول في أسوأ أوضاع لها
لا بأس
تموت فيها الشمس
حبيبتي . . .

كتبت أحزاني على الجسور والنساء
كتبت عمرك الصغير فيّ بنفسج الضباب
نام فيه الماء
خبأته من غزوات الليل
من لصوص الجنس والأعداء
كتبته بالتبغ والنبيذ والذهول والضياء
وحينما اشتد أوار القصف في مدينتي
تكاثر الصلاة والبغاء
مدينة يكذب من فيها على شفاههم
ليس لها شفاء
حبيبتي . . .
بالأمس قد عبرت جسر اليأس والرياح
لم يك في الطريق غير المخبرين والنباح
سألتهم إن وجدوا هويتي
ودفتر الديون والمفتاح
فقلبوا شفاههم وألقوا القبض علي
وأودعوني غرفة التوقيف
وانتظرت أن يجىء الله في الصباح
لم يأت يا حبيبتي
وها أنا ضيف على التعذيب
في زنزانة أخرى بلا مصباح

مدينة تلقي علي القبض يا حبيبتي
يصبح فيها أعجز الناس هو السلاح
أفرج عني صدفة بالأمس
وحينما خرجت من جعبتهم
كنت أرى باللمس
وربما قد مات في الزنزانة الأخرى
الذي دق على جداري
لم أكن هنا أسمع عبر الليل غير الهمس
وقد تناهى الهمس
وكانت الحانات عبر الشارع الطويل
تكتظ بالحزن وضبط النفس
مدينة يبول من فيها على أنفسهم
أنظف منها اليأس
وها أنا مشرد أقرأ وجه الناس
والباصات والأفلام في الطريق
أشم كل امرأة تبحر في الطريق
أقرأ إعلانا عن السلم
وفيه أقرأ التلقين والتصفيق
أبحث عن كتاب حزن . . .
أو صديق

يا عالما بلا صديق
يا عالما يختنق الإنسان فيه في الزفير مرة
ومرتين في الشهيق
مدينة يمنع فيها الشعر
أو يحتكر الكلام كالشعير يا حبيبتي
يقتلها النقيق .

* * *

آر..بي..جي سفن

بماء العنبر والشالات الوردية والحزن
ورقرقة الجسد الصيفي تشابك بالرشاشات
تسلل بين مدرعتين
رقيقا كالزيت
ولا أسمع غير الموت
ولا أسمع غير تنفسه الخافت
والحزن ينوح على شجر الموز
وزقزقتي عصفورين حزينين
بحفرة كعبيه
الرائعتين الواثقتين القارئتين أغاني الدرب
ولا أعرف من أي قرى عامل
من صيفين تخرج
لا أعرف إلا أحرفه الأولى آر. بي. جي
أيلول الممطر
كان لعينيه تألق حقل اللوز
منذ نهارين
كآبة حقل الألغام

لقد أومض حين اخترقته الرشاشات
سمعناه
تململ حرفا
والحرف الآخر لم نسمعه
رأيناه
وكان الليطاني مراياه
دون صورته
والآن إذا اشتقناه
أول من يصل الليطاني يراه
وقبل الليطاني
يقبل قطرة دم تتدحرج من أرنون
رأت رجلا يحمل آر. بي . جي
النهر هو
في الظل كمين في مخزننا الناري
في الحبق الممطر في ذاكرة الليل
رقيقا كالزيت
ويدلف بين مدرعتين كأن بدايات الآيات المكية
لا أعرفه.. وكأني قبل ولادته أعرفه
أفطرت له
وسهرت له
وتقدم مجموعته

عبر الليطاني فقدناه
وتبعنا رائحة الجرأة والدم وجدناه
حاولنا نأخذ بارودته لم نتمكن
هو والبارودة في السهل دفناه
أو هو يدفننا نحن الأموات هو الحي
وحرب التحرير سجاياه
والآن إذا اشتقناه
من سيواصلها
في كل كمين في حقل اللوز يراه
الاسم الكامل : آر . بي . جي. سيفين

* * *

ترنيمات استيقظت ذات يوم

كيس رمل بصمت المتاريس قلبي
مفاصل عشق مخلعة في الخراب
تفتش عن أحد
أحدق . . أفديه
عن وصال صغير
إني محدق في هجرة ما فهمت
ومن يفهم الحب
أنت التفت يا فارغ الحقول وعمري
التفت
جاوز الجرح
جاوز حقل البنفسج
حدق مستغربا خلفه
أخرج الرزمة السنوية قال :
البرد تأخر جدا . . .
ولم يلمس الباب
دس المكاتيب من فرجة الباب
غادر وهو يجيء وجاء يغادر

من نسمة الصمت . .
من نبرة الصمت . . والدمع
أعرف خط العراق
ومن مثل قلبي . . يعرف خط العراق
وياقاتك السمر يوم حصاد حزين
تقاطر فيه القبابر فوق ثيابي
تغازل غرفتها في شبق
ركنها داخل البيت
ضيّعتها في الجوارير بين ثيابي
وأقلام صمتي تجنبتها
كيف لي أتجنب خفي إليك ؟
نبشت الجوارير
أبحث عن أي شيء يداوي
يزيلك
يمحوك من خاطري
قميصي النهاري من ذكرياتي
ومن يغلق الآن هذه الجوارير
من تعطه نفسه أن يلمس ألامس
رائحة نفاذة
من هناك ؟
شيء بزاوية البيت يبرى

أفتش . .
ينقطع البري من قلمي البرتقالي
قلبي الذي صار يكتب من كل أطرافه
وصل الجرح
دس المكاتيب
أهملتها
أنت هملتني
أنت علمتني الهمل
علمتني أن أضرب النرد لي ولنفسي كخصمين
أين اختصمنا . . متى . .
لماذا افتعلت دواعي الخصام ؟
ألست ترى وحدتي وانفرادي عن السرب
خطوت بعيدا . . بعيدا
ولكنه البعد يختلف الآن
والبعد الذي وصل الشيء واجتازه
جاوز الوصل
صار في الحب
لا في الحديد ولا في الوصول
ولا في الفراق
أنا من حدة العطر أجرح
أنفض ريشي كالطير

أقتبس الصمت أكتبه بدفاتر حبي
أساور ترنيمة أنت علمتني نصفها
يا لئيم فقط نصفها
أتذاهب ما زلت في موضعي
إنما لست فيه
وعندك أمسي
وراء المخافر واللوز والياسمين
أفتش عن كلمتين
وأقنع نفسي بجدواهما
قلت : لم تكتمل هذه
غادرت عاقبت نفسي مغادرة
وأردت أكون كأنت
أنت وليس التفاصيل
أنت بدون الحجارة
والباب والغرف الجانبية
فوجئت بالغرف الجانبية
كنت تخون
تخون أصول الخيانة أيضا
وتسحب طاولة اللعب
تسحب من ورقي ودموعي
وتلعب ضدي . .

قامرت بالذكريات
هدرت دمعي في الكؤوس
ووزعته للرفاق
تقربت لا لم تقترب
كتب البعد في قاف قربك مني
وللقاف نردان أرميهما
والمقادير ترمى
ويخرج عن دينه النرد
مما لعبنا ومما خسرنا
ولم أنسحب
ثمل النرد باللاعبين
اقترب رميتين . .
تدحرج نرد أقل قليلا من الشوق فيه
فكان الفراق
اقترب لا تخف
إني أدون بالرمل تهت
وتاه بى الورد والنار والدار والجلنار
ولم ألق إلا السراب العظيم
فعانقته أجلا . . أجلين . . ثلاثا
رمالا
رمالا

رمالا قطعت
وحبة رمل تفاجئني تحت قلبي
فأواه . . أواه هذا القليل الذي لا يطاق
وماذا الهوى غير نأيين يقتربان
ألا يلتقي المتوازي بصاحبه إن سقيناه خمرا
ويترك كل مذاقًا بصاحبه
كم قليل من الناس
يترك في كل شيء مذاق
أذوق فتكتظ بالفستق المطري
وتنسال
أغمس كتفي بسمرتها
أقرأ الليل مكتشفا لغتي
قبل أن يدخل الأسود الدؤلي عليها
إذا مسني الصمغ
يلسع من شدة الالتصاق
ولست أحب المواني
وأن خشبي متعب أنا لست أحب المواني
تنتشيني وتطربني رشقات الرذاذ وأنثى النوارس
والأزرق الانتهازي واللغز
وأعبد جرحي إذا صاح
خليه بين الصناديق والرزم العصبية

في مخزن الحاجيات التي ضاع أصحابها
هذه قصتي
هذه سنواتي الصغيرة
هذه التي . . . وتقاطعني
رزمة تتفرس وجهي
أنا كل ما ضاع
كل ما لا يفتش عنه
وبعد على حدة أتنول بعد
أشد أضم وأفغم فغما لذيذا
وإلا بإحدى السكونات يقتلني الاختناق
متاه المتاهات يا قلب
اثبت خلف المتاريس
اكتب على البندقية حبا ووحيا بعيدا
وخذ طلقتين لعينيك حزني
كأن النجوم نوافذ أنت تزوجتها
كتبت لها قبلة للطلاق
تضارب بالهم كل سراب لديك
حريق من الماء
كم شرب الكوز خمرا وجف
عامله يا سيدي إنه جف بالخمر و . .
آه من هذه الواو تبدي الذي خلفها

فضحتني وغلقت الباب خلفي
فلم ينغلق غير نصف انغلاق
مسني مسة الحب أو حطم الكأس . .
دعني أحس . . تحطمني
ثملا ليس صحوا
وتجمع مني الشظايا
ترتبها كهواك . .
كخمرك
أتكفيك كأسي وأنت الخمور الدهاق
شظاياي هذي الكؤوس
كذلك تعشق تسكر يوما
فقدت وحطمتها
لم أقل للكؤس لماذا تجيء المكاتيب
أو لا تجيء
أنا أقرأ الحب لم يلمس الباب . .
لامسها . .
مسح الثلج من عتبة الأمس
دعنا نجرب حظ الحجارة ثانية
ونقيم الشبابيك من تعبي
وارتباك الأصابع
كفي تصافح كفك ثانية

تتذكر أنك خنثى محال أصافح كفك ثانية
وأضيف الجموع لهذي المسافة ما بيننا
كأن حبا بريدا تأخر
عودا أردت أدوزنه بين عينيك
أنت أجرته
أنت خنت الطريق العريض
وخنت الزقاق
كيس رمل تعرض للنار من فئتين
وكتم حرصا على سمعة البندقية
والحب
والعمر
والكلمات الأخيرة من دفتر الشعر
لما رآك تخون مكانك
قال مكانك خان
مكانك خان الهوى
أنت أيضا مكانك أتلفتني
كلمة الحب أتلفتها ودموعي
التفت أنت ماذا لا ولا تلتفت
لم أعد ذلك الغر بالأمس
صار الوداع وداعا
ولا يلتقي المتوازي بصاحبه

أصبح الخمر ماء بسيطا
رأيتهم يشترونك لم تفهم الحب
لم تفهم اللحظات التي
تستقيم النجوم إلى مركز الله
لم تفهم الربط بين الرصاصة
والحزن والأسود الدؤلي وقلبي
ولونت ثوبك بالأحمر القرمزي
تؤكدا أنك منا محال
فإن القذارة لا تنتمي
وردة الشمع لا تنتمي للهوى . .
بالبنادق
دعني أريك الكثيرين خانوا
وهم يرفعون بنادقهم
يسقط الحرف والمجد للاحتراق
أتلفت ألقي حجاري حولي . . شظاياي
أوراق شعري
بقايا تهدمت
حقا تهدمت
لكنني في المكان اخترت
ممتلئا بالحنان لنفسي والحنين
لوعدت ثانية

صرت نفسي فإني ألوف
خلقت ألوفا لنفسي أمين
أمطر الليل فأكثرت العين كحل الخريف
وأمزجة الورق الرطب
وامتلأت راحتاي وراحة دهري
فلم تسعفيني بغير التغيب في جسدي
فرح الدم . . صار يحس قميصي
وما بين سطر وسطر
وجدتك فاردتين من اليَاسمين
بمحض اللبانة كنا
ورقد أعصابه الشوق بالصبوات الأنيقة
في الروح
في النهد
في ثنية الخصر هذي التي أهلكتني
يدي . . آه أين يدي
أي صيف دخلت وأي شتاء
وغرفة عشق بها منقل وشراب عتيق
خذيني لغرفتك العربية هذي
لقد ثقل البرد سيدتي واشربيني
تذكرت وجهك أنت التي تجلسين أمامي
تذكرت بيتي وسجني وحضن عظامي

كان لنا طعم الحب
كانت لنا نكهة الزهر أحزان
حملت صرتي وثيابي إلى الباب
ودعتهم فرفعت إلى أذني ياقتي
حزين
حزين تركنا لدى الماء آلامنا
وبنادقنا
وانسحبنا . .
حملنا الجروح التي ستشتعل
وتشعل في غربة العمر نارا
وتسحب ساقية من البيوت البعيدة
للصبوات
لمن كل شيء بهم فرح وحنين
وددت أحب لا شيء إلا الهوى
وأتاني البريد فوزعته للذين يحبون بعدي
وقبل وصولي لقد غادروا
آه . . لقد غادروا . .
كلهم غادروا في تتابع وانسدل الباب حائرا
إنهم يذهبون
صرخت وهم خارج الدهر . .
اسمعوني

اسمعوني
اسمعوني
تعبت من العمر من اللحظات التي سوف تأتي
من امرأة سكنت ثيابي الرقيقة
أو خرجت لهواها
من قناني الدواء المسائي
كيف يحتمل العمر من دون الدواء المسائي
تكتظ واحدة بعد واحدة في سلام
حتى مطلع الفجر والضائعين
أي ذل يذلون قلبي يدوسون في جرحه كلمات التبرع
ومن يطفئ النار بالنار لا بد شاهد شيئا
وراء الأمور وأوشك مما يبين بهم لا يبين
أيها الحب اشرب تذوب اختلافاتنا
أنت هملتني . . أنت علمتني الهمل يا مهملا
وانتظرت بزاوية العمر لم تتذكر
تذكر بأنك لم تتذكر
كيس رمل بتلك المتاريس قلبي
انقله حيثما حصلت ثغرة أو أوسده لجريح
ومتكأ لمقاتل يضعف القلب فيها
وبين الصخور الحزينة اتركه شاهدا
كلما الريح مرت أقول العراق

تركتني أشرب وحدي
حملت بها بالضباب بزهرة دفلى
على وحدتي تركتها
فملت بشباكها في الطريق بمن يعبرون
لقد كنت فوق الثمالة
لست أميز بين أوجه العابرين ملامحهم
كلهم وطني
وملابسهم وطني
تعالوا فقد أوحشتني السنين
وأمسك طفلا بعينيه أثمار أيلول
أتعرفني أتطلع فيه
وفي ضحكة الورد في خده
أنت تعرف ماذا بقلبي
عشرين عاما من الانتظار المذل
لقد كنت طفلا كمثلك مثلك
عشرين عاما من الغرباء نجرعتهم
كلنا وطن واحد
كنت آخذ هذا المسكن في الليل
حتى تهرأ صدري
وصار المسكن في حاجة للمسكن
عشرين عاما صرخت

لجأت إلى كل ما فيه دفء
فإني أرجف في الليل كالبيلسان المريض
وتقتلني القشعريرة
عشرين عاما أخذوا وقتهم
وملابسهم
والرسائل
لم يتركوا لي سوى ألمي والبندقية
وذكريات تغيب
وأعشقهم
حجزت الزمان لهم والبنادق والقلب
محتمل حضروا . .
سكنوا القلب من دون علمي
ومحتمل أنهم في المحطة
في الزمن الصعب
محتمل أن كل الهواتف معطوبة
ثم محتمل . . ثم محتمل . .
ثم محتمل . . محتمل كل شيء
سوى إنني مخطئ في غرامي بهم
والسؤال
أحبهم نكهة العمر . .
ملح الطعام

تركتهم في البساتين
في المقبرات البعيدة
في غرفة العرس . .
في الحلم ذهبوا كلهم
ابق أنت طويلا
فأنت آخر من لا تغلف سهادي بالصمت
ستسهر كل الأماني المحيطة
أعمدة الكهرباء الطفولي
لعب الصبا . . نزواتنا
وآخر ثوب من العمر أخرجته
من تراب الصناديق
نفضته وكويت ماضيه
أفردت كل القصاصات
كل الرسائل
كل الجوارير
كل الحكايات
كل الذي أنت في العشق
آه يا غربة النار
في بلد الثلج
ابق طويلا . . طويلا . .
أعطني فرصة للذهاب ولو مرة

دائما يذهبون إلى خارج النهر
أما ذهابي فتيها
سأذهب آتيك بالحب
والخمر والخبز والصحب
كل الذي تشتهيه سوى لحظات الفراق
أريد ثيابي القديمة
فكل ثياب الصبا لا تلائمني الآن
والثوب هذا الذي على جسمي
ليس ثوبي اضطررت لأستر جرحي
وأواري بذاتي أمام الغريب
وهل ثم شيء وليس غريب
كلنا وطن واحد
ورفاقك السمر يوم حصاد
ولكنني لا أقلب عنك الجوارير
إذ أصبحت شيئًا غريب.

* * *

تل الزعتر

هذي الأرض تسمى بنت الصبح
نساها العرب الرحل عند المتوسط
تجمع أزهار الرمان
وساروا باديتين
ولما انتبهوا وجدوا كل سقوط العالم فيها
قالوا مرثية
أيهم الميت إن القبر يزخرف
أم تكترث الشاة لشكل السكين
نشاز مكتمل
ثدي في الأرض
إلى جانب كفين صغيرين كأوراق الكزمة
طفل يكبر بين الجثث المحروقة
قولوا يا عرب الردة مرثية
أيهم الميت أن القبر يزخرف
أم تكترث الماعز للحقل إذا حضر الذبح
ماذا يطبخ تجار الشام على نار جهنم
إن الطاعون قريب

أول ما يظهر نجم مثقوب
قلق . . يرسل أضواء مهلكة
وتضيء محاجر جمجمة
تلعب فيها الريح بتل الزعتر
إن تراب العالم لا يغمض عيني جمجمة
تبحث عن وطن
منذ قليل سقطت عاصمة الفقراء
صنوج العنة قد ضربت حتى البيت الأبيض
خصيان العرب الحكام ارتجفت شرفا
أبناء الكلب . . هنا
صرخ الكرش الأشقر . . أردى طفلا
سحب البزازة دامية من فمه وازدان بها
أبناء الكلب هنا . . يعني بالضبط هنا
جمد الأطفال
وقد ذهب البؤس بكل ملامحهم
وقف الله مع الأطفال الوسخين
فعاصمة الفقراء لقد سقطت
حاول طفل أن يستر جثة جدته
فمن المخجل أن تعرض أفخاذ الجدة
أردوه على فخذيها
لا بأس بني فذاك غطاء

هل تلد المرأة في الخيمة إلا جيشا
أولاد الوسخة . .
أولاد فلسطين
سوف تعودون إلى فلسطين ولكن جثثا
نظر الأطفال إلى الوطن العربي
خصيان العرب الحكام ارتجفت شرفا
صرح نفط بن الكعبة أن يعقد مؤتمرا
لسنا في زمن التفكير
سيأتي ذلك . . يأتي ذلك . . يأتي ذلك
والجوكر في اللعبة أضحى معروفا
بلاع الموسى كذلك
كيف يغيب النخر عليكم . .
يا أهل الفطنة بالنخر لقد سقطت عاصمة الفقراء
وقِيل قديماً مأرب بالجرذ لقد سقطت
نسقا والنسوة يرفعن أياديهن ويمشين فرادى
والحامل تكشف بيت أنوثتها
طرحوا الحامل أرضا
سحبوا رحما يتكون فيها في الليل فدائي
أسمعتم عرب الصمت
أسمعتم عرب اللعنة
لقد وصل الحقد إلى الأرحام

أسمعتم عرب اللعنة
إن فلسطين تزال من الرحم
دعاة الدين الأمريكي بمكة
والسوق عليها في أوجه
مزاد علني يا أشراف
ثلاثون قتيلا فى الساعة يا أشراف
ثمانون على تجار الشام
ثمانية وثمانون على تعطيل الدستور كويتيا
تسعون على ملك النفط
التفتوا أولاد الوسخة من أبطأ لفته الصلية
صمت .. صمت .. صمت ..
ما هذا الصمت يسمى في اللغة العربية
أنهار البهجة
غارت في الليل سريعا
رفست جسدا واحد للأطفال
تراب العالم أعلن عن وحشته
لم يكف الحقد
سمعنا الصلية ثانية
نال الله من الأرض
وأمعاء الأطفال على كفيه الضارعتين
بكى في الليل بكاء خشنا وتوسل بالناس

يعودون إلى تل الزعتر
فالله كذلك من عاصمة الفقراء
وهؤلاء الجيران تعودهم
وتعود أن تنشر بين الخمية والخِمية في الصبح ملابسهم
كان يلم ملابسهم أحياناً
لا تقتربوا . . لا تقتربوا
لحم الأطفال سيلعب والغميضة شاملة
هذي اللعبة لا يقطعها أحد أبدا
خصيان الردة قد كبرت
أسمعتم . . أسمعتم . .
أسمع صوت الشعب الغاضب في لحمي
لا تقتربوا . . لا تقتربوا . . لا تقتربوا
ماذا ثمن الطفل الواحد
ماذا ثمن الغمازة
ماذا ثمن العينين الضاحكتين صباحا
ماذا ثمن الحمل الطيب في زاوية الخيمة
والردات على الأبواب
ماذا ثمن الشفتين مناغاة وحليبا
كلا . . كلا . . كلا . .
لا تقتربوا
لحم الأطفال سيلعب والغميضة شاملة

للقاتل شيء آخر غير القتل
كم القتل قليل في هذا الموضع
عشرون على لحية قابوس
مزاد علني
سبعون على أسد العلم الإيراني
مزاد علني يا سادة
تسعون على مؤتمر القمة
أوراق التوت لقد سقطت
نزل الأشراف من القمة بالعورات علانية
بينهم الصامت بالله يغطي عورته
أكثرهم خجلا كان الماموث
جماهير الصمت تغض الأنظار.. هذا خجل
لا تقتربوا أكثر من ذلك
فالمذبحة الآن مشوهة
جثث الأطفال بلا فرح
وأميز رائحة الرضع
والخرز الأخضر يورق في اللحم المحروق
أكانوا قبل قليل حقا أطفالا
لا تدعوا أي صغير يذهب من هذا الدرب
سيبتسم اللحم المحروق له
إن كنيسة شربل تحرق أطفالا

هذا اللحم يفوح دخاناً ورديا
يصبغ خد الدين بحمرته.. ابتعدوا
ابتعدوا ..
ابتعدوا ..
ابتعدوا خطواتٍ أخرى
خلوا الأضواء وخلوا تل الزعتر يعتاد الظلمة
لم يحن الوقت
عاصمة الفقراء لقد سقطت
لن أبكي أبدا من قاتل
لن أبكي إطلاقا
أبكي من يبحث في القمة عن دولته
نزل الشرفاء من القمة
آثار سحاق في جبهتهم
أكثرهم خجلاً كان الماموث
رأيتم أحداً يحمل قرناً منقرضا
ألقوا القبض عليه
فذاك ملك القوادين جميعا
غاص بوحل الردة إلا رأس القرن فظلت بارزة
وسخ كل الظلفيات الوطنية
وحَلها
جعل الردة شاملة.. وحَد أعلام الردة

أصحاب الأظلاف اجتروا فالظلمة قاسية
هذا ليل عربي . .
والمذبحة انطفأت توقيتا
قبل القمة
اتهم الماموث النجدي وتابعه
ديوس الشام وهدهده
قاضي بغداد بخصيته
ملك السفلس
حسون الثانى
جرذ الأوساخ المتضخم في السودان
والقاعد تحت الجذر التكعيبي على رمل دبي
مشتملا بعباءته
وكذاك المعوج بتونس من ساقيه إلى الرقبة
استثني . . استثني المسكين برأس الخيمة
كان خلال الأزمة يحلم
والشفة السفلى هابطة كبعير
والأنف كما الهودج فوق الهضبة
لا تقتربوا . . لا تقتربوا
كونوا ليلا
كونوا قدرا وجموعا داكنة غامضة الحجم
بدون قناديل . . وبدون صراخ شرقي

يفسد هذي المذبحة
المحتاجة للرضع
بصمت سيروا . .
كونوا ليلاً وتراتيلا دامية
من كان تشوه أو كان يموت بطيئا يتقدم قدام الجناز
العين المفقوءة
والكف المقطوعة
والساق المبتورة
والجثث المحروقة
تحمل واضحة
ويقول القبطان بدون عويل شرقي
وببطء أبطأ . . أبطأ
خلوا الأجساد كما هي كانت
أبطأ . . أبطأ
هذا الإبطاء اللائق محترم
وضعوا المذبحة الآن هنالك
قدام نيافات رصيد المال الديني
رصيد الدين المالي
رصيد القتل
آباء الغرب المحترمين سلاما
نحن النجس الشرقي جئنا لنقدم هذا الشكر لكم

أحباب سفينتنا همس القبطان بدون عويل
وبدون صراخ شرقي
صفا صفا فالغرب يحب التنظيم
ولا يهتم بعاصفة متأخرة يذرفها الشرق البائس
من أولئك .. قذر .. نجس شرقي
حاشى قدرك يا رب رؤوس الأموال
فنحن النجس الشرقي تراب أتفه من أي تراب
نحمل جثتنا عربونا لصداقتكم
أبطأ .. أبطأ
إن البند الثالث سوف يطل من الشرفة
سوف يبارك هذي التسوية السلمية للذبح
سبحان البند الثالث
سبحان جلاسكو
سبحان وفاق الدبين
خوفنا الكهان من التفجير النووي
ولكن ذبحوا أكثر من ذلك أضعافا
هذا المنطق فيه ثقوب
تنقل موتا وأساطيلا
وعقودا للنفط
فأبطأ.. أبطأ .. أبطأ
فيم السرعة

قوات الردع لقد وصلت
خصيات القمة رغم خلاف الأفكار اتصلت
قوات الردع لقد وصلت
معجزة القرن العشرين لقد حصلت
بالنفط هدمنا لبنان
وبالنفط سنبني لبنان
يا رب كفى خجلا
يا رب كفى ثيرانا
يا رب كفى
ها هو سفودي بالحقد أجمله
ها هي أقفاص صدور سبايا المسلخ تشتعل النيران بها
ها نحن نمد صراطك بين ضحايا تل الزعتر والدامور
ونحضر كل القردة
قردة . .
أتحدى أن يرفع منكم أحد عينيه
أمام حذاء فدائي يا قردة
النار هنا لا تمزح يا قردة
الشعب الحاقد جاع . .
أنا أسمع أمعاء تتلوى ألما جوعا غضبا
كل يحمل سفودين اثنين
يا رب كفى خجلا

يا رب كفى حكاما مثقوبين
وهذي ساعة نار
ألقوا أول أقزام الردة في النار وهاتو الآخر
من أنت
أنا . . . (يطرق)
يا بن الـ . . .
ألقوه كذلك . .
هاتوا المتكرش
خلوا جمهور البحرين هنا يحضره
والله أنا الشيخ ابن الشيخ حفيد الشيخ . . .
كفى هذي الخاء الوسخة
تشتاقك نار الله بكل عقالك
والدهن الهولندي المتأخر فيك
ها هو سفودي يا رب أجمله
لن نرحم منهم أحدا
دلوهم في النار ببطء
منذ قرون يلتذون بنا
منذ قرون يشوون الشعب على نيران مناقلهم
أبطأ . . أبطأ
ننسل جدث الأطفال ونقعد قدام كنيسة روما
نعرض كل بضاعتنا

يا سادة يا سواح المعمورة
يا أبناء العطر الفاخر
هذا تل الزعتر
هذي الترقوة الشفافة فاطمة بنت فلان
و فلان نجس مجهول مات على جسر العودة
هاتيك جماجم فاخرة
يمكن أن يصنع منهن قناديل للميلاد
وأجمل أيقونات عرفت
هذي الفقرات السوداء لطفلين يتيمين من المسلخ
واحترقا ملتصقين
وبالإمكان لمن يشاء يجس ويختبر الجودة
جسوا . . جسوا
لا تخشوا شيئا
هذا النجس الشرقي رخيص
يا سيد من بلد الحرية
هذي المقل المقلوعة
آخر أنماط صدرها تمثال الحرية
هذا ليس بفخار
بل جسدا كان يضيء كما الشمعة
ثم شراه بنو شمعون لتخرج منه الأفكار الثورية
أولئك نحن

عظام.. جمجمة .. زبل .. أيتام ..
لكنا نقتحم التاريخ ونملأ عالمكم بالفقراء المشبوهين
سنقرع راحتكم بيتا بيتا
نخنقكم في اليقظة والكابوس
معاذ الله أثير الرحمة في أحد
إن إثارة أي حذاء أسهل من ذلك
أدعوكم لمشاهدة التحف الشرقية للمتعة
والله لمحض المتعة
صرح نفط ابن الكعبة
ماذا صرح نفط ابن الكعبة
كل العالم مشغول
ماكنة الأرقام ارتبكت
لا حول ولا قوة إلا بالله ..
فنفط ابن الكعبة
لا يدري ما صرح نفط ابن الكعبة
نفط ابن الكعبة سريالي
يا رب كفى بقرا
يا رب كفى حكاما مثقوبين
وكل فقير يحمل سفودين
تعالوا فقراء الأقوام جميعا
نفتك نمسح أصباغ الطبقات المومس

يأكل قط ما يشبِع عائلة في عدن
تنهبنا الشركات وتصدر نشرات
إن لصوصا عربا إرهابيين
يجوبون مطارات العالم
في كل مطارات بني عطر وخنازير
نجرد جردا تنفض حتى الفقرات
ويعلم كلب الشرطة أن يعرف رائحة العربي
ويعرف رائحة اللاجئ من غير اللاجئ
إن كلاب الشرطة هذه لتنسق بالتأكيد
مع السلطات العربية والأمريكية والقردة
قردة . . قردة . .
يا سادة يا سواح المعمورة
في الشرق لنا حكام قردة
اجلس قدام كنيسة روما اعرض كل بضاعتنا
هذا الجوع العربي المالكَ للنفط
هذا نصف خليج
تلك معاهدة ستسلم شط البصرة
هذي رخيوت
وهنا يا سادة تسكن كل العبرات وأبكي حمما
أحد يعرف رخيوت
أحد يعرف رخيوت وحوف

فما تلك من الأفلاك السيارة والمكتشفات
ولكن وطنا عربيا
مملكة للجوع وللأوبئة الجلدية والقيء
وللثورة أيضا
شاهدت بعيني الحامل تأكل مما يتقيأ طفل محموم
وتغذي الولد الآخر من نفس القيء الأسود
ما أعظم ما صنع النفط العربي بنا
نتجشأ حتى التخمة جوعا
والملك النفطي يخاف على النقد من الفئران
وهذا الغرب بكل تكامله وتفاضله الذريين
على النفط جميعا يجمعنا
وعلى النفط جميعا يذبحنا
يحيا النفط
يحيا الغاز
يحيا ملك الغازات
يحيا رأس الخيمة
تحيا لحية قابوس بن سعيد
هل أحد يعرف كيف يكون الطعم المالح للقيء
وهل يعرف كيف التينة قد نسف النبع الطيب
من بين يديها
فالتفّت حتى يبست وتكاد تموت

فمدت إذ ذاك من الكاهل عرقا
وارتشفت ماء الجنة من بين يد الله
فإن التينة في الأرض العربية ليس تموت
هذه التينة أعجزت الخصي
وأعجزت الأحلاف وأعجزت الشاه
وباسمك باسمك أعلن صوتي
أدعو الشعب ليحمل كل سفودين عظيمين
ومن كل الأطوال مسامير عليها
الآن الآن وليس غدا
ونغلق أبواب الوطن العربي على الحكام القردة
سلطات القردة
أحزاب القردة
أجهزة القردة
كلا . . بل أشرف منكم فضلات القردة
اقتتلوا بسيوف السنة والشيعة والعلويين
وحتى المنقرضين
نِطاح كباش
فئران تركب بعضا
جرذان تعزف دسبور الأقدار لها
ثم اجتمعوا تحت عباءته
وأتموا الصفقة والبؤس

وصرح نفط ابن الكعبة
ماذا صرح نفط ابن الكعبة
نفط ابن الكعبة مجتمع . . ترتفع الأسعار
نفط ابن الكعبة يقضي حاجته . . تنتظر الأسعار
فما أعجب ما اجتمع القردة
والعظمة يا نفط ابن الكعبة
أنت تغص بعظمة فاطمة بنت فلان
وفلان مات على جسر العودة
ما كان لنا زمن ندفنه
هذي العظمة من فطمة بنت فلان
هذي الفقرات المحروقة تصلح مسبحة لرجال الكهنوت
هذا القيء البني الفاخر من رخيوت
أحد يعرف ما رخيوت
هذا تصريح جيوش الردة
هذا تل الزعتر
هذا الدامور
وسيناء
وأنطاكية
طنب الصغرى
طنب الكبرى وأبو موسى
وإلى آخره

لكن يا سادة
لن يتعشى أحد بالشرق العربي على طبقٍ من ذهب
صرح نفط ابن الكعبة أن يعقد مؤتمرا
بالصدفة واللّه بمحض الصدفة كان سداسيا
أركان النجمة ست بالكامل
يا نجمة داود ابتهلي
يا محفل ماسون ترنح طربا
يا إصبع كيسنجر
إن الإست الملكي سداسي .

* * *

دوامة النورس الحزين

نورس .. اصطيد ووضِع في قفص الدجاج

النورس الحزين
لم يصدق أنه في قفص الدواجن
تذكر المحيط يلصق الدجى بصمته
والموج شب لؤلؤا فساح فضة
فنام في القرار هادئا كأجمل المعادن
فضض ريشه كزهرة الثلج علي احتضاره
ولم حوله أشرعة الخيال والضباب والمدى
وضجة السفائن
فمات في موكبه البحري رغم سجنه الصغير
وارتج على الدجاج فهم موته
وكيف يفهم الدجاج أجراس الرذاذ
والنويرس الأمير يضرب الموج
ويعلو ساحبا روح المياه خلفه
عن جنة لجنة
فربما أنزل من ورائه الجنائن
بين الدجاج والنفايات وفي زوايا القفص الكئيب

أسلم المدى الفضي روحه
وانفضت الأشرعة البيضاء والفضاء والرؤى
فليس من يجمع شمل الجو غير طائر المفاتن
ما أعجب المحيط
إذ يموت راقص الأمواج والمدى
في قفص الدجاج مثقلا
وأن تظل عينه مفتوحة
يسرق منها الموج أجمل الخزائن
واستشكل الأمر على الدجاج كله
فقرر الدجاج عقد قمة طارئة
وسيد الدجاج قد أناب من يبيض عنه بيضة من ذهب
فأعلن الدجاج أنهم تضامنوا
وفوق المذيع .. عاشت المداجن
دجاج مجلس الخليج جملة
أدار للفروج في منصة الرئيس ذيله
وأعلن الخليج جبهة
أطلق صاروخا من الرياح
ما تعدى جلسة الصباح
فاهتز الحضور من ضخامة الدوى
والرئيس طار من على كرسيه
ومن على يمينه ومن شماله

وانهارت المساكن
وألحقت قضية النورس بندا لاحتلاب سادة الدجاج
فاحتد الوطيس
طار عرف من هنا
ومن هناك طارت الكرامات وراء درهم
واختلت الجلسة إلا أقصر الدجاج
ظل ضاحكا وساكن
لم يلتفت إلا أمين بيضة الدهر إلى النورس
غطاه كما أوصى من أصحابه
بخطبة من الأم المطاحن
يا قمة الدجاج
إن البحر كله نوارس
البحر كله . . . نوارس
البحر كله . . . نوارس
ويعقد اجتماعه السري في القاع العميق
بنده الوحيد محوكم قاطبة
تحصنوا يا أيها الدجاج
فالمحيط قادم . .
الأزرق الجميل قادم
ترف في أعلامه الصوافن
يا سيد المحيط لفني بأذرع الهدير

مثلما تلفني النساء
خلني في لحظة القرار واللؤلؤ والفيروز
في الصمت الثقيل كالرصاص
واندلع في الزبد الداكن
وجه اللّه في أمواجك الزرقاء واغسل الحياة
ممن يضعون نورسا في قفص الدواجن
أمس ومن نافذتي
والعمر في أغطية الصوف
رأيت النورس الحزين عابراً فضاءنا الميت
في شوق إلى فضائه البعيد
كان برد العمر في مفاصلي
نشرت ساعدي ألقيت غطائي
وانتضيت ـ مثل من يريد أن يطيرـ قامتي
لم أستطع
دخلت في الدوامة . .
لم أستطع
لكن أتى الفضاء ما بين عيوني ساجدا
لأنني حاولت أن أصير نورسا
واجتزت آخر النفير والمآذن .

* * *

رباعيات

طائف قد طـاف بي في غيهب الـسحر
ساكـباً في عـدم يصخـب كأس العـمر
صحـت يا مولاي مـا هذا الذي تفـعله
شـزر المولى فـذابت مهـجـتي بالشـزر

* * *

قمـت مذهولاً إلى إبريـق خمري ثـملا
علـني أطـفئ نيـران ارتـباكـي بالـطلا
سكب الإبريق في كأسي نضـوبا صامتا
آه مولاي فـراغ الكأس بالصمت امـتلى

* * *

انقر الكأس إذا ما نضبت واشرب رنين
فهي ما ضمت سوى خمرتها عبر السنين
فإذا أنبك العشق يا عـشق .. فضجات
عصـافيـر على غـصن من الـورد مكين

* * *

تبـتلي العـاشق بالخـمر وبالحـزن كثـير
زد من الاثنين فالصحو من العشق خطير
أنا لولا أعشق الـدنيا كما أعشـق لقياك

قــطـعت الـدهــر وفــي الغـــيــب أطيـــر

* * *

ما لبعض الناس يرمــيني بسُكري في هواك

وهو سكران عــمارات . . يسميــها رضاك

يــا ابــن جـــيــبين . . حـــرامـــا إنــني

أسكر كــي أحتمــل الدنيا الــتي فيــها أراك

* * *

مر ريقي بــحروب الجهل من كل الجــهات

أفــمـــا تملا إبــريــقي بــســاتــين الــفــرات

قلــقا أدعــو شتــات الطــير يا أحــبــاب لموا

الشمل فالقتــال لا شيء سوى هذا الشتات

* * *

طلقة..ثم الحدث

الدراج الأرجواني الذي يفضي
إلى بيت الرضى الليلي
أطفأت دموعي فوقه
منتشيا بالخشب العابق بالحزن
وقبلت خطى أيامي الأولى على درجاته
درجاته . . درجاته
ذابت جفوني . . أحرس النقطة
ما فرطت بالنقطة يا من فرطوا بالنهر
نفسي لم تعد تغلق مما بلغ إلا من بها أبوابها
كنت نسيجي وحده
والعشق كان الغرزة الأولى
وفي الساعة حدسين تماما
كان يشتد هجيري
من مجيري كد وامتد
فلم تحتمل الصحراء هذا ولهي النهري
حاولت . . دمي يطفئها
دمعي

صراخي . . صراخي اتقدت
حاولت أرمي فوقها كل الذي أملكه من جسدي
فامتنع الناس
ألا أملك حقاً من حقوق النشر
هذا جسدي . . إني . . دمي
هذي قناعاتي
وهذا درج أحمله أرقاه في الليل أرى
أو أمسح النجمة بسم اللّه هذا وطني
علمني ألتزم النار
لماذا كل هذا الصمت
هذي الضجة الخرقاء
هذي الهامشيات . . الصراعات
الأكاذيب . .
لماذا يدخل القمع إلى القلب
وتستولي الرقابات على صمتي وأوراقي
وخطوي ومتاهاتي
ألا أملك أن أسكت
أن أنطق
أن أمشي بغير الشارع الرسمي
أن أبكي
ألا أملك حقاً من حقوق النشر

والتوزيع للنيران مجانا
لماذا يضع السيد هذا وطني في جيبه الخلفي
من أرثه النفط وتسويقي
ومنذا راودته نفسه أن يشتريني
قسماً لا بالسموات
ولكن بالسموات التي تمطر
في عيني جنوبي يتيم في الحدث
أحرق بيته
طلقة . . ثم الحدث
وأنا أعلن ناري
أعلن القلب فناراً فوق أرنون الفدائيين
يستطلع ليل الكون والبعد الفلسطيني للدهر
وما يضمره الغيب
ألا يستبق العشق الحدث
طلقة غامضة تفتح في الشرق الحسابات
وسوف الطلقة الأخرى
ولما تبرد الأولى ولا أرتاح الحدث
يبتدي حي الحسين النار
يشتاق الحسين بن علي
خارجاً بالدم من مرقده
يصطف من صلى صلاة السيف والطلقة

أمريكا هي الكفر
وأمريكا ومن سَوَفَ هنا حسني
ففي سوف صراع لم يحن
أجلته استعجلني
كان يرى الأرماث والأوساخ
والأبواب لا الطوفان . . لا تحزن
فإني أعترف الطوفان بالأبواب والخانات
أو قلل طوفانا رمث
أن توحدت بغدارة ليل لونها الكحل
وغرزت بعشق الأرض
ما من قدر إلا بإذن منك
فأذن يا حبيبي . .
واحترس
ما كل غث ثمرٌ غث قد الذائق غث
أقدس الأمطار مدرارا
فإن زنبقة بنت ربيعين سبت قلبك يا برق
فنث بعد نث
وكلا الحالين عشق
فافهم الحالين كي تسلك في الأحوال
واسمع عاشق البرق . .
كثير البث صمت

وكثير الصمت بث
افهموا العمق
فكم من عاشق أتلف سوء الفهم نجواه
وعري طاهر عندي ولا ثوب مريض الطهر رث
افهموا العمق
فما كان أتى من عمقها
واختمار العمق عشق
ولكن مختمر في السطح والعمق غثاء وعبث
قالت الطلقة أن يختزل الكل الخياني
فلا تختزلوا الطلقة بالسقف وبالرف
بل المنزل كل المنزل الرسمي
حتى أكرة الباب التي قد حرست ذاك الخنث
السكاكين هي المهلة . .
هل ترجو من الرحم الذي لقحه المال اليهودي
طهوراً في الطمث
نجس كل . .
ولا فرق سوى قد لهث الأول بالجملة أوساخا
وحسني أحد الأقساط فيما قد لهث
السكاكين هي المهلة. . .
أو عصر يهودي سعودي
سيبني ألف ماخور من التلمود في أطفالنا

في الحب.. في القرآن.. في الشارع
فيمن شهدوا بدرا
وفيمن شهدوا واستشهدوا
من أجل أن نحيا
ويستدعي إلى محكمة حتى النوايا والجثث
ها أنا أعلن قلبي
ضوء إسعاف حزين
في جروح العمر والثوار
والبابونج الشاحب يبكي
في بقايا جثث الأطفال في أنقاض صيدا
عمرها سيارة الإسعاف لا تغفو
ولا تنسى عناوين جروح الناس
لا تلزمني أنظمة السير .. ولا الشارات
وإني ذاهب للجرح.. للطلقة..
للعمق الفلسطيني
لا تلتزم الطلقة
لا يلتزم الإسعاف إلا بالمهمات وخط السير
قد يرتبك العداد
قد تشتبك الحارات والأجداث والخندق
أستهدي بطعم الألم الثوري
أستهدي بنجم غامض لا يتلف البعد

ولا تتلفه الأبعاد
أستهدي بقلبي كلما ضعت
هنا خارطة للوطن المحتل لا تقبلوا شبراً ناقصاً منه
وقد أمّنها عندي بقلبي ههنا الأجداد
أسري عاشقا والعشق إسراء
وقد عبرني الهجران والبارود في شعب ظفاري
يداويني عود يابس أزهر
وأستحضر من أقصى جفاف قطرة عاش عليها
آه يا قلبي على عود زكي لم يجد ماء
فأروي زهره من عوده فورا
وهذي شيمة الأجواد
ها أنا أعلن قلبي
أعلن أن الجرح يمتد
ولا يلقى سوى المستنقع القطري حتى العظم
والحزن البريدي
سئمت الحزن برقيا
سئمت القتل تكرارا . . كفى مهزلة
إني أحن الآن أن أقتل في بغداد
أعطوني قراراً واضحا أو أنني حرب على هذا تصديكم
ولا أفهم ما معنى صمود سالب أو وحدة في الدرج
قد نفنى وما زالت ويفنى بعدنا الأحفاد

طلقة ثم الحدث
سنبلة أولى وحدس بالحصاد
الدرج الأرجواني الذي شب من الأعماق
مركي على صدري لمن يرقى عشيا
فاضحا بعض علاقاتي بالكون
وبالنجم الجنوبي ورأسي بصل اللون
صبايا الشام
وضيقي الذي صار مساحات بصدري
من غرامي بالعباد
مغرم قلبي بأن يبقى مع الناس
وإن عذبه القرب
وغطى وجهه النسيان مخمورا
على الآخر بالنسيان
ما أصعب سكرا مطلقا بالنارفي كف الرماد
دائر قلبي مع الأيام والثوار والعشاق
لا يعرف طعماً للرقاد
وحدودي . . كل إنسان يعاني غربة
حتى أرى غربة عادت إلى غربتها
واصطحب العمر إلى بلدته
يحمل قلبا داميا من فرح
أو عمر. . أو صاحب

واراه في قبر وراء البحر
ما زال وراء القبر يستقرئ أخبار البلاد
يطلب القوم انطفائي (أينعم)
في ساحة العشق الفدائي
شهابا دفع الوعي به دون رماد
أنا لا أعرف تفسيراً لوجدي غيره
ولكن متى فسرت النار لظاها
ومتى كان لقنديل سوى الخفق
إلى آخر جفن بالسهاد
سمع الطلقة فاهتز
فهذي طلقة قد أطربت حتى الجماد
شهق الكون
من التنفيذ
من شاحنة الأقدار
واشتقات برحم الغيب أجيال
ترى خالدا طودا يقذف النار
وصوت الشعب في الطود
وقد فرت حكومات الجراد
يا لواء خامرا باللّه والتنفيذ
هذي كانت التكبيرة الأولى
لأرتال صلاح الدين في أيامنا

من أي تركيب . . ؟
من الأحزان والأعشاب والعزة
مصر عجنت لحمك
من أي حنان حزن عينيك
وضحك الطلقة الأولى
وتلك الوقفة العملاقة النشوى
أيا عملاق . . يا عملاق
في التخطيط . . في القفزة . .
في الإجهاز
في تلخيصك الفوري للموقف
تحيا مصر
في فهمك للبعد الفلسطيني للنيل
وفي غيبوبة كنت بها لا شك في القدس
رآك الناس رؤي العين
أطعمت حمامات بلون العشق والفيروز في الأقصى
ولما اجتمع الأطفال كنت الأب والحلوى
وأعطيت يتيماً دامع الخدين ظرف الطلقة الأولى
وقالوا ذهب الطفل إلى قبر أبيه
أفعم الظرف ترابا
وأتى يركض فاسغفيت أو غبت عن الوعي
على طاولة التعذيب

وانهارت على صمتك آلاف العصي . .
انهارت الدولة . . أمريكا
ومن أخرج كالقنفذ من تحت المقاعد
يرفس التعذيب ذئبا تحت أقدامك
فالترتيل باسم اللّه والجوع
لقد صلب كالصخرة هذا القلب
لكني أرى قطرة عشق في قرار القلب
ثم النار . . ثم البحر . . والتاريخ
والوعي الرسالي لهذا الكون
غريبٌ يمسك الجوع على الإيمان سكينا
غريبٌ . . ليس يكفي الجوع
غريبُ ليس يكفي الوعي . .
وعي الجوع . . وعي الجوع
تلك الطلقة الخالقة الأولى
وكم جعت . . وجاعت مصر
واستفردها النفط
قد استفردها النفط
قد استفردها النفط السعودي
ولكن بصقت في وجه كل النفط
لكن وضعت كل الأسى والدمع في مخزنك الناري
لما تنته الأشياء

تلك الطلقة الأولى وللحدس شواهد
رجلَ الصحو
تمنى كل شبل أن يكون الإصبع الأصغر في كفك
لا تحزن . . ولا تكتب شكوك البعض في قلبك
هذا البعض لا يقرأ إلا وعيه الناقص
للزهرة والخنجر والأيام
لا يفهم إلا وهو قاعد
أنتً نفذتَ
فهلا نفذ التاريخ ما كان اتفاقاً بين عينيك وعينيه
وعادت ماسة النيل إلى العقد الإلهي
فحسن العقد من حسن الفرائد
أنت نفذت صراعاً طبقياً سيدا
بعض صراع طبقي صار للسلطة طباخا
وبعض منه حشو الجيب أوحشو الجرائد
مصر سيري بالأناشيد
وخلي خبز أشجانك والشاي
وأطفالك والأزجال
في وجه المتاريس
أمام السجن . . في الساحة
سيناء بهذا السجن
إيمانُكِ والقرآنُ والوحدة

والإعدادُ للثورة ملقاة بهذا السجن
غنيهم..
ببحر البقر الدامي
بعبد المنعم المدفون بالنسيان
بأيام التلامذة
وعم حمزة وبيت لبيت
واللّه أكبر
زغردي ناراً وبركاناً من الحزن الصعيدي
لوجه الرجل اللحظة والتاريخ
والبذل .. لهم..
للفتية السمر
كما التصويب ..
كوني الرعد ..
كوني الوعد..
هدي السجن يا مصر
اكتبي الأسماء آيات على وجه المساجد
منذ هذي الطلقة الفاصل
مشروع ابن عزى لن يرى النور
ولن يخرج من قصر الأمير الخصي
لن يأكل إلا الرمل
إلا الشوك

والغصة والتنغيص
هذا الجرب الكلي لن تتركه سيهات
لن يتركه دم جهيمان
لا يتركه الوعد العتيبي ليرعى
وأرى قدح السكاكين من الإحساء
إني لأراها وأرى خلف رماد الصمت
ماذا في المواقد
السعوديون إسرائيل مهما كحلوا مشروعهم
ولقد يلقون بالعظة إسكاتا لمن ينبح من تحت الموائد
إنني أضحك . .
مجموعة جرذان كراش فرقة العزف الخليجي
وقرد يضبط اللحن الخياني
وأبكي . .
إننا لا شيء . .
أصفاراً
نعاني غربة الصفر . . احتلام الصفر . .
حزن الصفر . . صمت الصفر
أخرج أيها الصفر من النفي النهائي
إلى الكون النهائي
انتفض . . كُن
امحق الآلية العمياء والنفي

ونفي النفي
فالإنسان لا الجبرية العمياء قائد
وأنا أعلن قلبي نجمة شذرية بين سفين الليل
تستشعر بعض الدفء
في كوة حزن ما وراء البحر والأيام
في سجن بعيد بالمنامة
لم ينم هذا السجين الجدلي الوجه
ما زالت مآقيه كخط الفجر في الليل الخليجي
وما زال بخار البحروالخلجان في تهويمه والموج
والأغنية الأولي لقبطان جريء مبحر نحو القيامة
فز للطلقة واشتد صداها بين جنبيه
مجيئا وذهابا
وسعت كوة زنزانته
وازدحمت فيها نجوم الليل والأشرعة البيضاء
والحب الذي أوسع من نجد
وترنيم حمامه
وانقضى كل حدوس العمر والذكرى
وكانت رزما حالت من الدفن
وجارت عثة الأيام فيها
قرأ المكتوب بالعين التي أجهدها الدهر
وغامت نكهة القرية في أقصى أقاصيه

وطعم الليلة الأولى من الإضراب
ثم اختلطت فيه الهتافات
وصوت النخل والأيام حتى اغتصبته الابتسامة
لم يعد يؤمن من دهر بعيد بسوى النار
وهل ثم سواها
إذ يرف الوعي أو يبحث عن رقعة تبرير تغطيه
فقد صار قمامة
سحب الأصفاد فاستيقظ عمق السجن
والأحزان . . والأبواب . . والشارع
والميناء والبحر
وبحار قد استوطن فيه البحر
ولم يعط لغير اللّه بالضوء علامة
وتبادلنا الإشارات التي يفهمها الأطفال أيضاً
لا يكون البرق إلا أن في الأفق غمامة
وتفاهمنا . .
إنما البركان لا ينضج إلا داخل الأرض
ولايعطي لغير الوعي بالنار زمامه
ثم سلمنا على الماء
فرد الماء باللؤلؤ والموج سلامه
لم أعد أعلن قلبي فرحاً إلا يسار الشمس
أستقتل في البحث عن الجوع الجنوبي

أغذيه بأقصى الشعر والحقد
وأنساه ليال في أغاني التبغ والعمال
أنساه بصمت الخندق المكتظ في الأمطار
والأبطال والأهوال
أنساه بعيني عاكف في صلية خضراء
ما أضيق عينيه إذا صوب
ما أوسعها
حتماً أصاب الهدف الأول
واستولى عليه الشوق للثاني
وأنساه مع الأيام
أنساه مع الأيام والبصرة مرمياً على الأسلاك
بغداد بلا شباك
أنساه . .
ولكن قط لن أنسى أنا قلبي
إذا ما نفثت أفعى
وتاب السم والجاسوس والمشروع . .
لا بل طلقة . . ثم الحدث
الدرج الأرجواني الذي عمري سأعطيه
لمن لا يصل الشعر الحقيقي
لمن يلصق في وجه المحطات أغاني الدم
والشوق الفلسطيني

أو طفل وحيد في الحدث
سوف أعطيه لمن يرقى جدار السجن
يعطي خالداً قلبي
وشعري .. وسلاماً من كثير الحب نث
هكذا أرسيت ..
أن القائد القائد تنفيذ
ولا يتجر بالدم لكي يقبض أثمان الجثث
وأخيراً ..
كل من يرضى بمشروع السعوديين
أو يدخل بابا منه ..
من نفس الزنا .. نفس الزنا
لكن بحالات الطمث.

* * *

عبدالله الإرهابي

الليل وعبد الله أقارب
العرق البارد والنار وحزن الأيام
وعبد الله أقارب
يفهم في اللج
وأفضل من يصنع مجذافين ولا يملك قارب
يدفع جفنيه يقاتل لولا الصف البطلي
يزيح الجدران
يصاهر نار الأيام
وأحبك يا عبد الله لنفسك غاضب
وعلى نفسك غاضب
رشاشك يعقد قمته منفردا ونعالك في قمتهم
اصفعهم عبد الله بأرض نعالك
يخرج تاريخ عقارب
أن تسحب سحاب السروال عليهم
نزلت للأرض سراويلهمو
وقرار يفتح فخذيه
وجلسات مغلقة وعجائب

افتح عبد الله مسدسك الحربي
افتتح الجلسة فيهم أعداء وأقارب
إن تكن الطعم . . فأنت السنارة قد علقت
لولا . . لعنت لولا
ملعون من يتبعها
تملك أسلحة الأرض وتسأل كيف نحارب
يا عبد الله بساعات الضيق
تحولت الدبابات أرانب
فتلت أسلحة الجيران شواربها ليلا وصباحا
حلقت وتغاضت
وغدى الميثاق القومي بدون شوارب
وصواريخ الفرجة ضجت
وأتمت يا عبد الله مهمتها
ضمن مهمات صواريخ القوم مقالب
أصحوت أخيراً يا عبد الله
أصحوت أخيراً
أصحوت
أوقد حزنك . .
فرشاة الأسنان . .
زكامك . .
قهوتك المرة والمرأة والمرآة

تتطلع في وجهك لا تتذكر
مثلك لا يتذكر. . لا وقت للذكرى
وأعيذك تتجه الحرب وتلتهم الجرافات صحون الرز
تغطيها راحات الأطفال المبتورة
دهشتهم صرخات الليل
أتم الصمت العربي وليمتنا الكبرى
سقطت لقمة رز من فمهم فيها الأسنان
تدحرجت اللقمة حتى قلبك في الغربة وابتسمت
أقسم عبد الله بها تبدأ توا بالثأر
وكل دقيقة تأخير مذبحة أخرى
أسند كوعك للكوة يا عبد الله . .
أسند كوعك للكوة
مد الرشاشة في الفجر الشاحب
لا تتأخر عداد القلب وعداد القنبلة الموقوتة متفقان
ووعي السبابة قد بلغ النار
وأيام التاريخ تقبل راحتك اليسرى
ضع متراس الشك أمام ثمالة أيمك
والألم الليلي
وخذ حصة حزن في قلبك لا تسمع إلا دمك الناري
جنونك . . زمجرة الجرافات
صراخ قتيل دون يدين

تفتش عن طفليها
اغتصبوا زهرتك الأولى . .
ودعها ميتة يا عبد الله مجرد ذكرى
حصدوا الورد الخائف في خديها
اغتصبوا أمك أيضاً من كلمات الله على شفتيها
من خمسين من السنوات دموعاً بالأرض بعينيها
هدموا الدار
وإذاعات العرب الأشراف تبول على النار
أعلنت التعبئة الجنسية يا عبد الله درابكهم
رقصوا رقصا
رهزوا رهزا ومضاجعة
وتمنوا أنهم كانوا بمخيمك الدامي
يشتركون بفض امرأة . . أكل صبي
عرب . . عرب . . عرب جداً أولاد الكلب
وأول ما تعرب خصيتهم في نشرات الأخبار
أي براكين خامدة في نظرك
في زاوية الغرفة
أية قافلة برخت في الصمت الهائل
وجهك . . ما هذا الصمت العبد اللاهى
مقدمة الحقد الأعمى العاجل
يا عبد الله القادر

يا عبد الله المتمكن فعلا
حدق في الشارع مرتابا
فعدوك في الشارع
أخبار الحرب جراء تتثاءب في الشارع
جمهور لا يعرف يأكل
لا يعرف ينكح
لا يعرف في الشارع ماذا في الشارع
سكينك يا عبد الله الساكن في البريات العربية
منفياً عن نفسك .. زوجك .. تبغك .. جرحك ..
حزن شوارعها
سكينك .. احذر أن تتدجن للمطبخ
يا عبد الله اشحذها
نفذها تنفيذا نفذها
أصبح ممنوعا أن تستشهد
أو تدفع جيبك عند حدود الجيران وتستشهد
أيهما إسرائيل
الخبز عليه علامة إسرائيل
حبات الرز عليها إسرائيل
المسجد والخمارة والصندوق القومي لتحرير القدس
بداخله إسرائيل
وأنت إذا لم تفهم .. لم تتعلم يا عبد الله

تمتصك إسرائيل
ناعسة بيروت الغربية في كف المطر الليلي
وتزهر بين الأسفلت وحزنك والصمت
ولغم يحلم أحلاما طيبة
وجريح يصرخ :
بيسان . .
إلى بيسان خذوني
يا عاشق يا عبد الله عيوني
لا تلبس أغنية شالا أسود في العرس وإيقاعا مسرف
ولدينا عمل قبل الإفطار جليل كالله
سنخرب . .
إن أطعمت حمامات العالم من قلبك أنت مخرب
أنت رصاص . . أنت رصاص
أو أنت ملأت جيوبك حلوى
تتحول يا عبد الله رصاص
أو غنيت لزوجك أغنية الليل
يصير اللحن كصفير المخزن في الليل
وتسعل يا عبد الله دخانا
وتنام براحتها عشقا وخلاص
إن درت العالم تكتب أشعار السلم
على التأشيرة . . تذكرة الرحلة . .

أبواب مطارات البرد
حافلة الليل
فوجهك أنت ومنذ ولدت تسمى عبد الله الإرهابي
وبناتك عبد الله العربي الإرهابي
وصوتك عبد الله الإرهابي
وموتك . .
بعض الناس خطايا فادحة يا عبد الله
وبعض الناس قصاص
أنت قصاص
الحزن يجيء مع الريح وماء الحنفيات
وضوضاء الطرق
جنود الدبابات يبولون على وجه بلادي
وجهي في الأرض ووجهك في الأرض
اخرس لا تتنفس . . لاتخرج للشارع . .
لا تتفرج
ممنوع أن تصرخ في بطنك
آه يا عبد الله ألا فاصرخ
اصرخ يا عبد الله
انفث في أسئلة الناس . . ملابسهم . .
ساعات أياديهم
صمتهم الإلزامي البارد

أقتلهم بوجودك . . إلحاحك . . حبك
آه من حبك يا عبد الله حزين اخرس
نتحداهم . . ننفذ من بؤبؤهم
نمسح وجه الأحزان بخلدة
يا خلدة يا قلعتنا البحرية لا يفتحها إلا العشق
وريح الفجر وصوت النورس
تترك باقات الأعذار براحة كهل ترتاح بحضن الأنقاض
وكوفيات فدائيين عرفناهم وعشقناهم
أو لا نعرفهم وعشقناهم
يا أحباب تأخرنا
يا صرخات الأطفال بخلدة والبربير تأخرنا
يا نادل مقهى أسلحة الليل تأخرنا جدا
وامرأة ما زالت تكنس شرفتها
وتلم شظايا قنبلة
إنهم يا عبد الله يرون حزوز الأيام بوجهك
كالرمانات اليدوية تنسف كل المؤتمرات
سكتتك الملغومة تسحب عن أوجههم يا عبد الله
سراويل التصريحات
نظرتك الحربية جمرة
زيتونة ليل توقد مصباحاً دريّاً
لا يا عبد الله ولا . .

وتكاد تضيء
ولو لم تكُ يا عبد الله حزوز في وجهك
كان لوجهك إرهاب مسدس
يا عبد الله . . اخي الله . .
جميل أنت . . جميل بتراب الحرب
ووجهك فوق وجوه الشهداء مظلة ورد
وبوجه الأعداء مصادة صبير لا حد لها ومسدس
اثبت يا عبد الله . . تحجّر
ليس لربك أن يأمر إلا بثبات القلعة والنار
ولدينا عمل يا عبد الله
مقدس قبل الإفطار
نقرأ آخر برقيات الليل على الشارع
فتأكد أن منظمة التحرير انتصرت
رفضت رفضا قاطعا
ونوثق أن لنا كالناس وجوها
وذكورا ما حجزت للدولة يا عبد الله
وخمس أصابع
ونحب ونستشهد بدون عرائض أو أعذار
فتأكد عشنا يوما في الوطن العربي ولم نخص
غريب جدا . .
خطأ لا بد خصينا

فتأكد أنا ما زلنا نطعم من شفة الحب عصافير الدار
ونحاول تغيير الدنيا
ولدينا عمل قبل الإفطار
تأكد خبزك
تأكد كوز الماء
تأكد أن شقوق الشفة السفلى لم تتغير وجهتها
وصراحتها
وأغانيها
سبابتك الإرهابية ليس تخاف التهمة بالإرهاب
وتعرف كيف تذل عيون الذل
وتسحب كالعشق مسدسها
وتعد إلى القدس لياليها
يا متهما بالشعر العربي
أليس لهذي التهمة يا عبد الله مغازيها
إن سلمت سلاحك سافل
وأنا سافل
وعشاء الليل البارد
والماء وفجر اليوم القادم سافل
ما يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة . .
بالإرهاب
بقطع اللوز الصهيونية

بعد مخيم شاتيلا يا عبد الله
مسدسك القانون الدولي
أقم في مخزنه عبد الله مخيمك الثوري
وحزنك والشعر وما تملك من أشياء
وتجذر فيه . . فإن الصف الأول لم يتجذر
فاتته الأيام
وخانته اليافطة الثورية
برر ليلا ما كان يدين نهارا
حاول أن يلقى الشعر بجيب النفط
وكان هنا رأس الداء
قسما عبد الله بقبرين جماعيين بصبرة
بيروت تنجسها
إن وضعت ملك المغرب
في إحدى قدميها الطاهرتين حذاء
وستنهض من بين الأنقاض صنوبرة الحزن
وتغمر صبرة بالأفياء
وبساعات خروجك بسلاحك للتنظيف
وتشهد أنك قاتلت الغارات
وقاتلت البحر
وقاتلت طوابير الدبابات
وقاتلت خيانات الدبابات الأخرى

وصمدت صمود الأنواء
رشاشك كان وكالة أنباء الثوار
إذا كذبت فيك وكالات الأنباء
خذ جورب سيدة ذبحت
احفظه بجيبك
ذاك صراطك يا عبد الله
في الليل تسلل . .
هنالك جندي محتل
اخنقه بهذا الجورب يا عبد الله
لعلك تشفي واحد بالألف من الحقد بقلبي
هذا الجورب سكين . .
حذاء شهيد سكين
فرشاة حلاقته سكين . .
حالة عشق لا تتكرر يا عبد الله فلسطين
إن قدمت لهم ماء
سألوك بحب إن ذقت مياه فلسطين
أو أكلوا سموا بسم الله وحب فلسطين
أو قُتِلوا تحت الأرض
يعودون إلى حضن فلسطين
أو جاءوا باب الجنة
يلقى الله بأيديهم قبضة طين منها

يتمنى أن يستبدل جنته يا عبد الله بهذا الطين
تتربع للإفطار وزوجك والأطفال وكأس الشاي
بدون شهية
وقروح في أمعائك مزمنة
عدد الأنظمة العربية
وتحرك سبابتك المهمومة في فم طفلك
تسمع لثغته الناعمة الوردية
تبحث عن أول سن تجرح من أجل قضية
العضة ثأر
ويعضك عضات ناعمة .. يضحك في وجهك
يفهم أنك يا عبد الله
تدربه الدرس الأول للثوار..
جميع الثوار
ويحدق في وجهك يبسط راحته
وتهمهم أفراحا مبهمة
وتقبل راحته وتقوم لأخذ الثأر
لم يتجاوز أحد الطيارين أناقته وملابسه
ماكو أوامر يا عبد الله
فلا بغداد ببغداد ولا جلق في جلق
ولكن قسما بالحزن وصور وصيدا
لن نتزحزح عن هذا الخندق

طلبوا شرف الكوفية من بيروت
أبت إلا أن تلبس كوفيته وتقاتل
وتقاسمه الخبزة والخندق والخذلان العربي
ويمسحها القصف مساء
تتحامل في الصبح على قدميها تمسح بارودتها
تنفض تنورتها وتقول له
ليس على الصمت العربي المزري يا عبد الله
فالقصف توقف ثانيتين
ولا تأبه . . سنقاتل يعني سنقاتل
تأكل من كتفيها بيروت
ولا تسحب شبرا من تحت مقاتل
تستشهد بيروت على أبواب منازلها
ومعاذ الله تسلم عفتها كالصمت العربي
في بيروت رجال . . رجل بجحافل
يمرق انظر بين الدبابة والدبابة والألغام فدائي
عضلات الزند جميع الرجف الحربي
وبيتان من العشق
وسيف ومكارم
أعلن سوق الجزارين ضيافته
نطق المولودون من الخلف أخيرا
نشكركم باسم الشهداء

نشكركم بالسيقان المبتورة شكرا لا حد له
نشكر عِلانا وفلانا وفلينا والفلن الثاني وفهد
بالذات فهد
ما قصرتم أبدا
نشكر همة أعضائكم الجنسية
في صد هجوم الجيش الإسرائيلي
وإلقاء الصمت على المغتصبات
نشكركم يا فضلات
نشكركم باقون هنا
قرب مذابحنا وخرائبنا والشهداء نقاوم
بيروت على قدم واحدة ستقاوم
أتذكر يا عبد اللّه بأنك في بعض الليل
ضغطت على راحتها الوردية
أكثر مما الحزن وأكثر مما أنت
أحبتك كأستاذة حب
تعرف كيف تصفف باقات الزهر وساعات الليل
وطلقات مسدسك الإرهابي
أهينت يوم رحلت
حتى سياج الحزن الميناني بكت
عبد اللّه رجتك . . دع الأوباش وما نسجوا
رجتك كثيراً لا ترحل

ورجتك بخيط الدمع تذكر أرنون
تذكره ولا ترحل
أرسلت دموع مسدسك الحربي
سلاما أرنون الأبدي
سلاماً للصمت وللعتمات وللأحجار
سلاماً ما هتف العمر وغنت ساعات الليل
لأحباب سكنوا قمتك الشماء بروقاً ورعودا
وزلازل
وتلوح مثل حقول التفاح
ويهيم الصمت على وجهك
وأصوات صبايا النبطية
والحزن الشيعي القدري
إلى أين تسافر يا عبد اللّه إلى أين تحاول
يا قافلة النار إلى أين
وأنت سلاح وقلاع حمر عابسة
وجروح سوف يعمقها البعد
ويعجز فيها الطب وصبرك
يا من جربت جميع الأدوية العربية
جرب يا عبد اللّه دواء النار
أعظم ما في الطب العصري دواء النار
وحذار يا عبد اللّه حذار

نصف دواء النار لئيم قاتل
يا عبد الله اللعنة والحزن . .
وزرع المستقبل في اللحن
وزاوية في قلبك فنجان القهوة
ما أروع هذا الفجر الحربي
ورائحة البن وضيعتك المغموزة
بالفيء الهادئ والشوق الفردي
لا تخسر ثانيتين من الوقت الطيب
في صب اللعنات على الحكام
فليس يساوي الواحد منهم ثانيتين
من الجذر الجدي
ولا البسط الجدي
فكر أي طريق تسلك من خلف خيانات الواقع
تبلغ بيروت الغربية
أرهن خاتم عرسك . .
حلي صغارك . . راتبك الشهري
وقد لا يكفي ذلك تذكرة
في القلب لديك عناوين المقهورين
وأولاد الدولة يا عبد اللّه يمدون يد العون
ويرجونك أن تحمل مكتوبين لصيدا والنبطية
ولديك عناوين منظمة التحرير

وعنوان اللّه القهار
ثم تحط بثم مطار
وتبلغ يا عبد اللّه بأوسع بنط عربي
إنك موقوف منذ تقرر وقف النار
وتحاول أن تفهمهم . .
لست نظام مواجهة كذاب
لست رئيساً عربياً
لست خبيراً روسياً
اسمك عبد اللّه وعبد اللّه أبو إرهاب
ليس هنالك إلا الدم . .
سياج الميناء الساخن
ووجهك والقتلة
ليت الإنسان الآن بلا أذن
يعرضك الباعة للبحر وللملح
ومن بين يد الشعب وقبلته يتركك السفلة
وعلى مضض يا عبد اللّه
يقبلك المنقرضون لتصبح منقرضا
ادفعهم يا عبد اللّه
طهر وجهك من رؤيتهم
كيف يقبل مرحاض إعصار
أحد باع طريق الزعتر

باع الحزن
ودس حديد مسدسك الحربي فلم يقدر
حرق الفولاذ الأحمر كفيه وسمعته
ووقاحة عينيه
وسوف تطارده أنت
مطاردة الأقدار
شرعوا يعترفون بقادتهم وكأن جراحك أعذار
كذا فيهم يا عبد اللّه
فأنت الحي الباقي القهار
أقتل دونك . . أفديك . .
ولكني أتمنى أن تقتل مرفوع الهامة
لم يتزحزح فيك قرار
النار قرار منك وليس قرار فيك
فأنت النار وأنت قرار النار
لملم شفتيك القاهرتين وقهر الليل
وأول أيام البعد وعد في أول بارقة فالموسم للبرق
وللدفن المتواصل والزعتر ينمو
وصفيح مخيمك الساكن ينمو
وعصابات الليل الثورية تنمو
وحديقة حزنك في باب الدار امتلأت بالصبار
ماذا سيضيّفك المنحطون

سوى دائرة الأمن وحانة ليل..
ورصيف
ومراجعة الهجرة ليل نهار
إن كان تقرر إلا استشهادك ليس يطاوعني قلبي واللّه
أقول استشهد
لكن واللّه استشهد
فهناك يمنون عليك المشية في الشارع
تمسكك الشرطة إن لكفك خمس أصابع
ولكي تتذكر وجه شهيد تحتاج موافقة
تحمل خمسة أختام وطوابع
في قلبي شيء أجهله يفهم أنك باقٍ معنا
يفهم أنك باقٍ بين مقابرها وخرائبها والمستقبل
تغسل وجهك بالريح الساخن
وترقب أطفالك في الماء الآسن
قد نشروا أجنحة الضحك
وطاروا بين حجارات البيت قبابر سمراء
وبباقة شوق تذهب بين ثواني القصف
تزور رفيقا في البربير
يرجى أن تشفى ساق باقية تحمله لمثلثه الناري بخلدة
فالقدس هناك
وطعم النعناع اليافي هناك

وبيارته الخضراء
في قلبي شيء . . فرح أعرفه
أنك باق معنا في السراء وفي الضراء
أحببناك تشاجرنا
غنيناك
تصرفك الخاطئ أحيانا
وتصرفك السيد دوما
ألقيت شتائمك المقبولة يا عبد اللّه علينا
لم تبخل
أرسلت مكاتيب العشق إلينا
تتحدث عن متراسٍ وجليل أعلى
وضرورة مسح التاريخ من الأنظمة السوداء
كنا نغضب وأنت تهادنهم
وتعامل قلة حس وحياءٍ فيهم بحياء
نبكي إن أنت رحلت
ونبكي إن جاءتنا بهمومك كل الطرقات
نتحفز حزنك في حجر الليل
سنونوة ألفت دور النبطية
نذكر اسمك . .
نزرعه في أفق الزهر على الشرفات
نتشبث صوتك

نعرفه معرفة الجرح . . الفرح . . الحزن . . الصلوات
من صوتك تهرب حيات وحكومات وعقارب
الليل وعبد اللّه أقارب
العرق الساخن والكمون وحزن الليل
وعبد اللّه أقارب
يفهم في اللج
وأقدر من يرفع وجه الشمس
على مجدافيه ولا يملك قارب
يرفع عينيه فيرتفع الموج وتصبح كل الأرض قضية
أشتم حريقاً في ورقي
اسمك نار في ورقي
وأضيء وإن تعبت طرقي
وأطيب إبريق الشاي على شعري فيك
لأنك يا عبد اللّه قضية
ولأنك يا عبد اللّه محارب

* * *

عتـــاب

أعاتب يا دمشق بفيض دمعي حزيناً لم أجد شدو الشحارير القدامى
ندامى الأمس. . هل في الدوح أنتم أم الوطن الكبير غدى ظلاما
وكـان العهـد أن دجت الليـالي نـهب إلى بـنادقنا احـتكامـا
طربتـكم وكان الـصبح كـأسي وأطربكـم على الليـل التـزاما
وما مدت لغير الشعب والكاسات كفي وإن مدوا بغيرهما السلاما
أتيـتـك والعـراق دمـوع عـيني لمـاذا تجـعلين الـدمع شـامـا
فمـا عرفوا السـجود ولا أحبـوا ولا ذاقوا ولا عرفـوا الهيـاما
سـلام يـاندامـى الأمـس إني مـحـال أن أفـرط بالـندامـى
إذا مـا تمرة علـقت بأخـرى فلـن أملأ لـغـير الـعشـق جامـا
فإن أخـذت لسلـطان تروسي فلـم يملك من الـطرب الزمـاما
فما قـدمت كأسي بل تناهى تـناهي الشيب يضطـرم اضطراما
وذا طبـع الخمـور ومـدمنيـهـا وتسـلك في المـلامة إن أُلامـا

* * *

لم يبق شيء لم يطبق على مضغة قلبي

عروس السفائن

فوانيس في عنق المهر علقها الاشتهاء
ونجم يضيء على عاتق الليل
زيت نخل الهموم
وأعتق من عقدة الشاطئين رحيل السفينة
من سفن لا تضاء
وناحت مزامير ريح الفناء
فأوقدت الضوء للمستحيل
فذاق الرياح
وأطربه الابتلاء
وسادن روحي وقد أطبق الموج حتى تجرحها
أنها وحدت نفسها بالسفينة
من ينتمي هكذا الانتماء
فنيت بعشق وأفنيته بفناء
لينبت من فانيين بقاء
بنيت بيوتا من الوهم والدمع

أين هو العشق. . أين هو العشق
تم البناء
عروس السفائن
ألصقت ظهري الكسير على خشب الشمس فيك
حريصا على الصمت
مدمى من الناس في البئر أستنجد البحر
قبل قراءات بوصلتي ودليلي
وأكشف ما نهشته الجوارح من مضغة القلب
أبقى الجروح مفتحة في رياح الممالح
لا يحلم الجرح ما لم يحدق بسكينه عابسا
في الظلام الثقيل
إذا دارت الشمس دورتها
وارتأتني الرؤى نائما تحت ألف شراع
مجوسية قصتي معبد النار فيها
وقلبي على عجل . . عجل . . عجل للرحيل
بعيدا عن الزمن المبتلى يا سفينة
إن قليلا من الوزر المتعتى المزدهاة
ولن تثقلي بالقليل
سأبقي المصابيح موقدة في بهاء لصباح
مصالحة بين صحو الصباح وصحوي
وأبقى الرياح دليلي

واسأل عن نورس صاحب الروح في زمن البرق
يوم المحيطات كانت تنام بحضني نشوى
وما زال ثوبي أخضر من مائها
يا له من زمان مضى
بين ألف من السنوات الفتية
يا وجد.. يا وجد .. يا وجد ..
ما كنت كاليوم دون حماس
وما ظل في خاطري الآن
إلا النشيج اللجوج من اللجج النيلجية
والزبد الأرجوان المعشق في غسق باللآلى
هو الزبد الأرجوان المزخرف بالليل
والقمر الآن من زهرتى برتقال
تريثت مستعجلا أيها الفرح الضجري
وأصبح محشد أغربة سطح قلبي
ينحن قبيل مغيب الهلال
عروس السفائن
إني انتهيت على سطحك الذهبي
ورأسي إلى البحر تستاف رائح اللانهايات والليل
تعبى.. يطوحها الموج ذات اليمين وذات الشمال
لقد ثقل الرأس بالخمر والزمن الصعب قبل قليل
وأنهكني البحث في زمن للطحالب عن طحلب بلا قلب

يصيخ معي في الهزيع إلى جهة المستحيل
لدى الله كل النوارس نامت
ولم يبق إلا سفينتك الآن مبهورة بالشمول
على وجهها من رذاذ الغروب
ومن عرق الله فى الأرخبيل
فأين سيلقي المراسي المساء
بنيت بيوتا من الماء هدمها الجذف
كيما يتم البناء
ومنذ نهارين في وحدة المتناقض
هذي السفينة يدفعها ويدافعها الابتداء
يكاد السكون لما فى الشراع من الاندفاع
طبيعته يستمد
سليل السفائن واللانهايات
يا لانتشائك إذا يهزج البحر بالزبد الزئبقي
ويزهو الزبرجد واللازورد
أيا لازورد. . أيا لازورد
إذا هزج البحر فالكون زاء منونة
فوقها شدة فوقها شدة ثم مد
وللشد من بعد ذلك شد
وللشد شد

وإني على مركبي في الظلام أشد
وعلى دفتي في الهزيع كما خصر أنثى أشد
وتندمل الآن يا صاحبي
فالنجوم هنا لا تعد
وأنت كما خلق الله في نشوة الخلق
بين الصواري.. يؤجج ما قد تبقى من الشيب برق
ويعبث فيما تبقى من القلب رعد
عجيب صراخك في غمرات البنفسج والكون
إذ يصل العتبات الأخيرة
في صبوة لا يند
عروس السفائن..
لا تتركيني على أمقت الساحلين يجن جنوني
إذا رن في هدأة الليل بعد
أهيم.. أهيم.. أهيم
إذا رن في هدأة الليل بعد
عروس السفائن
لا تتركيني لدى حاكم وسخ يستبد
لقد كفت الخمرة عن فعلها في ما تداويت
وأربد بالصبر جلد
أحب الحروف لها شهقة بعدها لا تند
وما العاشقون سوى شدة الله أسراها لا تحد

فإن ساح صمغ البنفسج في موهن الليل
صارت تنز وصرت ألز
عروس السفائن
والبرد في ألق الصبح خز
وليس يهاجر في الفجر إلا الأوز
رسى السأم السرمدي بجسمي
وليس سوى غامضات البحار التي تستفز
أصيح خذيني لأسمع أجراسها إن برقا بقلبي يلز
أنا عاشق أي هذي البحار أجراسكن
فقد أوحشتني الشوارع
مما بها من لحى ورؤوس تجز
وفاض الإناء
بنيت بيوتا من الوهم والدمع
أين هو العشق.. تم البناء
أحاور روحي وكل حوار مع الروح ماء
بكى طائر العمر في قفصي
مذ رأى مخلب الموت ينزل في صحبه
ويكف الغناء
متى أيهذي العروس يجيء الزمان الصفاء
ففي القلب مملكة للدمامل
والجسد الآن في غاية الاعتلال

خذيني لأقرأ روح العواصف حين تعانق سخط الليالي
خذيني فإن الحضارة تغرق بالانحلال
خذيني.. خذيني.. فما البحر في حاجة للسؤال
خذيني فليس سوى تعب البحر يشفي
وينقذ من فقمات المقاهي
كفى لغطا عاهرا أيها الفقمات
كفى يا ضفادع هذا النقيق فأنتم سبات
سأصرخ يا رب يا رقص ياعتمات
زحار بكل التقاليد
لا يتبع البحر بوصلة بل تتابعه البوصلات
زحار ببحارة يرهنون لحاهم على ساحل الضفة
فالمقادير قد أفلتت عن إرادتها العجلات
سيول على بعضها تتواكب في زحمة الارتطام
وفي دمهم يعبر السائرون إذا لزم المعبر
ومن قطرة يعرف المصدر
هي اللحظة اقتربت فأسهروا
تهب البنادق تستهر
وتصحو النيازك والعنبر
ويأتي دم مدلهم مخيف
أقل ارتطاماته محشر
وعاصف أسود ذو ألف عين

على متنه عاصف أحمر
وتمسي الذقون ذنابى عقارب
في أوجه الخائفين وما زوروا
فذئب بفخذين من آخر يسكن الوجه رعبا
فهم نسق راعش أصفر
لقد كنت أحلم وعيا
وعلى حلم بالذي سوف يأتي وفاء
ومرت جنازة طفل على حلمي بالعشي
يراد بها ظاهر الشام
فقلت أثانية كربلاء
فقالوا من اللاجئين
كفرت..
وهل ثم أرض تسمى لجوء ليدفن فيها
وهل في التراب كذلك مقبرة أغنياء ومقبرة فقراء
تلفت في ظاهر الشام أبحث عن موضعٍ لا يمت لغير منابعه
ندفن الطفل فيه
وقد دب فينا المساء
وكان على كل أرض نظام الحوانيت
يدفننا في الغروب
وكان يشار لنا غرباء
وحين دنونا لمقبرة ليس من مالكين لها

جعجع الحرس الأموي بنا..
فرزت للخليفة
قلت بل يفرز الخلفاء
وكان نسيم الطفولة ينضح بين شقوق الجنازة
بين المخيم
والشام تنصت.. أين اللقاء
جنازة من هذه
ولماذا بلا وطن
وكلاب الخليفة تنبح من حولها
والمخيم يحملها راكضا والشواهد تعرق
قلت فلتعرق
واكفهر على تلة في البعيد الشتاء
أليست هي الأرض ملك لرب العباد
وهذي الجنازة أصغر من أصبعي فادفنوها
وأم الجنازة يكسرها الانحناء
وجد الجنازة أعمى يتأتئ
والعين يرشح منها على الصمت ماء
وقيل لنا مبلغ يحسم الأمر
فاجتمع الفقراء
فللمال أفعاله يستفز
هنا دفن الطفل في آخر الأمر

يا أرض غزة فاسترجعيه لئلا مقابرهم تستفز
وليس يهاجر في موهن الليل إلا الأوز
عروس السفائن
إن المراكب إن لم يكن فوقها عالم بالبحار تنز
ويلقي بها الليل منهكة يتلاوح فيها النئيج
ويرتفع البحر جيما عجيبة
إذا ما تصاعد منه الضجيج
وما نقطة الجيم إلا البقبة من جنة
أنهك الحبر فيها الأريج
وأسأل هل نزل الطفل في قبره لاجئا بين أمواتنا
لكأن اللجوء مصير لجوج
عروس السفائن
أسندت ظهري على خشب الشمس فيك
حريصا على الصمت أستنجد البحر
إن الجماهير في شاغل
والدهاقين في قمة النفط في حكة بين أفخاذهم
والزمان على عجل للرحيل
ودارت الشمس دورتها وانتهى اليوم
والشمس ترجئ بعض الدقائق قبل الأصيل
خذيني إلى البحر يا أيهذي العروس
لقد مل قلبي ألاعيب أهل السياسة

والرأس أثقله الخمر والزمن الصعب قبل قليل
وكل النوارس نامت
ولم يبق إلا سفينتك الآن مبهورة بالشمول
عروس السفائن
يا هودجا يتهودج بين الكواكب
فليمرج البحر ولتحمليني لوادي الملوك
أرى عربات الزمان مطهمة
تلج الأبدية في معبد الشمس
شامخة (طيبة) الآن تلبس كل مفاتنها
نهدها باهتزاز
ويرتفع الحزن من فوق أكتافها
يتبارك بالموكب الملكي
ترتفع الابتهالات..
فرعون..فرعون..فرعون
يرتفع الصبح..فرعون..
يرتفع المجد.. فرعون
ترتفع الخيل بالرسن الذهبية أصرخ قف
يتوقف رب الزمان
وقلبي توقف في الحزن كالحجر الأردوازي
وطيبة شامخة نهدها باهتزاز
رفعت عيوني إلى نسر طيبة

فوق الجبين الذي مسحته الخليقة بالخمر والاعتزاز
أفرعون.. يا من تخلد أهرمك الموتى أسرع
هنالك من يبتني هرما للمخازي
تقزز وجه الإله..
والهب ظهر الجياد سياطا وقرحها صحت قف
قف أيها السادن الأبدي
فمن يملكون السدانة سرقوا شعب مصر
زوروا شعب مصر
وقعوا باسم مصر ومصر برء
شربوا نخبها وهي جائعة
ليس في قدميها حذاء
ولكن متى كان فرعون يصغي
دعوت أبا المسك
لكن متى كان كافون يصغى
استجرت المماليك..
لكنهم أرسلوا مصر فوق الجمال لوالي الجزيرة كسوة
ووالي الجزيرة بين سراويله
الحل والربط
والزيت والموت
والحرب والسلم والعنعنات
وأكثر ما يفرخ اللامعات

ولكن لمصر مواعيدها للصعيد مواعيده
للرصاص مواعيده
والنجوم هنا لا تعد
وليس أمام البراكين في لحظة الروع سد
وهذي الشوارع إن هدرت قدر المستبد
وهذى الفوانيس تفضي لحلوان في الليل
حيث السلاح الخفي يعد
أعدوا لهم ولعاهرهم إن عاهر نجد يعد
لقد حاولوا أن يهدوا على ناصر قبره
فهو معترض دربهم
والقبور لهن لدى الحرب حد
ولكن لدى الله جند
ومصر التى دونت كل حرف تجيز القراءات سبعا
وما يقرؤن فى خليط من الرطن بعد
لقد ذبحت ناقة الله واقتسم السفهاء
أنا لست بالناصري
ولكنهم ألقوا القبض ميتا عليه
وعري من كفن ُغزلته قرى مصر من دمعتيها
إذن سقط الآن عن بعض من دفنوه الطلاء
وأن الخلافة آنت لمن أسر للقرون بجبهته
وعليف . .

فمن أين يأتى الحياء
أقول لناصر أخطأت فينا اجتهاداً ولكننا أمناء
وأن الذي في الكنانة مما رحمت فأطلقت بالأمس
كافأك الطلقاء
لئن كان كافور أمس خصيا
فكافورها اليوم ينجب فيه الخصاء
تفتق فيه الغباء ذكاء
ومن مشكل يتذاكى بدون حياء غباء
وما عجب ترسل الريح في أزمة
وتلف بموضعها الخنفساء
ولكن تموت على ظهرها وتكابر
مسألةٌ تقتضي فهماء
ومهما السجون تضم أماما
يظل فى شفة الكادحين الغناء
ومصر التي في السجون مع الرفض
أما التي في البيانات مصر البغاء
وحاشا فإن من النيل ما يغسل الدهر
مهما طغى الحاكمون الجفاء
لمن في الظلام الدماء
لمن في الظلام التوابيت
وفيم الحراسات حول المقابر

قال الذي يتلفت
إن هذا العزيز يمر على شهداء المحلة بالطائرة
قلت هو القسط يدفع
أقفل فمك. . فالمباحث من حولنا كالبعوض
فصمت. . وفيم العجالة بالدفن
اسكت مخافة أن يزحف الدم في القاهرة
وصرخت سيزحف علمني زمن بالعراق
بأن الدماء هي الآخرة
وحين الصعيد يطوق قصر المماليك
لست أبالغ
يجتمع الله في الناصرة
تقول البيانات قد قتلوا عاملا واحدا
تكذب العاهرة
فهذا دم يجتمع العرب الفقراء من الأطلسي
إلى صفقة في الخليج
وقد كفرت نخلة حين بيعت
وإني مع النخلة الكافرة
أرى الأرض تنقل أيضا مع النفط في الباخرة
خنازير هذا الخليج يبيعوننا
والذين هنا يمسحون قذاراتهم بالقروض
لقد تمت الدائرة

لمن في الظلام الدماء
سؤال يلح
وتزهر من حوله أعين الساهرين على جثث
زينتها المكائن والدم والكبرياء
ستبقى المدائن هذي مزينة بالدماء
وينتج عنها قماش دماء
إلى أن تقول الكنانة أحكامها
ويعلق فيها السماسرة الزعماء
عروس السفائن
أصحرت مبتعدا عن هناءات روحي فيك
فإني من أمة تتفجر في ليلها الصحراء
وما بدعة لا أرى في المذاهب غير جواهرها
ما بهذا انتقاء
تمد جذوري تضرب الأرض في ثقة
أن ظهري سماء
وليس على ناظري الغشاوة فيما رأيت
ولكن على أمة حرفت مبدعيها غشاء
أبا ذر إنا نفيناك ثانية حين قلنا بمحض الفجاجة
من غير روحك يبتدئ الفقراء
وما كفن قد شرطت وعشت به في الزمان
فنارا تحاورك العاديء

سوى أن فائض مال رفضت
وشرعت أن الخلائق خلق سواء
وأنك في الفكر والروح أصل
ومن معجز الملتقى يتوحد فيك الثرى والفضاء
بنيت بيوتا من الوهم والدمع أين هو العشق
أين هو العشق تم البناء
بكى طائر العمر في قفصي
مذ رأى مخلب الموت ينزل
في صحبه ويكف الغناء
فانبته أن يصدح كي يسكر القفص الدنيوي
فإن انفلاتا من الشرط بدء لفك الشروط
كما تتعرى مراهقة تتمنع حلمتها أن يراها الهواء
ومنذ نهارين والطائر المشرئب يحدق في الأفق
ماذا تراه يشف الوراء
كأن به هاجسا يتقرب من خطر
أو به خطر إنها الأرض تدخل منزلة وتشاء
هو الآن في وحدة المتناقض
حيث يتم النقيض الجديد
ويستكمل الدورة الانحناء
أحاور روحي أحاورها
وحوار مع الروح ماء

عروس السفائن
أدعو النجوم إلى قمرتي فأنذ أولم الليل نذرا
وألبس أبهى ثيابي
فقد كنت عند نخيل العراق وإن كان حلما
وكان العراق على مهره عاريا مثلما ولدته السماء
وكان على عتبات العراق الفضء
وبين ضلوعي فضاء به نجمة
لست أدري بماذا تضاء
وفي نجمتي تلك يجتمع الله والأنبياء
قد اجتمعوا
وتأخر عنهم نبي
سئلت ـ فقلت يزيت حد السلاح
فإن نبي الزمان الفداء
عروس السفائن
صار العراق لطول المجافاة حلما
ولكن به دجلة والفرات
كأن من الحلم يرشح عشق وماء
يسيء إلينا العراق وفي الحب حلو يساء
أيا وطني ضاق بي الإناء
كأن الجمال بوادى الجزيرة سوف يطول عليها الحذاء
كأن الذي قتل المتنبي لشعرى ابتداء

لأمر يهاجر هذا الذي اسمه المتنبي
وتعشقه فى العذاب النساء
وما قدر أنه في الجزيرة يوما
وفي مصر يوما
وفي الشام يوما
فأرض مجزأة والتجزؤ فيها جزاء
عروس السفائن..
كل على قدر الزيت فيه يضاء .

* * *

فتى اسمه حسن

سقط الطل . .
وطوى رشاشته المسكونة بالليل
وعصافير المشمش
تسمع نبض الجسد الزيتوني
صمم أن الطلقة تسري سريان الدم
كم الطلقة يا قلبي تؤدي أضعاف مهمتها
سحب الأقسام كأن الدنيا انسحبت
أعطى الصلية حريتها
فتمادى الأفق بعيدا وتناغم في الساقية الطل
زقزقت الساعة في حقل التفاح
وقام الورد تفرغ دالية
وتصاعد خط الماعز في الجو صنوبرة
كنت وراء سياج التفاح
أقمت الشتلات
مسحت مدامع أشجار التين
عن الرشاشة والذل
وحبات الفستق

عدت بصمت كالحكمة
كالسهم المتبادل بين البلبل
والبستان
كأنك والساقية الحسناء تفاهمت على شيء
كم صمتك يشبه في الشمس
براعم مشمشة أمطرها اللّه كثيرا
كم يشبه صمتك في الليل
جيوش الأفتار
لم تستلق براحة بال
يتموح في خديك خمور العبق الشتوي
كما الآن
يكاد لثقل الأفكار برأسك
يجتمع العشق وسادة
وفراشات الكلف الحمراء
تلف على إبهامة قدميك
كأن ضريحين من الورد
وهمت (بنت جبيل)
تصعد في الزعتر والزيتون
وطفلة نهديها البريين
كأن الأفكار عبادة
تتلفت . .

ثم تمسَك مسَا
من كتف عركتها الأيام
ورشاش الأخمص صارت قاعدة
تنطلق الأسلحة النارية منها
ما شاء اللّه
ما شاء اللّه حسن
كبرت كأنك كل الدنيا
أو تتجاوزها بمسدسك العبقي اللون
ستكتب في الليل نجوما أخرى
أو تجمع في دوامتك النجمات
لم تسقيك رضاع الحلو قلادة
وتزيل الشبق البني العاشق للرشاشة
عن كتفيك
وأطراف قميصك
والجو العبق المنعش في خديك
فى شفتيك تتمتم أجمل أنواع الصمت
وهم مسدسك الفاجر
يرجم أرحاما للأنظمة العربية رغما عنها
ما شاء اللّه وما شاءت بنت جبيل
أغرق رب الكون
من الإبريق الفضي اللون

بساعات الفجر بصمت
فرشت صحف الصبح لها جسر
ووجهك كان يرفرف كالخفيشة
ينثر في الجو الساخن أنباء طاهرة
لولا وجهك لم يقرأ صحف الرجعية هذي
أحيانا تخرج هذي الصحف الموبوءة صامتة
كالغازات تخنق حتى البلبل في الجو
وتقتل في أقصى القلب أحب أغانيه
ولا تذكر إلا الأحزان الشعبية
أخبار الشفق الوردي
وصوع البارود الفاخر أياما
ولعل إلى الآن
ومضغة لحم
حطت كالطير الموحش قرب صبي
ذكروا لم يتدحرج كالأجسام اللبنية
أدخل كفيه عميقا في التربة
واحتمل المضغة كاللذة
حاول يزرعها في باقي أشلاء الجسد الحي فأعياه
فصرح بالدمع
وكاد يضيف إليه يديك وحراسته
فالتفت اللحم إليه يناديه

فكر لا بد يضاف إلى الجسد درس
تزال وجوه الأوباش من الصفحات الأولى
والفتية لا بد يشبون سريعا
وبدا أن طفولته الشمعية تصبو
حدق في إصرار
مر وساعده البلوري الخافق يشتد
وقلب قد من الليل الثوري يزلزل
كأنك قبل الوقت تفجرت
كبيت البدرلتنبت فيه
حين الجرافات أرادت أن ترفع ًشلاءك
والأقدام الثوري بعينيك
ارتفع الشارع
واهتزت وهنا من ثقل الإيمان الجرافات
فتألق قلبك بالشمس
عادت كل الأشياء إليه
وفاضت كأس من خمر الجنة
لولا أن الكرمة بنت جبيل
وتركز فيها سكر لبنان وماضيه
يحمل هذا الليل نجومًا أكثر مما يحتمل الليل
فما قدم يمشي إلا تشتاقك نجمات في الكرم
وأشجار التفاح

وصمت الناس .. ينابيع الضيعة
زقزق فيها اللؤلؤ والثلج
ستبقى تحفل جفنات قناديل المشمش
واللّه يذكي ساعده مثل صديقين على كتفيك
وأنت تحدثه معتذرا
إنك قبل الوقت يسامحك اللّه
ويمسح قطرة دم ما زالت في صدرك
يعطيك مفاتيح الجنة
تركض ..
تزحف ..
إن الشهداء يحبون العودة للضيعة قبل الجنة
يتركك اللّه
تهرول بين سواقي الليل إلى بنت جبيل
لولا ناداك نسيت تودعه
ما زال بحب الضيعة قلبك مشغولا
وسريعا جئت وراء الصمت
وآلاف الأعشاب
قميصك كان كصوت الحسون يضيء
وآثارك في الطين الفضي
تعمدت على نفسك تخفيها
فلقد أنت خلقت

على العمل السري بصمتك مجبولا
لم تك تعلم
أن الضيعة رفعت كل مراسيها
وانحدرت في نهر العشق عروسا
تغسل في النبع البنوري
فتاوي قدميك المدنفتين
وتخلع عنك بقايا البارود
وتخجل أن تتعرى من هذا الثوب الحربي
لأنك سوف تعود إلى الحاجز ثانية
في الوقت تماما
وكأنك لم تقنع بشهادتك الأولى
يا سيف اللّه تفيض بخمرة دينك
أو ما كنت ومن كنت
أو أنت من الخمر الأحمر
لم يخرج بالسلطة يوما
وتؤمن بالأسلحة النارية
وتربط ربطا ليس فكاك له بين رجالة إسرائيل
وإسقاط الأنظمة العربية دون استثناء
أنت إمام العصر بحق
أشهد مولاي استشهدت على حدسين
وليس على واحدة

ودليلي
لم يفرح أحد باستشهادك أجهزة وطبولا
انثت فراشات الغبش الزرقاء
وألقى القمح قلادات العبق الخمري
جروحك أكثر من جسمك مولاي
عسى الشمس تخفف وطأة قبلتها
ويحوز رضاك الظل
سترقى فيه بعالمه حتى تتماثل للعودة
للدار
وإن كنت تحب الغيبة
أكثرنا عشقا وحضورا فيها وحلولا
لم تنف الموت
فمن أقصاه أتيت أتتك حياة
أتتك . . كأريج حقول التفاح
ورائحة الصمت الأرضي
كأنك بطل بالفرح الإنساني مطير بالخير
يكاد يلون بالحب عيون الطير
وأعمدة الهاتف تخضل
وتلتمس الحاجز
وتأخذه الخشية
إنك عبأت الموت كذلك بالبارود

واشتقت تواجه أعياد استشهادك
حتى تلقى اللّه على الطور
تسلمه ألواح البارود
عليهن وصايا الشعب العربي
كم عاقبت بهذا الموت الحي تكايا هرمت
والطمث السلمي يعودها كل نهاية شهر
إن أوجعها خازوق نظام
لبست آخر أنعم منه
وأعرض قطرا أو قطريا
وكأن التاريخ يجوز على خازوق
سمة العصر يكون ثقيلا
لأكاد إذا ألمحهم أقطع أنفاسي
ثم الكف أو مد الأيدي لمصالحة
واللّه
تصيح يدي قبلي
سأقبلها مما العز بها
شكرا يارب
شكرا يارب خلقتها بالعز وخمرك
والنبت على خاصرة الوردة تبتيلا
التفت إلى بيتك متكيء مرتاح
ومن النفح الصمغي يطل الزنبق

والصمت وأعشاب الليل
تمد أياديها الناحلة القمرية
تبسط سجادة طل في الريح
تصلي أربع ركعات عبقا
أشجار الرمان صراع طبقي
والتين كعرس الزهراء
ما بال الصمت يخربش في الموقد
والطباخة تخرج كالأرغن مشرعة بالموت
وزنار الباب يكاد
أأنت هنا ؟
أعصاب المنفي تتوتر من غرفة نومك
تأتي أشجان المسك
أأنت هنا ؟
فيم تخبأت كنار القدر بقطرة ماء
لعل تركب أشلاءك
والساعة
والعينين المتطرفتين جنوبا بين حقول اللوز
ورشاش العتم
أكاد أميز طعمك
رقتك القصوى
قبل الإبهام وخنصرك الشمعي

أعدت عقارب ساعتك المهروسة
فالوقت أهم الأشياء لديك
منذ حضرت عقدت مواعيد مع الشمس
ولم يخلف أيكما الموعد تقريبا
وتقرمطت ألظ من الأسلحة النارية
متقدا كالزنبق في ساعات الصبح
وتغلبك العفة والخفر الثوري
وأشجار العشق
كما حضرة صوفي يتنجس من ذكر الدولة
مغتبط الروح
إذا لم يضطرب الصوفي فكيف يكون طروبا
الساعة يا حسن الآن قريب صلاة الفجر
وما زلت تركب أشلاءك
والساعة تلهمها الوقت العادي لأفضل
لعل ندى الصبح البارد يؤذيها
والجرح يمر به الطل على زجاج الرئتين
أو القلب ينهنهها الطل
فستستيقظ بدل وحنان متئدين
تلم فتات اللحم
أخيَ حبيبي
ما هذا العبث الصبياني بمفهوم الموت

ما هذي الجدية في معرفة اللّه
وفي معرفة الشعر
ما هذه الكلية في مفهوم الكون
ما هذه الأنية يا مولاي كنغمة طير
للم لحمك . . أشلاء الساعة
سهرات العشق المنثورة من رئتيك
على العشب البارد
أسرع
أسرع
أسرع
أسرع يا مولاي
تأتي كالإتيان الصعب
تشم الطرق الصخرية
أسئلة كالألوان الزيتية في عينيها
لم تجهش بعد
وكم صعب أن لا تجهش أم شهيد
وصلت في أزهار اللوز
لم جدائلها بالعبق الصيفي الغامض
أمطر قبلا بالطل
على قرآن أصابعها
وأهمس مهما لا يسمح صوتك

في عالمك الصمتي الغامض أُهمس . .
أمي . .
تسمعها أكثر من أي هوائي يلتقط الشارات الكونية
تدري أنك في البيت
لست تغادر إلا ليلة عيد
يا أمي . . يا أمي أنت هنا
ويرين الصمت كثوب الأرض الرطب
وتسري في قدميها الدوخة
وتهاوت . . حطت فوق القدمين
لكم في تلك اللحظة كان اللّه قديما وتليد
سبحانك
خططت السلطات لحرق حقون اللوز
وعادت معها الأقلام الموبوءة تعوِي
اغضب ليس لنا بل لغد
دمر . . زلزل
هذي الدنيا خطأ
خطأ
خطأ
خطأ شائع
وجئنا بالدم وبالعشق وصدق النية
ساعدنا زهر الروح

يشف عليه الربع الخالي والأفق بعيد
أن تهزم السلطات الذئبة
فاللحم تصلب صار جليد
ما خطب دريدي منحط
يظن بغاما مدفوعا سلفا يدفعنا
يا ابن أبيه لك الحق
فإن الأيام قواويد
شكل .. مد .. تنافى
لست بأكثر من شرف بقليل يسرق
لا أتمثل أمثالك حرفا
صمت العشق يضيء بقلبي يكفي
وبغامك في وكر الغربان مديد .

* * *

في الحانة القديمة

المشرب ليس بعيدا
ما جدوى ذلك..
فأنت كما الإسفنجة تمتص الحانات ولا تسكر
يحزنك المتبقي من عمر الليل بكاسات الثملين
لِماذا تركوها ؟
هَل كانوا عشاقا
هل كانو لوطيين بمحض إرادتهم كلقاءات القمة
هل كانت بغي ليس لها أحد في هذي الدنيا الرثة
لو كنت هنا
خبأت بسترتك التاريخية رغبتها
وهمست بدفء في رئتيها الباردتين
أيقتلك البرد ؟
أنا يقتلني نصف الدفء ونصف الموقف أكثر
سيدتي نحن بغايا مثلك
يزني القهر بنا
والدين الكاذِب والخبز الكاذب
والفكر الكاذَب والأشعار

ولون الدم يزورحتى في التأبين رماديا
ويوافق كل الشعب أوالشعب
وليس الحاكم أعور
سيدتي . .
كيف يكون الإنسان شريفا
وجهاز الأمن يمد يديه بكل مكان
والقادم أخطر
نوضع في العصارة كي يخرج منا النفط
نخبك نخبك سيدتي
لن يتلوث منك سوى اللحم الفاني
فالبعض يبيع اليابس والأخضر
ويدافع عن كل قضايا الكون ويهرب من وجه قضيته
سأبول عليه وأسكر
ثم أبول عليه وأسكر
ثم تبولين عليه ونسكر
المشرب غص بجيل لا تعرفه
بلد لا تعرفه
لغة
كركرة
وأمور لا تعرفها
إلا الخمرة . .

بعد الكأس الأولى تهتم بأمرك
تدفئ ساقيك الباردتين
ولا تعرف أين تعرفت عليها أي زمان
يهذي رأسك بين يديك بشئ يوجع مثل طنين الصمت
يشاركك الصمت كذلك بالهذيان
وتحدق في كل قناني العمر لقد فرغت
والنادل أطفأ ضوء الحانة عدة مرات لتغادر
كم أنت تحب الخمرة واللغة العربية والدنيا
لتوازن بين العشق وبين الرمان
هذي الكأس وأترك حانتك المسحورة يا نادل
لا تغضب فالعاشق نشوان
أملأها حتى تتفايض فوق الخشب البني
فما أدراك لماذا هذي اللوحة نلخمر
وتلك لصنع النعش وأخرى للإعلان
املأها علنا يا مولاي
فما أخرج من حانتك الكبرى
إلا منطفئا سكران
أصغر شيء يسكرني في الخلق فكيف الإنسان
سبحانك كل الأشياء رضيت سوى الذل
وأن يوضع قلبي في قفص في بيت السلطان
وقنعت يكون نصيبي في الدنبا كنصيب الطير

ولكن سبحانك حتى الطير لها أوطان
وتعود إليها وأنا ما زلت أطير
فهذا الوطن الممتد من البحر إلى البحر
سجون متلاصقة سجان يمسك سجان .

* * *

قراءة في دفتر المطر

في الليل
يضيع النورس في الليل . . القارب في الليل
وعيون حذائي تشم خطى امرأة في الليل
امرأة ليست أكثر من زورق لعبور النهر
يا امرأة الليل أنا رجل حاربت بجيش مهزوم
ما كنت أحب الليل بدون نجوم
وأخيرا صافح قادتنا الأعداء ونحن نحارب
ورأيناهم ناموا في الجيش الآخر والجيش يحارب
والآن سأبحث عن مبغى
أستأجر زورق
فالليل مع الجيش المهزوم طويل
في مقهى الزيتونة تبكي الموجة فيه
أهلي فيه
ورجال فيه يصيدون أصابع أطفال غرباء
مازلنا بشرا ضعفاء
نبحث عن شوق
يتعبنا كالشوق

ونحب ونكره حد الشوق
ورأيناهم ناموا في الجيش الآخر
والجيش يحارب
وبحثنا عنهم كالمبغي
يا شباك الزيتونة أبحث عن مبغى
أبحث عن طين
يا زهرة بيتي يا وطني
أأظل هنا حزنا مبعد
أأظل على خرسي تابوت قصاصات مجهد
لا أعرف حتى خشبي
لا أعرف أين سيتركني الجزر
وليل الماء على جرحي
لا أعرف كيف يمر الإنسان بدرب الدمع
لا أعرف أيأس
الخضرة دبت في خشبي والمنفى
وسمعت شموعا تتلقح في قلبي
وصراخا أهمل أعواما
لا يغضب لا يبكي
وتواطأت مع الأيام
نسيت . . نسيت . . نسيت
وفاجأني . . أنت وفي هذا الليل

أنا لا أعرف وجهك

لا أعرف من أنت

أعواما بعدك ما كان لبيتي باب

أعواما ألهث ألقاك وراء النوم

وأنت سراب

فأنا أحببتك في زهرة بيتي

في وطني

وسمعت شموعا تتوهج في قلبي

ولماذا بعتم لغة البيت

وفيها الشياح

وأهلي

وأخي في مطر الليل

ولماذا استأجرتم لغة أخرى

وأبحتم وجه مدينتنا لليل

وتركتم في الهجر حروفي

كأصابع أيتام في الشباك

كزوايا فم طفل يبكي

من أقصى الحزن أتيت

لأغلق أبواب بيوت المهزومين

وأبشر بالإنسان

وبالإنسان

وبالشياح
وبمن لا يملك سقفا
سيكون له سقففي فى هذي الدنيا
وينام
لكن واخجلي كم بيننا مهزوم
وسيخجل من باعوا لُغتي
فأنا مكتوب في الأرز
وفي العسل الأخضر
في التين
وأنا أطعم بالسكر نخلات الكوفة
والأطفال على رابع جسر (العشار)
أنا لا أملك بيتا أنزع فيه تعبي
لكني كالبرق أبشر بالأرض
وأبشر أن الأمطار ستأتي
وستغسل من لوحتنا كل وجوه المهزومين
وستغسل بالمطر الدافئ جنح النورس
وبيوت أحبتنا
والحرف الأول في لغتي
يا زهرة بيتي
يا وطني
أمطرني حزن بلادي

أمطر فوق الماء
ماذا غير الزرقة تنمو فوق الماء
وخضار أصابع أطفال غرقى
تنمو في الصحبة أياما وتموت
الماء طريق الغرباء
الماء طريقة عرسي
والزهرة والرشاش وخبز الصمغ
عشاء النجمة في الليل
وعشائي
الماء طريق للماء
وبويت لا ندرس فيه
وننشف خديه إذا ابتلا
ونرافق فانوس النوم
من أيام زهرة بيتي
فارقت نعاسي وتواطأت
مع الأنهار وكل جسور الناس إليك . .
ونسيت . . نسيت
بأنك ماء في وطني
اسمك في الليل
يسيل الصمغ من التفاح
نهر ينتاب الحر

ليالي الصيف
ويواعد كل الأمطار
ويواعدني الصحو
واعدني وكذبت بقلبي
كذبت كنشرة أخبار
يكذب . .
يكذب . . يكذب صحوك
يكذب باستمرار
فكأنك غربة
وكأنك كنت رصيفا في الغربة
وكأنك مألوف في الغربة
وكأنك لا أدري
غربة
غربة
بلل فيك كماء الليل على الأشجار
اسمك لي بيت في الليل
ونسيت لسرعة قلبي
كل نوافذه مشرعة في الليل
نسيت . . . نسيت
وأيقظني ريح الشباك على وطني
يا وطني وكأنك فى غربة

وكأنك تبحث في قلبي
عن وطن أنت ليأويك
نحن الاثنان بلا وطن يا وطني
كالبارحة اشتقت
ومرت في قلبي طرقات مدينتا تبكي
الدمع على أرصفتي يبكي
ومدينة أيامي باعوها في الساحة تبكي
يا امرأة الليل
أنا رجل باعوا الليل مدينة أيامي
باعوني ككتاب يطبع ثانية
باعوا أحلامي
نامي يا امرأة الليل
فمن يبحث عن إنسان
من يعرف جنديا في هذي الغربة
من ينصت للحزن المتأخر
من يعرف وجهي في السوق
نامي يوشك زيتك يطفئني
ما زيتك من زيت
يا قمحا يأتي يغمر بالشمس شبابيك البيت
لو كنت عرفت بأنا نملك بيتا خلف ظلام الدنيا
وصغارا مثلك في البيت

لو كنت عرفت سلاحا لماذا نتعاطى
لو كنت عرفت لماذا نتعاطى الصمت
وحزن الإصرار
لو كنت عرفت معسكرنا وقبور الماء وصوت الليل
ورأيت وجوه رفاقي التسعة قبل النار
لو كنت عرفت لماذا يسكن جوع في الأهوار
جوع وثلاثة أنهار
لو كنت عرفت الخجل المر على جبهة ثوري ينهار
لعرفت الثورة
لعرفت لماذا الثورة
لعرفت بأن الثائر لا ييأس من دفع الصفر بوجه الليل
لعرفت لماذا أبحث عن مبغي
لعرفت لماذا أبحث في وجه الناس
عن الإنسان
في وجهك أبحث عن إنسان
عن إنسان
أبحث في طرقات مدينتكم
عن وجه يعرفني
أبكي في طرقات مدينتكم
عن وجه يعرف حزني
يعرف ماذا في وطني

أندب كالبوم المجروح على جدران الليل
والبارحة اشتقت
ومرت في قلبي كل خرائبها تبكي
يا مدن النار مدينتنا تبكي
المنقذ يأتي كشموع تحت الماء
سنتان تعلم حزنا تحت الماء
سنتان نمت أسماء القتلى اتخذت أسماء
ونما النسيان
ونما للمنقذ درب
وصليب من أشتات خضراء
حزين قلبي للمنقذ
مثل كتابات الأحزان
مثل كتابات الريح
مثل رثاء النصر إذا ساوح قلب القائد
وكما يقرأ في المبغى قرآن
وحزين قلبي
كحديث العمر الذاهب للمنقذ
وحزين في طرقات مدينتكم
حقرتم حزني
المبغي في ليل مدينتكم
أكثر تسلية من حزني

القبر بليل مدينتكم
أكثر أفراحا مني
وأنا من أقصى الحزن أتيت
أبشر بالإنسان
وبالمنقذ
وأخاف على أيام مدينتكم منكم
من لغة أخرى
في الطرقات المشبوهة بالإنسان
وزهر الصبر
اتسخت روحي يا منقذ
واتسخت روحي وتعذب حتى وسخي
عانيت لأنك تعرفني في الغربة
عانيت لأنك في ثقة متعبة كالشك
وتعاملت مع الغربة
عانيت وعانيت
وماذا تدري
ولماذا تدري
بالأمس ذهبت
على وجهك بؤس صغار الأسماك
وسألت.. سألت
وعنك سألت الصيادين

سألت لماذا لا تدري
وحملت صليبك لا تتركني في النسيان
لا تتركني فالشك سيقتل في الإنسان
لا تتركني أفلست المنقذ
أفلست رفيق المتسخين
ولأجل صليبك في حفر الليل
أنام مفتحة عيناي مع الأسماك
ولأجل صليبك نمت مع المبغي
ووجدت صليبك يبكي ندما في الشباك
لا تتركني فأنا وحدي
والناس هنا في غربة .

* * *

كيف نبنى السفينة فى غياب المصابيح والقمر

قصيدة عن بيروت

واقف بالخراب أثنيه

عاش جلالتكم

مرة ينبت العقم ضد القوانين

يحترم الانحطاط كرامته

يقف القبر منحنيا من جلال الولادة بالجهض

هذا الفساد الحضاري يلهمني

أتحول من خيبتي حلزونا

يعشعش في الطين مستبسلا

وتطور فيّ المشارط علم الجراحة

من كل هذا الجمال المهدم

صرح سليمان يبنى

وقد أرسلوا هدهدا عالما بالنساء

ألا فافرحي يا بغيا تسمى

فما تملك الأخريات من القهر حتى حقوق البغاء

أنا فرح يا بغيا تسمى

وقلبي مستوحش يا بغيا تسمى

وأرقص بين الجنازات
لون الجنازات هذا دميم
أنا أمة ترقص الرقصة البدوية قدام قاتلها
جاءت الساعة الصعبة
ما تملك الظلمات سفيه تنفس . .
صمت تفرخ فيه المآتم
أيوب في الليل
أيوب في لحظات التفسخ
أيوب ينمو
وتأتي الظباء من البر مورقة
جاءت الساعة الصعبة . .
الصعبة . . الصعبة . .
واقتحموا
صاحب القيم البربرية
كان الجراد المغولي يأكل أقدام أيوب
أيوب مستسلما
فتشوا الجلد والحشوات المليئة بالسل والقمل
لا تتلفت
أنت أيوب . . لا تتلفت
وأغار الجراد على عين أيوب
أيوب مستسلما

ورأيت الجراد يجرجر عينيه
أيوب مستسلما
أيوب في الموقف الدولي
وجرارة وقفت في الخراب تنظف أسنانها
أيها الرب
إن بقية أيوب تنبض . .
قف بالخراب
وقفت . .
وكنت أراهم كما السنديان المكابر في الرعد
فلتفرحي يا بغيا
ففي مجدك اكتملت جوقة العزف
لكنها الساعة الصعبة الآن
والاختيار الذي فضح الضالعين من الضفتين
وأعرف أن الدماء الزكية تدعو العقارب
اقتربي . . اقتربي يا عقارب
اقتربي . .
اقتربي أيتها الصحف الأجنبية
واكتسبي فرحا يافعا
وانظري للعرايا على الأرض
تم الحصاد بهن

فقد كان فقر يدافع منذ قليل وأخفق
ما أقبح الفقر حين يدافع
يا أيها الفقر هاجم
وأعلنها علنا أنني عالم بالوثائق والسندات
وهو واقف في الخراب . .
أرى الانتهاك يراقبني
والدويلات ترفع أعلامها الطائفية مزهوة
نفذوا سندا واحدا والبقية جيرت
إن هذي النبوءة قد عذبتني
ولست أقول سوى عاشت الشقق الملحقات بندب
ويعقوب راقب بنيك
لقد دخل العقم هذي المتاهة
ما أصعب اللعب بالعقم
ما أصعب البندقية حين تصوب في ضحكة لصغير
وتتركه في المحاق
أيها السافلين
أما تستحي البندقية حين ترى امرأة
تتوسل تحت البصاق
أما تستحي القمة العربية من قاتل
يجهل اللغة العربية يحكي مطالبها
أما يستحي الشعب من صمته

إن طاولة الزهر ضاقت بنا فاستحوا
أنت قف بالخراب
أنا وقف والخرائب تركض
والطلقات تزيد الصفيح المثقب
فقرا ومذلة
وأقول أنا الحق لا أستحي
إن القبور الفقيرة كانت على الجهتين
وبيروت ما احترقت
إنما أحرقت
وقح .. وقح .. وقح .. وقح
وقح أنت .. قف بالخراب ولاتتطاول
واقف أنا ..
لا علاقة لي غير أني طفحت من الحزن
صارت عيوني ترى من قفاها
وقد جئت أمسح وجه الشواطئ من عرق الطلق
فالأمهات يعانين طلقا عظيما بميتة أبنائهن
وتصبح روحي ساعة أمن
وينزل فيها الفراغ البطيء
أنا خائف في شبابيك هذا الخراب
عواء لطفل يشجعني أن أرى أي وجه لنا في الحضارة
أعوي أنا

فالعواء يوازن هذا الخراب
وأحضن يتما تكون بين الصواريخ
نصبح يتيمين في عالم نملك اليتم فيه
ويصبوا إلي بروح عدائية
ثم تعطي الغريزة كل مفاتنها
فيمد يديه المحطمتين ليحضن في العواء
وأحضن فيه الذي حفرته القنابل
هذا بناء جميل وهندسة للقيامة
ولا بد أن جلالتكم تعرفون
بأن مشاعية سوف تنبت بين الخرائب قاطبة
وتقاوم كل المبيدات من نفطكم
أتلفت في فرح
كان هذا انفجارا وأعطى صنوبرة من دخان
وثمة شارة ضوء تواصل أعمالها . .
ابتدأ النهب . .
كنت أرى جثثا يصرخ الصمت والنهب فيها
كنت أرى امرأة تستباح وتنهب
والطفل يرضع في صدرها
كان يلعب في الالتصاق
ولكنهم بتروا راحتيه وعاثوا بصرخته
شجر بالحليب نما

حملت موزة كل أجراسها فوق بيروت
كان المسيح على النهر يغسل صلبانه
اغسلوا كعبة الله أيضا من الآثمين
قبيل رحيل محمد من قبره في المدينة
ثم عطر يؤرقني
وأزحت المشيمة كان دخان البيوت الفقيرة مرتبكا
والتفت إلى جهة الليل
أدخلوا الهمجية في طفلة كنت أسمع صرختها
قمرا يتآكل في خجل
من يغطي على فخذيها
فإنهما في مواجهة الله مكسورتان
كما بددت فرحا
والخنازير تعبث
يا رب قد ملؤوا فمها بحشاء دنيء
أما تستحي أنت . . . منهم
لقد وسخوا الكون
فاغضب قليلا
هلالك قد جعلوه وعاء لآثامهم
صليبك قد عاقفته العصابات نازية
خجل . . خجل . . خجل . .
خجل من حشاء الخنازير

كانت تلوح بقيتها ثم حين انتهوا
راقبت خطوة للانتصار المشين
التي قد مشوها وماتت
ألا أيها الرب
هذا اضطراب وليس صراعا
وهذا دخول على الطائفية والجاهلية والبربرية
يا جيفا يا نتانات
أين دياناتكم
أين عقائدكم
يا بهائم
إن البهائم ما نهبت بعضها
ولماذا تركتم على الجسد الغض
خرقة ثوب مبللة بالحشاء
انهبوها . . انهبوها لتكمل أخلاقنا
انزعوا قرطها الطفل
فالسندات القديمة تفتح فينا رصيدا جديدا
ويعقوب راقب بنيك
فهذا انهيار عظيم وليس صراعا
وإني على قدرتي حامل حجرا للبناء
ولكن على كل هذا الخراب المبجل كيف يتم البناء
وأعلن محكمة واتهامي خطير

قفوا سأقول قرارا خطيرا
رأيت القتيل يساعد قاتله . . والأدلة كافية
وأنا أرصد من كل فج
وهذا قرين يراقبني كيف أجمع بين القرائن
وابتدأ العزف فيّ
ولكنني كشفت عن الفخ
هذي النبوءة أفزعتني
هنا خنجر . . وهنا وردة خنجر فافهموا
خراب في المدينة
أوشك لما أرى من رؤى أن أعانقكم
إننا لغة خبأ الله فيها مفاتيح جنته
ليت الفوارق تسقط ما بيننا
ألتجئ الآن من حذري البدوي إلى لغة الشرق
أقسم أني رأيت رؤى
لم أكن حالما
إنما كان جسمي في حلم
لم أكن يقظا
إنما كان قلبي يجتمع الناس فيه
قتلتني المدينة
لكن طلقتها اشتعلت في جسدي عشقا
أكاد أعانقكم . . نظفوا العنف

لا تتركوا في السلاح شكوكا وشكوا وراء السلاح
المهم أني رأيت رؤى
منذ عامين حدثت عنها لكشف الثواني
وكان تراب الوجود ورائي
رأيت وعدت حزينا .. وعدت رأيت وعدت معافى
لقد جئت من كل عمق
وكلي مدخرات وحزن وأبرق
فاستمعوا ولد الآن مولود عشق
وبالعشق قال المنجم ينفى
ويرقبه في كل بيت فساد
وبالعشق تطلق نار على جسدي الفوضوي وأنمو
وبالعشق في بيت بيروت أوقد كل شموعي
تبارك زيتك أما المدائن تلك
فلا زيت فيها ومطفأة
وتعاني فناء بطيئا
وليس لها كل هذا الحريق المبارك
فلتفرحي وارقصي واكشفي فخذيك المعذبتين
فأنا الآن أعرف مثلك ما الحزن ما الفرح الهمجي
وما الاتزان الذي ممكن في اضطراب المقاييس
ها كاشف فخذي كثور الأساطيل
أزني بكل الحكومات لكن بعشق ..

بعشق .. بعشق
سألقى الشوارع بعد الزنا وأتمثل في فرح
أعرف أن العصافير في الزقق المعدنية
تبقى تمسح ريشاتها لصباح جميل
امسح ريشة حزني يا رب
يا قادما حولك الفقراء وأسمع صوتك في العالي
أيها القادم المستبد جمالا وعذلا وخمرا
تقدم فإن المدائن واقفة هجرة
والجماهير غابت عن المذبح الوطني
ما تم في الأفق إلا دبيب من الفرح
والمتعطش مستبسلاً
أي فطر بهيج أطل من الوسخ المتربع
بين أصابع أقدامهم
والأكف الصغيرة في الضوء
كان لها عفن فستقي
وكان من الشمس لون رحيب
على عنق سلختها السكاكين
هذا نبات حزين
وهذا مكان يسمى على كل خارطة
وطنا عربيا
وفي الأرض ملك لصهيون يدان

أضيء أيها المشهد المتواضع للحطة الآدمية
خبِر بأن النفايات كانت فقيرا شريفا
يكد ويطعم مفرزة من جياع
وهذا البهار البهاري جثة أم وطفلتها
والذين هنالك ينمون فطرا وخبيزة
في الصفيح صغار
وقد ذبحوا بين أعين أبائهم
كل هذا يقال له وطن
وجلست إلى كل هذى الطفولة . . ناغيتها
كان صوت حنيني يفوق المجاهيل
حفرت هذا النبات العجيب . .
تراءت بدائية للتراب أمامي
حفرت بسبابتي الطين مستوحشا
رمش الطين بين يدي مقلة لصغير
وبعد كما كان يلعب مفتوحة يرقص الفطر فيها
وأجفلت
كان بها رعب جرارتين تعاقب الحقد فيها
أهلت التراب الرحيم . .
تناحت من الدفن
خذني إلى حضن أمي أنام قليلا
بكيت و أطبقتها وأهلت التراب الحزين

وبعد قليل سمعت لغات من النوم تبكي
وكان كأن من الفطر طفل يناغي
أورقي يا دمامل
أورِقيِ في فرح الجسد الحي وابتهلي
وانتشر أيها البرغش الزئبقي
ويا روث كن تاج حزني
فإني اكتشفت بأني مستفرد
كأثاث حزين بهذا المزاد الجنوني
كل مزاج تفحصني
وتبارت على جسدي الشائعات
فأوقدت قنديل عشقي
على كل هذا التعاطف بين الكلاب
تبارت كتاباتهم
قلت حزن يشيح
وتصعد في طعوم الصداقة والخمر
كل الذين رحلت على مائهم خذلوا قاربي
واكتشفتهمو جدولا موسميا
وحين دفنت بأقصى المدينة فانوس حب
بكيت سنيناوما زلت لكن بعيدا عن الناس أبكي
وعلمني الدفن أن أمسح الطين عن أصدقائي
وعلمني الدفن في أن يكون من الأنهر الأبدية مائي

وعلمني أعشق الرحم الأزلية للأرض
وامرأتي حين أسكر كل النساء
ولن التفت رهبة من جديد
فلست بلهف جديد
فغدا سأرتمي في جسد يتحرك كالرمل
فاستبعديني فلن ألتفت
ببلاء بكت
ببلاء بكت
ببلاء بلاء بلاء بكت
أيها الفحل مزق لها شعرها الليلكي
فقد خرجت للبغاء مسلحة
صبغت وجهها بكل اللغات
وأعلن كل الأزقة قد راودتها على نفسها
والملوك المواخير قد كتبوا نعيها في بياناتهم
تركوها تعاني مخاضا دميما
من المرض الهمجي بأصلابهم
من شيوخ الخليج زنت
من شيوخ الحجاز زنت
من شيوخ اليسار الذي ثلثه في اللسان
وثلثاه عند اليمين زنت
كل بارقة لقحتها

وبعض السفارات قد واقعتها سحاقا
تفشى بها السل والسيلان الخطير
فألقوا بها عند باب بذاءاتهم بامتهان
تعاني من الطلق والخجل المتأخر
ليس لها الآن من أحد غير فانوسها
وطن آخر يولمون عليه
وقد أعلنوا في الدكاكين عنه
ووالي الجزيرة أعطى كثيرا ليأكل سرتها
أيها السادة انصرفوا . . أجهضت . .
كلما قد كتبتم على رحمها بالمداد الملوث
وأعطت الآن عشرين ألف قتيل فهذي ولادتها
تخرج الآن متعبة
تشتري الخبز في خجل وعفاف نشيطين
كالخبز تعرف جيرانها الفقراء
أزالت مساحيقها . .
فضحت سندات الصهاينة المثقلين المكَاييل
حتى إذا طفح الكيل خفت موازينهم أمهم هاوية
آه يعقوب . .
راقب بنيك فما افترس الذئب يوسف
لكنه الجب . .
آه من الجب في الأمة العربية آه . .

ها واقف في العراء أدونهم
حطموا رقما في الخيانة
اجمعهم وأحاكمهم باسم عشرين ألف دم
إن علم الشوارع علم عظيم تعلم وكن
العراء الذي يحكم البحر
يأتي بآنية من ندى ذهبي
وصوت النوافذ يكشف أي خواء هناك
لقد هاجرت مدن من مواقعها
ثم شاحنة تنقل السرقات الأنيقة في الأفق
وامرأتان تسران بعضهما
تحت ستر سماء رصاصية
وصراخ رضيع يكوم ليلا
صغيرا على أمه المستباحة
جاء جنود سليمان
أيها النمل فادخلوا لمساكنكم
من هنا مر وجه المذابح فاشتعلت هدنة
والصغير يتوق لغمضة عين بلا صرخة
كنت أصحو وأحلم تأتين مقبرة بالقرنفل والحب
أو تحملين رضيعا إلى رجل ميت
كنت فيه مثاليا
صار القرنفل من بعض آنيتي

بالملاحم طرزت ثوبي
إن هذا القرنفل من صلب أنيتي
وكانت لنا قصة أثمرت
ولكن قطعوا الماء عنها فلم يطل السهر
انتظري .. انتظري ..
أن نهرا سيأتي ونورق ثانية
إنما ترجعين إذا رجع الماء
واتحد الوطن العربي هزيما
أحبك رغم الحرائق والنهب والقمع
والقهر والسلطات السخيفة
فاستعيديني أنا وطن
ثم شيء غريب
أصحُو بلا نجمة ؟
أفراش بلا جسد شرس
أي نار تبث الضفادع في هذي الليلة الأبدية
كيف تراقب هذي الضفادع كونا
وكيف أحرك قيثارتي في خِضم المعارف
ماذا تقول عصا قائد الوتريات
ثم ارتباك وفوضى ..
فإن الخليقة في هذه الظلمات تدوزن لاتها
ولذلك أحمل قيثارتي بين قوى الجموع الغفيرة

انساق انسياق العاشقين للعزف
لكي أبدأ النغمة البدأة
إن عذابي وعشقي
قد أعطياني حق التفرد والبدء
ها واقف للقيامة أعطي الإشارة أن نتوحد
فالصحو نجم كما النجم صحو
وكيف الفراش بلا جسد شرس
أعزف العشق فيه
وأعطي فصول التحول
كيف الدخول مع النهر
كيف الدخول على النهر
كيف البقاء مع النهر
يا من جميع المعازف من أجل يومك
كيف تأخرت مستعجلا
من تكونين أيتها القوة العبقرية في جسدي
إنني أحمل الآن مقبرة رفضتها القيامة
مستعجلا بين عشب البراري
أحاول إيقاظ أمواتها
استيقظوا
استيقظوا
استيقظوا

استيقظوا
أيها الناس استيقظوا فهم راكبون عليكم
وإلا فكونوا صحيحا
كل هذا الخراب على النقرس الطائفي
أعوذ بكل العرافة
إن الرياح تنبئني أن طوفان نوح هناك
فابنوا السفينة ماكنة
أوقدوا جيدا يا شباب
نرى الخشب السنديان
وكونوا لدى معمل الليل
نغطي لهذي السفينة هيكلها
لا تبوحوا بسر فإن الطواعين بثت براغيثها
واسمحوا لي أوجه أول أخشاب هذي السفينة
لي خبرة بالبناءات مارستها بوفاء
وأحمل ناري ولا ملك لي
غير حلمي بهذي السفينة
في كل يوم من الجاهلية داويت أخشابها
كنت أستقريء الله حتى وصلت الدراية
كنت أزيل المعالم خلفي وأترك فيها
محاذرة أن يخادعني الناكصون إلى رجعة
وصعدت . . صعدت . . صعدت

وأعطاني الكون أول أسراره في البناء
بأن أبتدئ واقفا
وأكون أنا خشبا في بنائي
ألا أوقدوا جيدا يا شباب
فإني قد وهن العظم مني
واشتعل الرأس شيبا
ومازلت ألقم نارك يارب من خشبيِ وزيوتي
وأعرف كيف أحب ترابي
فمن لا تراب له لا سماء لهُ
والقناديل قد رجفت
وتوسلت بالزيت أن يستمر
فإن الرياح الكريهة قادمة
والرياح العظيمة قادمة
أيها القادم المستبد جمالا وعذلا وخمرا
تعال :
كفرت بمن يحملون القواميس في حرب صفين هذي
فأول كل العلوم التراب
فمن لا تراب له لا سماء له
فلك وحساب
أنجَم أن المكاييل مهما توازن
فالاختلال الرهيب سيقلب كل المواني

قابنوا السفينة ماكنة
أوقدوا للسفينة كل شموع الصبا
لنرى ما صنعناه حين المصابيح غابت
ونفحص أنفسنا
ونفحص الناس
نفحص كل الحروب
فإن اختلاط الضحايا مع القاتلين مصاب
أنا واقف في الخراب
أسميه أو لا أسميه عن حذر
إنما هل شبعتم دما
هل شبعتم صبايا وغلمان
من كل هذي السبايا
أحمل المقبرة
وأحاول إيقاظ أمواتها .

* * *

قل هي البندقية أنت

الشهيد خالد أكر

الدجى والمدى جنحه
نجمة للصباح الجميل
كرياح الأعالي اختفى
ما أحست به غير زيتونة
ألف قلب على كل غصن بها
في الجليل
شفّرته إلى الأرض
فارتفعت قبلت قدميه
لقد جاء في الزمن المستحيل
يمطر الجو مما غزارته والشباب
ويلتمس الله مرضاته
ساحباًبالأمان إلى آخر الاورقاق السماوي
اهبط عليهم فإنك قرآننا
قل هي البندقية أنت
ومالك من كفو أحد

بين قتلاك قمة عمان
والرشوات وأقساطها
ولسان اليمين الطويل
يركضون بلا أرجل
وتدلت خصاهم من الرعب
جمعت فيها الإصابات
أين تعلمت تخصي الجيوش
وكيف اقتلعت المعسكر يا ابن ثلاثة وعشرين
الله أكبر والبندقية
عاد علي إلى باب خيبر
يا علم سجل خلايا العروبة تنقل تلك الشجاعة
جيلا فجيل
أكيد . . أكيد من الجو تم اتصالك بالكون
ومضات عينيك . .
كانت تضيء رؤوس الجبال وأكتافها
وتفتش عن موضوع في ارتفاعٍ بسيط
لكنه شرفة الدهر
ميزته من بعيد
سمعت الرفاق الثلاثة (الخالصة)
من داخل القبر
قد رفعوا زهرة صوتهم

السلام عليك ولدت ويوم تموت وتبعث حيا
كما كان صوتهم دافئا قط لا يتغير ولا شعرة
رغم صمت السنين الطويل
لا تزال تحوم في الجو
لا تزال . . ما مت ؟
لا تزال تحوم ملء الفضاء
فكل عقاب يخيل أنت
وكل دوي
يفر الجنود كأنك في أذنيهم
بدأت المباراة بين السماوات والأرض
هذا هو الدرب
فلتتبارى الفصائل
جوا وبحرا وبرا فصيلا فصيل
جئت إلى فلسطين مهما انتماؤك
دم الشهادة ليس يجير
نحن نجير بالدم
كل البلاد
وهذا قليل قليل .

* * *

جزر الملح

الآن . .
والعالم برتقالة
تدور في بنفسج الأرواح
من قوة ذاك السائل الوحشي في أعماقها
تفتح تلك الشفرة العديمة الألوان للبوح
على غرائز وجهك الذابل من أعوامي
ليلتين في السرير
وصمتك المرتاب طائر مقيد صغير
تم احتضار العالم القديم
وارتخت قبضته
لم يبق إلا طلقة الرحمة في جبينه الجنائزي
ثم تطلق العصافير إلى بلادها
ويرجع الأسرى الذي فحمتهم رحلة الليل
سوف يعود مركبي العتيق مثلهم
لكنني مدبق القميص بالدم البنفسجي
والصمغ الذي تفرزه العودة
في الخد الرمادي لكل الذكريات

والشبابيك التي ولى صباها
ولا تنامي إنني أشتم طيات دموعي
تنشر الآن
وأصوات احتجاجات على التأخير
في مرائب الأغراب والتلكؤ الحزين
لم يبق إلا أن أرتب الغربة في صندوقنا
مع الثياب والأوراق والمهانات
التي سمعناها
من المستنقع الموبوء في غياهب السنين
هذا دخان المركب الكبير يا حبيبتي
يجلو القناديل المدلاة على الميناء
يا للزرقة الملائكية الجناح
يا للنار تلقي نورها السحري في وجه المعذبين
إنهم ينتزعون ذلك الروح العنود في المرساة
حتى تستطيل العضلات في وجوههم
وينصتون للمحيط في قراره الرهيب
لقد دفنا نصف من نحبهم في جزر الملح
واقعينا على الشاطئ كالفقمات في صمت
وكانت سفن الأغراب تلقي بفتات الخبز
في وجوهنا
لكنني نهيت بعد ذلك الموت الكبير

لم أعد من المكوث والرحيل
لم أعد هنا
علمني البحر في أن أنام في ازرقاقه السري
منصتا لعالم الأعماق
والتنفس الماسي للؤلؤ
والتواصل الغرائزي
والأسماك والسكون
يا رحم اللؤلؤ والنخيل . .
يا بلادي يا حزينة البيوت
مدى يد الوشم
فقد عدت إليك بالمعاضد الخضراء من حياتي
يا حزينة البيوت
والآن . .
والعالم برتقالة تدور في بنفسج الأرواح
من قوة ذاك السائل الوحشى في أحشائها
عدت إليك حاملا شفرة هذا الكون
وانتهت طفولتي
وصرت من طفولة الوجود
واختلط البحر المتنفس بالعتم
برائحة الليل الفضية
والغمغمة الرطبة تقطر من صمتك

والأشباح تمسك في وهج الظلمات
بأن هنالك ساحل وهم . .
وهم . .
وهم . . وامرأة تبكي
أي مزاح هذا يمزحه . . .
فلا يترك إلا القشرة تغريك بزاوية البحر
وأنت بزاوية أخرى
وتمد يديك
تمدهما تخترق الساعات
وتخترق الليل
وجيوش السفن الأخرى
لوثت القلب
وشعر شم نساء الأرض بفخذيك
ويمسح من رئتيك دخان مواني
يعوى الثلج بها
وعوانس تبحث عن رجل
أهمل في بعض قمامات الليل
رأى الميناء يضيع فأجل رحلته
أمسك حبل الميناء
فما جدوى حبل سفينته إن ضاع الميناء
غسلت عيوني بالجعة الذهبية

كي يترنح هذا الحزن
وحطمت على أرصفة الغربة كأسي
غازلت البعض شظايا الكأس
شظايا لا يمسكني أحد
كي لا يمسكني أحد صرت شظايا
أجرح ..
أجرح حتى حين أنام
يا ولد البحر ترجل
في طيك أسلحة
في طيك أحلام
يا ولد البحر الأزرق
موحشة عيناك
كأن الآبار اجتمعت فيها
لتسر بشهوتها
إن يلقى يوسف ثانية
وزليخة هذه المرة تعبى
قدت من كل جهات اللحم
حريرا مغسولا أنهكه الغسل
وكاد تمزقه الأيام
واختلط البحر
وكنت على سطح القمرة

ملقى كالسمك النتن
تخثر كل دوار البحر بعينيك
وتوشك أن تغرق في اللجة
بعد ثوان
يا ولد البحر ويعلوا أنف الزورق ثانية
ويحب هواء الليل
موزعة عيناك
كأن الغرباء يقصون حكايتهم فيها
وتهرب صفقة أفيون
وتعلقت بناب الموجة
فالبحر سديم مجنون
أين شجاعتك الآن
إن كتاب الليل مخيف يقتل قارئه
فتشجع
أنت غدا إحدى أوراق كتاب الليل
ويقرؤك الجهلاء الآتون
أي مزاح هذا يمزحه الله
فإن كتاب الدنيا صار مملا
ولعل الله . . .
ويشرع في دنيا أخرى
وعلى الرف سنطوى تحت غبار الأزل البني

لعل الله يعاوده الشوق ليكمل قصتنا
أرسي المركب يا ولد البحر
كبرت على الرحلات
وصارت عيناك تنزان دموعا
حيث تحدق في الزمن الآتي
وترعش كفاك الحاضنتان لعود الكبريت
وأنت تضيء سراج القمرة
للأغرار بعلم البحر
تريهم خارطة الحزن . .
هنا وطني
أول شيء في الدنيا أعرفه يا أحفاد
وآخر شيء يعرفني
وينحني الأحفاد وراءك مسحورين
كمرجان البحر
بلادي ملك الورقاء
أضاع العشب
وضاجع في الأرز بكارة عشتار خضراء
وقام من الخمش النسوي
يطهر في أصل الماء
بكارات الشبق البصلي
وسجى صاحب عينيه بغابات الأرز

بكى كالشجر اليابس قدام الموت
نواح يسمع في سفن اللؤلؤ في اليم
ورائحة الزعتر والعرعر
في سهل الروح ورب الأسوار
وباني أسقفة المعبد عاد قتيلا
يا ولد البحر
موشاة أحلامك بالشعر
كأن الكوفة فيها وأبا الطيب سهده الهم
فأشعل تفعيلة شعر قنديلا
وتشخص عيناك كبوصلتين إلى بلد النخل
ويغلب فيك جلال الطين
ومئذنة أبهة يأتى الله إليها كل صباح
يطعم بالخبز حمام الغرباء
ويرتاح من الناس قليلا
يا ولدي إن الله احتار بعالمه
وتعبت من البحر وتكره فعل الإرساء
وليس لها من هدف هذي الرحلة
أنت قفزت وحيدا في الجبل العلوي
ومكتفشا وحدتك القصوى
ورأيت . .
لقد كان شمول أنت

وصول فيه ويكمن فيه الأزل الكل
وملتصقا بالرحم الكل كحيمن ورد
يحمل تجربة العطر وتاريخ النسوات
ومشاكل هذي الدنيا
وفقدتك حين رجعت من الرؤيا
كان لساني أصغر من ألف مبيض للسوسن
والليمون
وطيور السندس تجتاز الصمت
وينفلش الريش الأخضر في ليل عيوني
فاجأني الصحو المتفجر
حاصرني فقر الألوان
هددني المالك بالطرد
وأقفل سفر الرؤيا
أعرف إن هنالك لاقطة
زرعتها أجهزة اللقط
لذاك نزعت ثيابي وتعريت على باب الدنيا
هذا جسدي الموشوم بكل الشهوات
وأخبار الغزو الليلي
وخوض القصب الجارح في الأهواز
وقائمة الجلد الرجعي
مارست جميع الأفعال السرية

فاستدعيت صباحا
أعلنت ممارستي بالقلم السري
وأبعدت عن البلد المعني بتهمة قذف
قلت نعم . .
قلبي حرضت
وقلبي بين الوعي وبين جنوني
نفيت وبالقلم المشحوذ
دخانا كتبوني
فاسدة هذه البيضة . .
فاسدة يا ولدي لا يخرج منها عصفور
فلماذا تحمل عش البيض الفاسد
في دوحة كفيك حريصا
ألق العش إلى البحر
تحرر من أنك ملتصق بالبر
وغامر
فالكل على الكل مغامر
والعلم أجساد وخناجر
هاتوا صخرة بركان سوداء
لا حفر زهر جنوب السودان
وصوت البوق الأزلي
وزمجرة السحر الأسود

في قدم الراقصة السوداء
فإن البرق سيفتح باب الخوف على مصراعيه
يفجر كيس الطلع بجسمي
تتفجر برقا أوردتي
هاتوا . .
هاتوا أيديكم
أعطي الوحي لكم
كيف أسجل آلاف الأجراس
بحجل تتفطط منه الأقمار
هل أسد أفزع هذا النهد
العبد تفضض أنسجة كغزال مولود
فأخذت أمسحه بخدودي
لسعتني النار
هاتوا صخرة بركان سوداء
مطهرة بالنار
وأقة مسك لاصب قوالب من هذا العبد الأبدي
ومبخرة ومسارج للرقص
وكوزا أرسم وشي بني العباس السفاح
وسافرت إلى الغابات
ظبي ذبح الآن
وللنبع عصافير

نقطة ضوء حرقتني في الفخذ اليسرى
ملت . .
فضج الكون عصافير ملونة
صعدت على سلم زقزقة
فاهتز الشجر الموغر بالتمر الهندي
غطاني السندس . .
أغمضت
وصدع من خرزة أمس
وفي رأسي نهد والنهد لقد فر مع الطير صباحا
وتحريت مطارات العالم
لم أسمع غير الكذب
واقعى طفل في عفن الشمس
تغوط في دعة وتمسح كالجن
بآخر تصريح في صحف الأمس
وللنبع المجرور إلى الظل
وتسحبه الشمس ببطء
كل عصافير الغابات ومأتم ظل في قلبي
والخرطوم تذيع نشيد لزجا
يحمل رأس ثلاثة ثوريين
ووجه نميري منكمش كمؤخرة القنفذ
أين ستذهب يا قاتل

يا قنفذ
الناس عراة في الشارع
الناس بنادق في الشارع
الناس جحيم
أي الأبواب فتحت
فهنالك نار
ولله جنود من عسل
وعلى رأسك يا (محجوبْ)
رأينا سلة خبز تأكل منه الطير
في ساعات الصبح سيمثل اسمك فيك
وضج الكون دما وعصافيرا خرساء
مفقأة الأعين
وارتفعت أدخنة الكيف الدولي . .
إلهي أي مزاج تمزج هذا
ليسدل شيء فوق المسرح
أنا ملك الترحال على قدمي
وتاج التيجان على رأسي حبة قمح
والأعداء يدوسون على فخذيها
وتصلي وبكاء الثوار قريب منها
ورعاة الليل
يهزون فوانيس الفرح الوحشي لماعزة

تلد الآن
ومدرسة الأطفال على التل
وفوق السبورة حرف عربي
مخزن طلقات
أعطاني الأطفال رسوما
لمراعٍ وقرى وطفولات مزقها الأحباش
فأين سأعرضها وأنا لا أملك غفوة عين
والأطفال كثرن على قدمي
وحررني السير المتواصل في الشمس السوداء
أعطاني السهل المفتوح غناء الثوار
وكنت كأشجار الصمغ
لهذا الفرح البحري
أنوح فإن الأخبار تجيء الآن
بأنك تقتتلين بلا معنى
حوطت عليك ضلوع اللوعة يا باكر
إن رياح قوادات تتجمع من كل الدنيا
وقيادات باعتك
لعن الله الولد الغارز مقوده الخشبي
في ثدييك ليزداد حليبه
وصرخت بوادي الرحمة
يا الله أعني في ولد يزني في بقعة مولده

أصوات جنودك
والكيزان الذهبية مشرعة
أبدا ويموت الأعداء
وتصطف السفن السود على المرسى
لا يتقوس ظهر الثورة إلا يصبح قوسا
أعرف بين جنودك عبد الله
وآدم . . والولد الأسود (دنكج)
وأعرف موسى يا بلد الثورة . .
والأشجار
لقيتك في بلد الأحزان عروسا
ناديتك في الليل حبيبة
قليل إن القارب يغرق إذ يتمايل صاحبه
وإن البقرات يمتن وأنت الراعية السوداء
إلهي ليسدل شيء فوق المسرح
كل الأدوار ارتبكت .

* * *

مرثية لأنهار من الحبر الجميل

الشهيد ناجي العلي

يسافر في ليلة الحزن
صمتي غيوما تبعته ممطرا
واشتريت دروب المتاعب
ألوي أعنتها فوق رسغي
ليالي أطول من ظلمات الخليقة
(خال سوى من فتات من الصبر)
في ركن زاويتي
والدجى ممطر
أأنت الوديع كساقية
من خبايا الربيع
قتلت ؟!
وغص بنعيك من قتلوك
كأنك مقتلهم .. لا القتيل
لم استفردوك بقبرعدو وراء الضباب
وفيم تساءلت ذات مساء من الحزن

عمن سيأخذ ثأرك
هل كنت تعرف أن الرجال قليل
هل التصفيات بديل عن الأرض
والفشل المستمر
وأي مقايضات تلك
خير الرجال
بشر النقود
ومن شركاء الجريمة
ما هذه المسرحية بالدم والنار
تبكي التماسيح فيها
والصبغ سال على أوجه البعض
ألا ننتهي
صار صوت الملقن
أعلى من البهلوان المهرج فوق رؤوس الجماهير
هل سوف تخرج مما على نفسنا
نتضاحك
أم ستعاد الفصول
يقولون :
يا زهرة الحزن ! مت
وضاع أريجك خلف الضباب
وأغلق عكر جميل

من الحزن والاحتجاج الطفولي
عمر حكيم من العشق
تحضن في جانحيك فلسطين دافئة
كالحمامة
تطعمها بشفاهك
تسمع نبضاتها
تتضور قبل تضورها
تحرث الأرض والطب والصيدليات
تبحث عما يداويكما
ترسم صمتا نظيفا
فإن المدينة تحتاج صمتا نظيفا
وترسم نفسك متجها للجنوب
البقاع
العروبة
كل فلسطين .

* * *

من الدفتر السري الخصوصي لإمام المغنين

الليل كمستنقع فجر يتبخر بالأبنوس
يمسح بالماء الغسقي على جسدي الخامل
وعلى الجوسق من زنديك
أعض بنفسجتي
وأصابع كفي تموء على الدفء البشري
وفير لحمك يزداد معاشرة
وبرودات الموت تراودني
تلقي كفيّ على كفيك
فنمسي نعشا يجمع كل ثياب الأعراس
ونهوي في عبق
عبق
عبق
عبق
ومن الكوة تنبجس الشمس
وتدفع فوق الجسدين النكهين
كفاكهة ناضجة

أكداس ندى ملتهب
والقوس الذهبي الصرف
يكاد يمص جديلتك الخضراء
فتقدح فارسة في الليل
ويفتح في الوعي نظام من ألق
ألق
ألق
ألق
وأضج كمستنقع فجر
يتبخر بعد صلاة الشهوة بالأبنوس
هذي اللحظة من لحظات التدنيس الطاهر
في الفردوس
لولا ندم ساور آدم بعد ضياع الجنة
لاندمل الجرح الطازج في حواء
وكانت جنة وحشته
والنهد أضاء كفانوس الزفة في المطر
وترنم هذا المتوتر بالنبلة والقوس
ما أصعب عودة هذا الحيوان المتكبر
فوق سرير العرس
بفروتة صوب رحاب الفردوس
يا آدم كن بهيما والليل بهيم

خلصت صحراء العشق
فإن همت الآن
فأين أهيم
والسرطان الكوني يقلب أحجار الياقوت بعينيه
ونهر الروح يضج بزلزال منقرض
ومراهقة لبح الله النور على رفغيها
في فرح
وتشهى أن يبدع في غمازتها لثلاثين ضحى
وأتم الإبداع بوخزة ليل
تفرز من غير مواعيد عسلا
ولكم أعمى بين عيون الأيل والطير على
غشيتني غاشية الرؤيا
لأتم اللحن الملكوت بأوتار مقطعة
يا من يسمع لحن الألحان بلا وتر
والخمر تدار بدون نديم
والليل بهيم
والروح سديم ضد سديم
في الليل سألتك يارب القيثارة
أن ترخى للكسل العذب مفاتيحي
أتعبني لغط أصابعك الغولية
بالشجن الديني علي

وإلحاحك أغواني
وتساقط نار الأحزان على خشب أحرقني
ووقفت حزينا
لا يشبهني إلا الناي
أرح الروح تعبنا تعبا يا مولاي
الناقة خاملة
ونشاط الروح تثبط مرات
وقدحت حصاتين طوال الليل فما اتقد العشق
ولا اشتد حماس الروح
إياك الصبر علي
وثوبك يكشف أكثرمما كنت أبوح
فلماذا تبكين إذا خمد الموقد واكتظ رمادا مثلي
وتدبق عيناك كحوصلتي قبرتين تشفان بهاجرة صامتتين
أنا بيتك . . إني في الليل مغطى بالقرميد
سأكون الليلة ملكك
أما بعد الليلة فالنجم يكون بعيد
قلبت كتاب الموت وكان في الفصل الأول اسمي
يتتوج بالزهر الأسود والهجر
وعلى آخر فصل اسمك . . تاء طفلة شقراء
وتحت طقوس التعميد
سأكون الليلة

ملكك صرفا
أما بعد الليلة فالنجم يكون بعيد
وقبل نهوض الغسق الأزرق
نفتح كفينا العرقين قليلا فقليلا
كالكهف
ونهوي الريح وأصوات البحر
وهسهسة الغيب المجهول
وانفك يرضع فوق قميصي
بعد قليل تبدأ أشرعتي
ما عاد المكث يلائم روحي
لا ترتعبي . .
فزنا أرسم فوق ثياب النوم الملتاعة
فوق خبايا جسمك كل جروحي
أرسم في دفترك المسودة كل جروحي
لا أبقي جرحا واحد لي
أنت المالكة الآن . . وعيدك يملأ كل الأعياد
في الصبح أنا للناس
وفي الليل أنا للمطلق
ماذا أفعل
لا يشفع لي جسدي
وأنا أشفع للأجساد

فماذا أفعل
وقميصي بيرق مقبرة للضجرين
ومأوى لعصافير ليس لها في الأرض بلاد
وعيوني قبابر حمراء مبللة
حنجرتي تتذوق كل الأبعاد
هل عمرك ذاق لسانك طعما واحدا للبعد
فمن أنت
لماذا النشج
لما صوتك صوت قطاة في البر
عشيا تسمع قصة ذئب
أتخافين من النجم القطبي
أتخافين من الريح وراء الشباك
أتخافين دلافين البحر
أخاف أنا
وأغالب هذا الخوف بتحريك اللذة في زندي
فتمسي الفقرات إذ ذاك نيازك حمراء
وخضراء وسوداء
أصير مفاعل ذرى أكتظ مواعيدا
ونكبات وتوابيتا
أقفل باب الوهم عشية غادرت سريرك
يا سيدة الوهم فأين أبيت

موت واحد علمني الدنيا
ونبي واحد علمني الإلحاح
وحمل قناديل الرؤيا
أراني الدرب السري لحصن الموت
فما ائتلقت في جدل في الليل
كما إذ ذاك قناديلي
رأيت وجوها في البئر الروحي
.. هتفت ..
إذن سأراكم
فاختلج البئر وغابوا
فتح الباب ..
وثم طلاسم فوق الباب
طيور من فضة سوداء
يتابعهن عقاب
وكان هنالك دهليز غموض ينزل في الغيب الموحش
ثم يضيق ويلتف دهاليز
هنالك عريت وعلق فوق عظام لغريب كفني
نهشتني أنياب لا فك لهن
تركنا تسوسهن قريبا من حزن الروح
وماجت في العفن الزفر
عناكب تتناكح فوق وجوه الموتى

تثقب جفناي بيوتا للنمل الأحمر فاستأنست
لأن العالم أكثر من ذلك عذبني
ونزلت وكانت ظلمة روحي تكتظ
وتنكشطت الأعماق بخوف من أزرق لازي
ببنفسج أبيض سري
مؤتلقا في حلقات ينطق وصلا ءعناقا
وعتاب زمان طال بلا تجربة
والتف الهمس علي كزند عروس
عبق .. دبق .. عرق ..
كشف المحجوب
وحمحم فى الزمن المغلي حصان أبيض
طفل عسلى الزيل يسلط عينيه علي فيغسلني
وأرجع طفلا
ويصير نزولي إذ ذاك صعودا في ذاتي
وترامى الهمس السري
تأمل في ذاتك أنت الصفر إذا شئت
وأنت الرقم اللامتناهي
أخذتني الغيبوبة شوطا جدليا
وتمازج وحي الألوان ووحي الأجراس
وأوشكت أراك فأنت إلهي
أفيرتج عليكم هذا المعنى

فهنالك نهر فاغتسلوا
وتعالوا في الليل بهذا العري المطلق
فالباب سيفتح ثانيتين لمن خف
ولمن تابع جسد امرأة
من تحت الأذنين إلى الشق الفاسق
بين الخنصر والبنصر في قدميها
المدنفتين من السقيا
كشف المحجوب دعوني الآن أتم الرؤيا
وتندى وجهي . . عرقت شفتي
والتهبت عيناي
كما كرتين من اللهب الأزرق تتقدان
بدمع زيتي أخضر
وانغست قدمي بسماء أخرى ونظرت
سماء تحتي وسماء فوقي
وتعجان عواصف أكثر من شبق
وشجيرة نور كان العشق
وكان الموت مجاري أرضية تحمل جيفتنا
لمحيط البهجة والضوء
وألف لسان في الجيفة منغمس . . فأشحت
وكان مصير الإنسان من القسوة كالوحش
يقود الأجساد الحلوة فى وحل الموت

ويتركها تتخمر فى المخمر بضع سنين
إلى هذا الحد أبيح لي القول
وإن كنت رأيت وراء السر
فإن العودة للإنسان وحمل السيف مع الفقراء
هو الله جميعا
وابتدأ اليوم الأول في الدنيا بمظاهرة
وحجار وملفات
ومراهقة ترسم وشمين على زنديّ بعود أخضر ريحان
يزرع دغدغة وأنا أخضل وأخرج من حلم
وأكاد أجر الحلم وما فيه من الزنبق والأطياف
إلى الشمس ورائي
أوشكت . .
ولكن أول زنبقة خرجت لليقظة أفزعها عالمكم
وارتج عليها
فالخارج من حلم لا يرجع ثانية
والداخل في حلم لا يرجع ثانية
جمعت ندى الليل على زندي المخضلة بالتفاح
لأمسح عفتها بأصابع عاشقة
فأفاضت عسلا
أورث كفي مراهقة وهوى باللمس
وحين تشدان على وبر نسوي في الليل

تمجان روائح خضراء
ونكهة تبغ محترق
وتضج أفاويها على الرفغ
فأخرج بالرحمة من أجداث الخوف كأيوب
من الكهف كأهل الكهف
غريبا تتفرس فيّ صبايا لا أعرفهن
فأهوي واحدة بالعشق
أنا أقدم من كهف
وثمارك قبل النضج قليل فأحببني
ليأت البحر
سأغسل من منظري الكهل
وأرتد إليك رهيف الخصر فتى مكتمل الصبوة
أنساب عزوبة نهر في الصيف
وأخجل منك
وعيناي كما فرح المرجان من الرغبة والحس
خذني لأنام لديك
لعل ضجيج الجسد الدافئ يشفيني
وخذيني لننام سويا فنجوم البحر تنام سويا
ناعمة البال مرصعة باللؤلؤ
تغترف الحس بصمت
وتناغم مشبوبا حذرًا كالوعي

كأن كيان اللذة بح ممارسة وتفتق تجريدا
وتماوج في الماء ليسكن عمق البحر
يموج برفق لا يوقظ هذا العشق الأبدي
نجوم البحر تنام سويا
وأنا في الوحشة أطوي الزمن الأسود
مثل فنار يلقي الضوء
وليس هنالك من سفن قادمة في العتمة
وآخر زورق عشق فارقنا منذ قليل
يحمل تابوتا عبقا طفلا
أستحلفكن صغار الموج
أستحلفكن كبار الموج
تهدهن التابوت برفق وتمهل يا سحر
أي فنار أنت
تضئ تظل تضئ وتنتظر
أفما أنت تعبت
تلف على نفسك كالدائخ في الظلمات
تستجدي الليل وما خبأه القدر
ما بال ضيائك يلتف كالدائخ في الريح
أما من حجر ترتاح إليه
تعبت .. تعبت
وما صادفني الحجر

وتعبت فمن أنت . .
لماذا النشج
دموعك أبصال نادرة . .
والرمل زوابع في روحي موغلة
تحتفل بالبرق
فما أوحش أن يؤذن بالبرق
وينشج في غير مواسمه المطر
أعشق فيك اثنين
نقيضي وموافقتي في الحلم
إذا بالغ في ترجمتي السفر
من أنت . .
تجيئين إلي عروسا خائفة الخطو
وتحجبك الكلمات
فماذا تنتظرين
أنا حجر قذف البركان به الغيب فأفلت ملتهبا
تتباعد عنه الأفلاك
فبالغ في البعد وبالغ في القرب
وبالغ ما بين القرب وبين البعد
رأى ما ليس يُرى
وانطفأ الآن فماذا تنتظرين
سيحزنك اليوم لدي

ويحزنك الليل لدي
فأحب الأحباب لهذا الحجر المطفأ قد قبروا
لا شيء يعيد الرونق بعد الآن إليه
سوى الرعد البشري يدوي في الكون
ووقفة قامات الفقراء على آخرها
ونهاية عقد الغيلان على الأرض ويبتديء البشر
متى يبتديء البشر
شوهتي الجزر وإن كنت أقاوم
شوهتي الجزر متى يبتديء البشر
لا شيء هنالك في أفق العالم وأسفاه
سوى بعض بصيص
تخلقه الظلمات
مخافة أن تندلع النار
وتحتدم النذر
ومن الغيب هديلا تأتي الأحزان
كخفافيش وخشخشة مبهمة تعلق في القلب
طلاسم سوداء وتندفع الأحلام مراجل للزفت
فراش أصفر يصحبها في طريق الليل
وثم غراب كف عن النعب
وتصبح كفاي العاشقتان عناكب
تصطاد ذبابًا وغبار الطرق اللامرئية فوق حذائي

جربت ثمار اللذة حتى امتلأت برماد أذناي
وأعقاب سجائر سيئة التبغ
وقبلك أطفأت على الدكة أخطائي
وأسلمت مآزري الذهبية للريح
وجئت قراحا
فخذاي امتلآ فواغي تفاح وحشي
لونه النوء
وأحمل بين يدي قلائد من ذهب الحكمة والشمس
أبلغ رؤيايَ وقد شحبت حانات العمر ورائي
لقد بالغ هذا العالم في إيذائي
ألهمني لغة الأجساد صغيرا فقرأت وراء الحرف
وما في النقطة من كتم ونما جسدي الفاضح
وازداد العالم تنقيطا
فأخذت أفض النقطة بعد النقطة
كالآيَل في الغابة يقضم زهرا
وإذا ميسم زنبقة للتو يمج نقاطا من عسل
رغم لهاث الخنجر
لا نخضع للجسد المسعور ولا تفتض
أحسست عيوني تدحرجتا
من كل جهات كنت أرى
أتعثر من كل جهات

فالخالق بالغ في الغمز هنا
مقتصدا ما يقدر بالبذخ
نجّد ما نجّد فالجسد الباذخ أعراس
سأعض الغمازة إن سمح اجسد المزموم
وأترك من لذة أسناني خندق سم لحراستها
وأعود ويعرفني الحراس
آناء الصبح خذي الكوز إلى دجلة فرعاء
وشعرك محلول للساق
وزندك مكشوف بالعضة للناس
ما ينمي اللذة أن يتقول فينا الناس
سيعيرك الناس بأن فقيرا مثلي راود زنديك
دعي العضة إذ ذاك تكلمهم
فالعضة مثل . . . يتكلم في المهد
ومن كان نبيا يتعذر فيه المقياس
لا أملك غير مسدسي من زمن الترك
نقشت عليه تواريخ الجوع
تواريخ الهجرة في طرقات الشام
أسيماء حبيباتي في الكرخ
وأصوات رجال كانوا الأصدق في كل العمر
تحكم فيهم نسناس
يا وطني يتحكم فيك النسناس

يا وطني الأرضي جرعت الغربة حتى القعر
فالتفت عليّ من الدهشة والألم الكأس
من كان نبيا يتعذر فيه المقياس
أقفلت الأبواب وصلى في الناس صلاة العهر الحجاج
فكبر للعهر الناس
حرّف في قلب المسجد قرآن الفقراء
وخص الأقرب فالأقرب بالخمس
كذاك الدنيا أخماس
وقفوا بين يدي الحجاج
فصحت على أشرف من فيها
والله وكان خصيا يحمل سيفا فاربد
قد يخصى القلب من الخوف وتكثر فيه الأرجاس
يا أهل الكوفة . .
لو سيف واحد بالحق يسل
سيقصى الحجاج
ويعتق هذا التاريخ العربي من الذل
فماج المسجد . . صاحوا
يكفر بالحجاج
فكيف لماذا . . لا يلقي القبض عليه الحراس
صرخت بهم
لا يلتبس الأمر عليكم

هذي إحدى طرق الحجاج
فما بال الكوفة تنسى
سكتوا وأطل علي من الأعين شرك إفلاس
كان الحجاج يطل على المسجد من فوق المنبر
يقلب أرواح الناس بكفيه
مكتنز الجفنين من الخبث
يسرح لحيته وجيء بصحن عبري
صف عليه رؤوس الشهداء
وعب المسجد وأخضلت بدم الشهداء
لحى تهتز ببسملة الله
وجيء برأس فلسطين وزنديها
فالتم عليها ذوو النهى
يكشف كل عن عورته
وكنت أميز بين النهمين
بنانة كافور وأبرهة الحبشي وعمرو بن العاص
وأجداث مسيلمة الكذاب
وحاكم مكة والقانون الجائر في البحرين
وقابوس
وكل المأمورين بأمريكا
فتعوذت . . وصحت
ستؤكل والله فلسطينكمو

ونستجدي في الطرقات
وقمت .. توضأت .. وفوضت بأمري للسيف
وأنا في النوافذ أتبع طير الصدى
ثم تخفي الطريق القديم دموعي
وتمطر .. تمطر .. تمطر .. تمطر
في الحدس تكتظ جمجمتي بالشقائق
والحدس والفكر والليل
وتمطر .. تمطر .. تمطر .. تمطر
تعشب كتف قميصي
ويعشوشب المفرق الأنثوي الرفيع المميز
لامرأتي بين كل النساء
وتذهب كل الخفايا الخجولة في مرقد الليل
حيث الحفاء الوثير يؤدي إلى سلم لؤلؤى
يؤدي الى حلم
حلم يستفيق على بركتين
وفي البركتين هلام يشف على وحشة وافتراس
هنا يتكون والانتفاض اللذيذ يصير جنينا
وتمطر .. تمطر .. تمطر .. تمطر
والشبابيك ليست هنا
والندى الفستقي يمسح وجه ضياع الجنوب
ويتوجها الكرم والتين والحب والذكريات

على باب هذا الجنوب لدى كل حلم يبيت
وكل نجوم السماء بنات
ويستل جرح الفراشات والنوم في برك لا نهائية
يحبس الحسن أنفاسه إذ يخوض بها
والقرى خلفها مطر
وأنا في النوافذ أتبع طير الصدى
ثم تخفي الطريق القديم دموعي
وتمطر .. تمطر .. تمطر .. تمطر
تبدو كتابات روحي ثانية من وراء غبار الخريف
وتورق لاماتها
تورق النون .. والواو .. والراء .. والسين ..
تورق لاماتها
لم تزل هذه الروح كوفية الخط
مغرمة بانتهاك قراصنة الليل
بين اصطفاف البنفسج والفخذين
وركب الخيول المنحاة صوب بخارى
وفي الليل يجتمع الحلم فيه
ويترك في قراءات نوم العصافير
أن العصافير في كرمة في الجنوب سكارى
أحب الجنوب لشيئين فيما يبوحان كتمهما
قد بذلت القصارى

وأطل من البوح كتم يشير إليك بإصبعه
ويدل وأنت وغيرك فيما يبوح حيارى
وحين تنامين يلوي النشوء بأعناقه
وتشف على بعضها الغفوات
وفي أولات المواسم يبتدئ العشق بين النعاج
ويعشق من يفسدون النعاج الرعاة
وحين يروحون في الشرق أبقى وحيداً
وتنتشر الخلوات
وأحلم أني على صهوة المهر
أقطف تفاحة وأخبئها
بين نهديك خضراء
تنضجها الشهوات
وبين الخلائق من يخلقون النواة
وأما الكثير فقد خلقته النواة
وتلك معادلة صعبة
وأشد الصعوبات فيها الثقات
وأني على مطلق الأمر أعرف كل نواة بتاريخها
وأعرف كيف تمد إليها اليدين الحياة
وكنت مع الحلم أحلم أحمل فانوس كل نهار يجيء
أواصل سكري بالكون من دون مزج
ويربكني أن أقوى الخمور الرديء

وأغسل حنجرتي بالنبيذ
ففي القلب حزن جبان
وحزن جريء
لكم عذبتني الرياح تغير وجهتها دون سابقة
والفراق دنيء
وكم أنت رغم الوضوح خبيء
وكم أنت مثل جناح الفراشة في الحلم زاه بطيء
وكم أنت تعشق رأس الحسين
الذي فوق رمح ولا يستريح
تأبى الذوائب مذ ثبتتها الدماء على غرة أن تزيح
ومن ثبتته الدماء محال يزيح
دعوتك أنت المعلم إن كان علم
فتلك الجروح
ألوف .. ألوف ..
ألوف وراءك في السرب سارت
لينهض شيء صحيح فما نام إلا الصحيح
يباهي اليسار الصحيح
بأنك في قمة قد حملت السلاح
وغاليت في مبدأ اسمه سلطة الفقراء
وهذا غلو صحيح
يلومون أني أنفخ نار التراث

أنا أرفض الخردوات من الفقراء
فثم تراث وثم فحيح
لقد ظل قلبي أمينا لمعدنه معدن الفقراء
ولي أمة طالما كل ناس لهم أمة
مدية . . طالما كل ناس لهم مدية
لغة . . طالما لغتي تشعل الأبجديات عشقا
وصريح
أحب زوايا عيون النساء صريح
وأمقت من يشهرون النصوص سيوفا
ومن يكسرون النصوص
كلا الانحرافين ريح
وأمقت . . أمقت . . أمقت من يشهرون الحسين
لغير الوصول إلى ثورة
مثلما جوهر الأمر فيه وإلا جنوح
لعل الحسين إذا ما رأى طفلة في شوارع بيروت
تنهش من لحمها الشهوات
وثم شظايا من القصف فيها سينكر مأساته
والجروح على رئتيه تقيح
يقولون من أمها وأبوها
فقلت الجنوب وتاريخه والبيوت الصفيح
وعدت اعترضت

هو الجوع أكبرآبائنا الثائرين
ومن كان هذا أبوه تغلب فيه الجموح
متى ما يوزع هذه العمارات للفقراء
وتجزر ألف انتهازية
والسلاح يقوم أداء لمهمته سيقوم المسيح
ولست أبشر بالحب إلا عنيفا
وأن أستريح على ذلة وأريح
كفاكم نزوحاً وإلا فما ننتهي
ويسد الطريق على المدعين النزوح
هناك فداء وليس فدائيين
لا تخدعوا بفداء بغير سلاح
وكل التخاريج في غير هذا التفاف صريح
ومن أخطؤوا ليس عيبا
بل العيب أن تبتنى فوق ذات الصروح
ولست أخاف العواقب فيما أقول
فإن الشهادة من أجل قول جريء ومعتقد
قبة وضريح
إذا كان بعض يفكر في النيل مني
فهذا أنا
لست أملك إلا القميص الذي فوق جلدي
وقلبي وراء القميص يلوح

خبرت الخليقة سطحا وعمقا وطولا وعرضا
فكان أكبر درس تلقيته
أن أكون فصيح المحبة والحقد
فالعصر جيف صريح
متى تنهضون
لعنتم على الركض خلف كروش الزعامات
فيما الزعامات باعت ذبيحا وحيا
وثم هنالك صفقة أرض
فكونوا على حذر البندقية
فالديك سوف يصيح
بحق السماوات حتى إذا الديك صاح على خطأ
فهنالك نار
وحين تكون الشرارة حقاً وليس كلاما
فإن الهشيم العظيم يثار
إذا كان بعض يدين سماع الغيوب
سمعت انفجارا سيأتي
ويتبعه في الهدوء انفجار
رثيت الذين تتاح لهم فرصة أن يكونوا من الثائرين
ويدفنهم في الجحور الغبار
لقد سافر الحلم قاطرة والشبابيك لا تنتهي
والوداع استمر تخالطنى نكهة المشمش المتأخر

ثم لمحتك في آخر العربات ولم ينتظرني القطار
لقد بالغ الانتظار
ثوى في السقوف الحمام
ومازلت في سكة الحلم أحلم
أحمل فوانيس كل القطارات
حتى أطل النهار
وفي أولات المواسم تصبح روحي بدون سياج
ومفتوحة لهباء الشتاء
ونوح السواقي ورجع الحمام
وينزلق الدمع تلقاءه من وداعين
تما إلى غيرذي رجعة في الظلام
وقد نلتقي
إنما القلب ودع شيئاً كثيراً
وودع أكثر لما رمته المرامي
لي اللّه في غربة
ما خفضت الجناح لغير الأحبة فيها
وفي يقظتي والمنام
يفتشني الحزن في كل ليل
علام يفتش هذا الغراب الغبي بهذا الحطام
وقيل أذل من الجوع
قلت أجوع يا سافلين

وأزرع في الشام طيب انتسابي
لقد سافر الحلم قاطرة كلهم ما ودعوني
كأني مررت بألف حطام
على فجأة كانت الريح مجهولة
قطع الحلم كان مذابل رسمية تقرع الزفت
وضعوا قيدهم في يدي
ذبحوا هودجا من قطا
علموا فوق قلبي بأختام خيل
وكل الحدود التى رأتني
اشترت علكة
وتباهت بخصيانها ساعتين أمامي
لكأن القيامة أهون من مركز في الحدود
وشبر من الأرض مصطنع بين هذي البلاد
وبين الشآم
وفي أول الأمر علمني الحزن كيف أحدق فيهم
وأزوي فمي الشبقي كما سمك الليل
لا شيء يجدي
لقد سار كل صليبي
ولا شيء يرجى
علمني الحزن كيف أوضب فى التافهين
علمني الحزن كيف أبول على الشرطة الحاكمين

فإن غضبوا
بلت ثانية عليهم
هذا زمان البول فوق المناضد والبرلمانات والوزراء
أبول عليهم بغير حياء
فقد حاربونا بدون حياء
متى تنتهي كل هذي الفوازير والنشرات الرخيصة
والمخبرون الغلاظ الوجوه
كأن مؤخرة لمريض يوسخ من تحته
عالم أي عالم هذا
ومرضى . . ولكنهم أي مرضى
تصافح لؤما ذنابى عقارب والسم يغلي
وكيف تحب العقارب ليلا
وسم العقارب في الليل أمضى
وكيف المساواة بين الحفاة وبين العقارب
لا أفهم العهر هذا
ولا العهد يرضى
يقولون تسكر قلت بخمرى
رغم اعتراض المواخير طولا وعرضا
عجيب حجار المراحيض يظهر طهرا
ويزوي على بعضه والهزائم تفرض فرضا
أأمشي على راحتي لأقنع أن هزائمكم تلك نصر

وأخلط بين المياه وبين السراب
وفي أولات المواسم يحتدم القلب من زهرتين
تمسان بعضهما بارتعاش .
وأصبح سلكا بلا عازل في الظلام
وانتظر الزائر الأرجواني يغمسني كالطباشير
في حبره الأنثوي
ويكتبني نورسا لا بلاد له
غير دهشته بالطقوس وما أهملت من دموعي
وعشاقي في دفتري وثيابي
لقد طرزتني البروق من الأمس هجرتها
ثم لج على طلعتى في الربيع الظلام
وكل العصافير قد مارست عشقها في رفوفي
فبعض الرفوف تثير الغرائز دافئة في حنان
وبعض الرفوف تنام
ثلاثون ما نام رف بقلبي
ولا عدت أعرف ماذا يفيق وماذا ينام
وما قلبي ينام
وشيئا فشيئا خبا الرقص في قاعتي والمرايا
وخف الزحام
وغادر آخر من أصطفيه
وفارقته فوق جرحي ابتسام

وسافر صحبي على ناقة الله ما ودعوني
أيا أيهذا الغبار الذي خلفوه سلاما
مساء غد ينفض النخل أزهاره
وفي سواقي السعال على رئتي
ويرشرش حزن قديم تراب المقابر قدام بابي
فقدت الكثيرين ممن أحب
فصرت أمت كثيرا لهذا التراب
وها أنا أقفل في آخر الليل
والمدمنون يقولون كانت هنا حانة
يسكر العشق فيها
وغادرها مثقلا في الضباب
لكم مدمن أيها العشق على حالتي
وتحب عتيق الشراب
ولست أرى الآن صفصافة
لم تكن في الطفولة بيتا لروحي
وعشقا ألاصق أوراقها كالجنين
وكل الدروب المحناة بين البساتين تصغي إلي
وفي آخر الحلم أملأ عبي بصوت الشحارير
كنت شقيا تفجر روحي الدروس
ولكنني الآن بين دروس السفالات أشقى
أقاوم حرب المواخير

في غابة من خيال الحشيشة والجعجعة
وتفرغ فيها الطبول
فإن رحب البحر أنزلت الأشرعة
ففيم الرهان على خاتم الأشعري
ففيم الذهاب لجلب الضحية للمسلخ الدولي
ولف العمامات زيفا علي القبعة
متى كان فى لحية النفط أو في الزبيبة من شرف
أيها الراقصون لهم كالقرود كفاكم ضعة
فما ترجعون بغير سلاح وكشف الوجوه بلا أقنعة
حزين . . أحاول أن أعبر الآن كل ضجيج الشوارع
مرتبكا من مجال السياسة والجاز
تدفعني كتل لا وجوه لها
والمظلات ذات الأسى النرجسي
تحوم على الليل حلم
أتغلف وجها من الأزرق الناعم المستفيق
وكأرنبة ولدت توها في نهار صبوح
بكل أناقة أرى وجهي وغربتي وقروحي
وتصعد بين المظلات صوب الوجوه الحزينة روحي
وأعرف وجها يفرح قلبي به
وأكشف بين يديه التي تعرف اللطف كل جروحي
أريه بأني حين رأيت الذباب يفقس

في قلب من يعرفون هواي
تركت طموحي
وأرسيت بين القوارب قارب حزني
ما عاد لي أنيس سوى دفتري
والذي يعرف الحزن يعرف كيف تعذر وزني
حزين أحاول أن أسأل الحزن ماذا يسبب حزني
أرى صراعا وحماسا جبانا وحشدا بلا أي إذن
وحشدا بلا أي أعين
تعج شوارع هذه البلاد بحرب انبسوس
وليس يوزر إلا المحاسيب فيها
فيأتي الخليط بلون ويصعب تحديده أي لون
ويفتح فيها الرصاص منابزة بين ال فلان و ال فلين
وبسند هذا بقصف العدو
وبسند هذا بقصف الحكومة
والحكم للاحتكار المنسق ما بين بين وبين
فهم مستزلمون ومستخنثون وبعض توزع في الجانبين
وتفتك فيه المصارف خشية دين قديم على الأغنياء
ودين الفقير على آكلي لحمه ثورة تعتلي كل دين
كأن الصيارفة اتفقوا على أن يدك الجنوب على أهله
ويقدم من لحمه طبق اليوم
بين الطناجر والخمر والمتخمين

وقدما لقد أفرغ الأمويون خمرتهم فوق رأس الحسين
وأشياء . . وأشياء تجمع بين الجنوب ورأس الحسين
وبيني
وأشياء وأشياء تجمع بين الخيام
وبين الفدائي وبين الجنوب ورأس الحسين وبيني
ألا لا تخافوا فما قلة نحن
كل انفجار يضاعفنا
ولذاك يقوم الرهان الكبير على بغلة الدولتين
ستدمغ جنبا إلى جنب
حوافر كل التيوس على صفقة الأرض هذي
ولرب دعي شيوعية سيصلي وراء اليماني في الحرمين
وليس كثير على سمة العصر
في أن تقوم التراويح بعد صلاة العشاء
تبرأت من كل هذا العجين
وهذا لمن يدرك الباطنية في العشق بعض انتمائى
أنا أنتمي للجموع التي رفعت قهرها هرما
وأقامت ملاعب صور وبصرى
وأضاءت بروج السماء بأبراج بابل
أنا أنتمي للجياع ومن سيقاتل
أنا أنتمي للمسيح المجذف فوق الصليب
وقد جرح الخل خد الإله على رئتيه

وظل به أمل ويقاتل
لمحمد شرط الدخول إلى مكة بالسلاح
لعلي بغير شروط
وللربذى يدق على قحف كى غني
فما زال منهم كثيرون حول معاوية يضربون الصنوج
ويرعون شأن الحروب
أنا أنتمي للفدائي . . ولرأس حسين . .
وللقرمطية كل انتمائى
وللماركسيين شرط الثبات مع الفقراء
وشرط القيام بها بالسلاح كما هي أصلا
بدون التفاف ودون رياء
وشرط يقال على خفية للجماهير صاحبة الأمر
لا ينهض الأمر إلا بحد السلاح وحد الخفاء
ولست لأخلع في شدة صاحبي وأعود إليه بخفي حنين
كما الأشعري فإني مقيم
وتبا لمن كل يوم يبدل من نفسه مرتين
وإني ألمح لا تسألوني
فخط التراجع نحو السلاح عريض
فيا أخوة في السلاح خذوا حذركم
فوراء الحياطين ثم حوار بغيض
تحيد فيه الفقر تمام الحياد

هو العالم من فئتين
هنا الفقراء على جوعهم واقفين
وخلف قلاع الخزائن يجتمع الاحتكار وإزلامه
ويمارس بعض الزنا بالسلاح
فمال بفن وعهر بفن
وليس خلاص بغير الرصاص الذي علمته التجارب
لا بالرصاص الغبي
فثم رصاص وثم رصاص تجني
أأجمل من نخلة حملت فتسند عذق على سعفها
ويمامة ظهر تدغدغ منقارها تحت جنح حمام رحيم يغني
وأنهار في خاطري وبيوت قديمة
ظلت تضيء على بعدها
والزقاق يلف بقلبي
والشبابيك ممسوحة بدموعي ودالية
إلى بيت عشق قديم
ومسحة حزن بلادي العظيمة
بالرغم مما تجنت وما شردتني
كأنك أنت هنا ما تغير شيء
فنفس الجياع ونفس الفئات التي طاردتني
ونفس الدموع ونفس النساء ونفس الغلابة
وفي أولات المواسم كنت أعيش على الحبر والطل

والانفساح السماوي
والبقر البرتقالي يحرث في الصمت أرض الكآبة
وأمي تعلم أطفالها مثلما علمتني
بأن الحروف البسيطة شيئا فشيئا تصبح كتابة
ثلاثون عاما كتبت على كل شيء
فيا من يعلمني كيف أنسى الكتابة
وأرجع صرخة روح بدائية لم تلوث بأمراض جدرانكم
تخدق في كل يوم بنفس الرتابة
سأرفض لكنما الرفض وعي وتعبئة وسلاح
وليس التردد بين الخلافة والقرمطية
أو بالترجرج بين الصحابة
وأرفض لكنما لست بطرس قبل صياح الديوك
يسب المسيح وبعد ارتفاع الصليب تكون الجموع احتسابه
سنرفض عن ثقة
بأن هذي الجموع تميز بين الهزيل وبين الرهيف
وتكره من يرفضون على ظهرها بالكتابة
لا شيء غير الكتابة
يقولون شورى أيا شوهة بوهة
أي شورى
قد قسّم الأمر بين أقارب عثمان ليلا
ولم يتركوا للجياع ذبابة

وكيف تقام على كل ذاك النظام فلسطينكم
بل أقل كثيرا
أنا ثكلتني الثواكل إن كنت أفهم هذا
وأنحاز يوما لغير الجماهير
ليست الطريق طويلة وإن هلكوا
ولابد يوما كل يقدم حسابه
نوارس فضية في ضباب الصباح
على ساحة البرج والروح محبوسة
بين أيدي الصيارفة الميتين
وبؤس المقاهي
وهمّ خفيف يحرك حزن الستائر في عرس قلبي
وإحدى البغايا تصلح ما خرب الليل من وجهها
ويثير النسيم الخريفي شيئا من الروح ما زال فيها
فثمة من الله شيء بكل النفوس يثير انتباهي
تحاول أن تستفيق الأنوثة فيها ويحبطها عابر محبط
كل ما فيه من رجل عورة كالحكومة
إن الحكومات في الشرق تكملة للملاهي
وجدت بغاء الأزقة في البرج جوعا
وحرت بمن يقفون صفوفا على الجوع
جوع سيأكل جوعا
وما زال بعض النوارس يجتاز نخل العراق

المثبت في ساحة البرج في نشوة
والقوافل تمشي حزينة وبعض المدائن
تغرق من أحزانها
إيه بيروت
أنت أشد من الحزن في هذه الساعة الأبدية
اعتبريني عشيقا لما تكتمين وقولي لماذا أنت حزينة
وتفرغ فيك البواخر أحزان كل الموانى
أم أنه البحر والريح والضجر المستمر
وتأوي طيور اللغات مزقزقة لشواطئك
ثم تحب . . وتنسى تواصل هجرتها
وتضج الفنادق والعربات وكل سقوف المقاهي
وفي كل بيت بكل اللغات لهز مقر
ولكن لنا لغة إيه بيروت . . أم
ولا تملك الأخريات حنان المنازل فيها
فما المرضعات كما الأمهات
وأحلى اللغات الأبر
حليب الرضاع يفي
وحدو القوافل والخلجات الخفية في الروح
والأهل . . شام . . عراق . . حجاز ومصر
وكل الكواكب في العالم العربي
الذي في خضم الحروب على الطبقات سيرفع قسرا

فلابد في لغة الطبقات الفقيرة قسر
حلمت بأن الجموع سترفع بيرقها العربى على ذمم
الكادحين
وليس ببيرقها العربي
على خوذة العسكريين والأغنياء
وشعر لعمرك تلك المسيرة شعر
وما يتحرى الضمائر كمفترق يتربع من يتربع فيه
يتقاعد من يتقاعد فيه
وتبقى المسيرة هادرة في خضم المعارك
طالت أظافرها وخناجرها ولحاها
ليافا التي اغتصبت
اسمعوا صوت يافا تزغرد
رافعة دمها بيرقا بانتظار المسيرة
واستبقوا صوب حيفا قبيل العشي
ولا تنصتوا للذين ارتشوا
قد عرفنا الطريق وأن الكرامة جسر
إلهي .. إلهي .. إلهي
وويل لمن يتأخر
فإن النداء لأوضح من مشرق الشمس
قد أخبرتني سنونوة أن نجمة داود قد أفلت
وهو يحتضر الآن فوق عصاه

وتنعشه مواكب الوساطات والانتظار
وإن الوساطة في آخر الأمرعهر
تقاعد بعض على نصف ثورية
ونظَر أن التقاعد مرحلة قلت كفر
لماذا هذا المزاد الطويل العريض لماذا
إذا كان يلتمس العذر بعض فنقص الكرامة عذر
وفي أولات المواسم يزهر في القدس صوت الحمام
وتذهب بيارة البرتقال إلى البئر تغسل أقدامها
فالقادمون أحبتها
وهى قد كتمت دمعها ريثما يرجعون
ويبدأ فصل المطر
وتصعد في الجو رائحة الكستناء الجديد
وست البنات التي ضاجعتها الخيول
وفاض البنفسج فوق السطوح
وشيئا فشيئا فشيئا فشيئا
تدب الطراوة في الجفن يعرق ثانية
كالمراهق حين يعالج أو مني
وتعبق فيه اللزوجة والزهرات العراقية الأصل
وتمطر .. تمطر .. تمطر .. تمطر
في الحدس تمطر .. تمطر .. تمطر .. تمطر
بعد رحيل العدو يكون المطر .

نهنهني الليل

نهنهني الليل
على كتفي بستان اللوز
وكان الصمت نبي
خافتة من زمني الطفلي على البعد بكت
وتغمدني برحيم الريحان أبي
ولقد يسكنني الطل فأسكن
أو يتحرك بالرفع قميصي
أو أكسر بعض العشب
وحماري يترك في الليل مجرة حزن بيضاء
يخوض في العشب يشاركني طربي
طرب بالكون ومن لا يطرب بالكون غبي
من ظن يبدل نعلا منه بكنز
يخطئ في التعب
قرفصت لأغسل بعض الصبر على النهر
ففاضت لغة بمزامير القصب
أنا من أختم سبحان الله كتاب العشق
أيختم بالصمت على قربي

أيتها اللغة المرضع بين كرام النخل
مذ الشمس فتاة
والبدر صبي عربي يلعب بالشهب
إن كان نفاني من يتجر بالبعث العربي عما
فأيائل مكة في نسبي
أول ما يتلى في العشق وبعدي
يتلو العشاق ومن لهبي
لي في الكون حبيب
يفتح أزهار المشمش في الليل
يغازلها أو يمطر
أو يصعد في الحبب
وضعتني أمي في البستان لديه
يهجئني الورد وقالت لأبي
سأكون النذر فلم يجب
ووفى النذر
فإن مآذن شعري تتكبر أن تتزين بالذهب
تذهب في الصحو
ويعتذر الصحو إليها هو يأتي
فالصحو يحب بلاد العرب
عرب رضعوا العزة
شم .. أنف ..

لا عرب حلبوا الخنزير
فبال من الحلب
استعري يا نار . .
استعري يا نار استعري وهبي
أو فاستعري لمجرد أن تستعري
فأنا العاشق
لا أركض بين العلة والسبب
أشرفت على الرجل الباكر للنهر
ورحل حماري مملوء بنجوم الليل
وفجر يهتز بأول ما يهتز من الزغب
قلبي مبثوث بين عصافير النهر
وألتف من الشوق كما يلتف خطيء السحب
فعلى محض ذراعين من المسك
منازل أهلي
وابعداه ذراعان
هما أخطاء الكون من الخبب
كيف عبرت ولم . .
فأنا في الطرفين من النهر
كأن الكوفة في حلب
وطني أنى ينطق بالعربية صافية
من دون القطرية والكذب

وبعمق التاريخ ورفعة عين الصقر
أحن إلى الوحدة
والوحل يضاعف أن أزلق
والقاتل في طلبي
ذئب يتأسف بالأنياب
وأفعاه تلف عليه من الذنب
وضع الحرب بغير مكان الحرب
وحيث الحرب
تقلد سيفين من الخشب
أسرع نصل السلمية قبل الليل
لعل أنيسا أو صهل الشوق
فعبد الناصر في النقب
مازال يقاتل أو قدر فيه يقاتل
بالدم وبالعصب
ستتابعك الأجهزة المسعورة إياها
بمسجلة وضمير خرب
مكلوبون وحتى في النوم
يعضون من الكلب
هذا السوس فإن لم يقض عليه
تسوس كل الوطن العربي
آمنت بهذا الصاعق

في الجمر قلوب الحكام
ويضحك في اللهب
يؤخذ للتحقيق
فيخرج قد حقق أكثر أن الدولة من خشب
ويميز بين الوحدة بالشعب
وبين الوحدة بالشعب
هذي الوحدة للشعب أعنتها
فأصالح دهري
أو ظل عنان بيد أخرى
فأنا غضبي نار
ودمي نار
وأدمر من يتراجع أو يتلوى
أو يتحجب بالركب عن الركب
أطلب أن يفتح باب السجن
ويطلق من خالف في العشق
وما خالف في العفة والطرب
ولقد أنت وعدت
ووعدك لابد أبي
بالوعدة هذا طلبي
وأزيلوا اللجم
فإن المرض الأول كان لجاما

طوره النفط فصار من الذهب
عبدوا النفط إله قطريا
والنفط من الله سلاح العرب
ليكن هذا النفط فدائيا
أو ننسفه ونعيش على العزة والحطب
ولتجربة أقترح النسف الأول نجدا
أدبا للنفط فإن النفط بلا أدب
لا يسند ظهري كالسعفة
والبرق أقل كثيرا
في السحب الأخرى من سحبي
كنت بأعلى النهرين أساقي القمح
وأمسح بالثوب خدود البطل الترب
وترصدني الذيب
فقد نام الحي وكدت من التعب
ويمن الله بقافلة للشام
فتحمل لي قربي
لم أطق الصمت على ما يحدث في الشام
فأمصرت . .
ولاقتني مصر ودمعتها بين الجفن وبين الهدب
طوقت بأضرحة الشهداء
وكل ضريح يمسك بي

مصر إلى الوحدة قادمة
مصر إلى الوحدة قادمة
كلا . . نذهب نحن إليها
أم معاركنا الكبرى والزمن الخصب
وأطل الفجر أنا عدن
وحماري مما الريح بنا تعصف في عجب
لم ألق حدودا لا تختتم بالقهر
وتجمعنا جلفًا وتفتش عن سبب
بلد لا نخرج منه
بلد لا ندخله
أو ندخل بالعشق وتخرجنا الشرطة بالعطب
قسما بالخبز وبالماء وبالرطب
قسما بتراب أبى
لن أتأخر عن سيف يشهر ضد القمع
ورأس أفاعيه بنجد والناب
وثم أفاع نابان لها في الذنب
حلف أفاع يتوزع في هذا الليل
فإن شم لهيبا لزم الجحر وراقب عن قرب
أو يتوزع أجوارا أخطرها الصل بملمسه الرطب
نارك . .
نارك . .

نارك واقحم
فلقد دخلوا الكعبة للقتل
وصفي شعب بين الحجب
لغبار الأزمنة الغابرة الخصب
أمد يدا في خاتمها دمعة شوق للوحدة
من جفن المتنبي جف الأمراء وما جفت ويجفون
وتبقى الوحدة والشعب
وكأس المتنبي والعنب
صمم في أذني لكثرة ما سميت غريبا
وتداولني البين على الغرب
وصداحي يجتذب الخطر الصرف
فما أمزج بالماء العذب
أعرف أن القاتل خلف حذائي
في الشارع
في السلم
في الغرفة
في المسموح من الكتب
رحب وطني بالطير
وبالبسطاء وبالعشق وباليلب
الفطرة ليس لها من سبب
مهما اكتحل الثعلب ليس ظبي

ومن العيب تحط القومية فوق المشجب
في حفلات العرس
ونلبس في طنب
طنب عرب ليس جدالا في ذلك
والنبطية تلك أليس من العرب
أهنا في العرب النجب وهنا في العرب الجنب
قبلت عيون قوافل تخرج للشام بمحض الشوق
فما زلت أعشق حتى يكتمل العقد
بحانتها عتبي
في أكثر من سجن لي أحباب
دخلوا عن سبب أكثر من سبب
اطلب أن يطلق أحبابي
إن ليس مشاركة في الحرب
مشاركة في السد من النوب
أول حق للوحدة هذا
وأنا مثل الوحدة لا أتراجع عن طلبي
إن ركب الجو النسر سينقض شهابا
أو سجن النسر يمد الرأس من القضبان
يحدق في الشهب
وأجيء إلى صدرك يا شام
تداوين جروحي منك

وحد لساني عهدك بي
أو ليس من التعبئة العربية
ألا يترك في السجن فتى عربي
ولكي لا يلتبس المسك
فأحبابي يرفع كل زنزانته من داخلها
وينقض بملحمة الطرب .

* * *

الحركة الأولى

وتريات ليلية

في تلك الساعة من شهوات الليل
وعصافير الشوك الذهبية
تستجلي أمجاد ملوك العرب القدماء
وشجيرات البر تفيح بدفء مراهقة بدوية
يكتظ حليب اللوز ويقطر من نهديها في الليل
وأنا تحت النهدين إناء
في تلك الساعة حيث تكون الأشياء بكاء مطلق
كنت على الناقة مغمورا بنجوم الليل الأبدية
أستقبل روح الصحراء
يا هذا البدوي الضالع بالهجرات
تزود قبل الربع الخالي بقطرة ماء
كيف اندس بهذا القفص المقفل في رائحة الليل
كيف اندس كزهرة لوز بكتاب أغان صوفية
كيف اندس هناك على الغفلة مني
هذا العذب الوحشي الملتهب اللفتات
هروبا ومخاوف

يكتب فيَ
يمسح عينيه بقلبي في فلتة حزن ليلية
يا حامل مشكاة الغيب بظلمة
عينيك ترنم من لغة الأحزان
فروحي عربية
يا طير البر
أخذت حمائم روحي في الليل إلى منبع هذا الكون
وكان الخلق يفيض وكنت علي حزين
وغسلت فضاءك في روح أتعبها الطين
تعب الطين
سيرحل هذا الطين قريبا
تعب الطين
عاشر أصناف الشارع في الليل
فهم في الليل سلاطين نام بكل امرأة
خبّأ فيها من حر النخل بساتين
يا طير البرق أريد امرأة دفئا فأنا دفء
جسدا كفئا فأنا كفء
تعرق مثل مفاتيح الجنة بين يدي وآثامي
وأرى فيك بقايا العمر وأوهامي
يا طير البرق القادم من جنات النخل بأحلامي
يا حامل وحي الغسق الغامض في الشرق

على ظلمة أيامي
احمل لبلادي حين ينام الناس سلامي .
للخط الكوفي يتم صلاة الصبح بإفريز جوامعها
لشوارعها
للصبر
لعلي يتوضأ بالسيف قبيل الفجر
أنبيك عليا ما زلنا نتوضأ بالذل
ونمسح بالخرقة حد السيف
ما زلنا نتحجج بالبرد وحر الصيف
ما زالت عورة عمرو بن العاص معاصرة
وتقبح وجه التاريخ
ما زال أبو سفيان بلحيته الصفراء
يؤلب باسم اللات العصبيات القبلية
ما زالت شورى التجار ترى عثمان خليفتها
وتراك زعيم السوقية
لو جئت اليوم لحاربك الداعون إليك
وسموك شيوعيا
ياملك البرق الطائر في أحزان الروح الأبدية
كيف اندس كزهرة رؤيا
في شطحة وجد صوفية
يمسح عينيه بقلبي في غفلة وجد ليلية

يكتب في
يوقظ فيّ
ماذا يكتب فيّ
ماذا يوقظ فيّ
يا مشمش أيام الله بضحكة عينيك
ترنم من لغة القرآن فروحي عربية
هل تصل اللب
هناك النار طري
ويزيدك عمق الكشف غموضا
فالكشف طريق عدمي
وتشف بوحيك ساعات الليل الشتوي غموضا
هناك تلاقى النيران وتغتصب الكلمات
وتصبح روحي قبل العشق بثانية فوضى
وأوسد فخذ امرأة عارية
بئران من الشبق الأسود والسكر بعينيها الفاترتين
وجمرة ريا
تقطر نوما ورديا
تتهرب كالعطر وأمسكها فتذوب بكفيا
وأدس بأنفي المتحفز بين النهدين يضحكان عليا
يا طير.. أحب .. وأجهل ..
كيف.. لماذا.. من هي .. لا أعرف شيا

الحب بأن لا تعرف شيا
هل تعرف كيف يكون الشاعر بالحب
لقاء جميع الأنهار ومجنونا وخرافيا
ويهاجر في غابة ضوء من دمعته
ويموت لقاء أبديا
يشتعل الجسد الشمعي سنيا
وأرى تاريخ الشام مليا
وأكاد أقلب أوراق الكرسي الأموي
وتخنقني ريح مرة
تنفرط الكلمات وأشعر بالخوف وبالحسرة
تختلط الريح بصوت صحابي
يقرع باب معاوية ويبشر بالثورة
ويضيء الليل بسيف يوقد في المهجة جمرة
ماذا يقدح في الغيب الأزلي أطلوا . .
ماذا يقدح في الغيب . .
أسيف علي
قتلتنا الردة يا مولاي
كما قتلتك بجرح في الغرة
هذا رأس الثورة يحمل في طبق في قصر يزيد
وهذي البقعة أكثر من يوم سباياك
فيا لله وللحكام ورأس الثورة

هل عربٌ أنتم . .
ويزيد عمان على الشرفة
يستعرض أعراض عراياكم
ويوزعهن كلحم الضأن لجيش الردة
هل عرب أنتم . .
والله أنا في شك من بغداد إلى جدة
هل عرب أنتم . .
وأراكم تمتهنون الليل
على أرصفة الطرقات الموبوءة أيام الشدة
قتلتنا الردة . .
قتلتنا الردة . .
قتلتنا الردة . .
قتلتنا إن الواحد منا يحمل في الداخل ضده
من أين سندري أن صحابيا
سيقود الفتنة في الليل بإحدى زوجات محمد
من أين سندري أن الردة تخلع ثوب الأفعى
صيفا وشتاء تتجدد
أنبيك تلوث وجه العنف
وضج التاريخ دعاوى فارغة
وتجذمن لياليه
يا ملك الثوار . .

أنا أبكي بالقلب لأن الثورة يزنى فيها
والقلب تموت أمانيه
يا ملك الثوار . .
تعال بسيفك إن طواويس يزيد تبالغ في التيه
يا ملك الثوار . .
أنا في حل فالبرق تشعب في رئتيّ وأدمنت النفرة
والقلب تعذر من فرط مراميه
والقلب حمامة بر لألأها الطل
تشدو والشدو له ظل
والظل يمد المنقار لشمس الصحراء
لغة ليس يحل طلاسمها غير الضالع بالأضواء
والظل لغات خرساء
وأنا في هذي الساعة بوح أخرس
فوق مساحات خرساء
أتمنى عشقا خالص لله
وطيب فم خالص للتقبيل
وسيفا خالص للثورة
في تلك الساعة من شهوات الليل
وعصافير الشوك تفلى الأنثى بحنين
صنعتني أمي من عسل الليل بأزهار التين
تركتني فوق تراب البستان الدافئ

يحرسني حجر أخضر
وحلمت هناك بسكين
وتحرك في شفتي سحاق السكر
أين تركت نداماك حبيبي
عبروا جسر السكر وماتوا الواحد بعد الآخر
وبقيت أحدق في الخمرة وحدي
وغمست يدي وبصمت على القلب سأسكر
أسكر..
أسكر.. أسكر.. أسكر..
فالعالم مملوء بالليل
فكيف تعاتبني كيف أتوب
هل تاب النورس من ثقل جناحيه لمكسورين
وهل تاب الطيب الفاغم في رفع امرأة خائفة فأتوب
هل تاب ... من خمر الخلق
ومسح كفيه الخالقتين لكل الأوزار الحلوة في الأرض
فتلك ذنوب
تعال لبستان السر أريك الرب على أصغر برعم ورد
يتضوع من قدميه الطيب
قدماه ملوثتان بشوق ركوب الخيل
وتاء التأنيث على خفيه تذوب
ما دام هنالك ليل ذئب فالخمرة مأواي

وهذا الجسد الشبقي غريب
صنعتني ليلة حب أمي أقطر في الليل
وأسأل ثلج الإنسان متى سيذوب
تركتني فوق تراب البستان الدافئ
يجمعني الفقراء ومرغريب
يعرف قدر الزهد فأفرد حجريه لروحي
وتساقطت له ذلك مكتوب
فبكيت.. وجف الدمع زبيبا
يا طير البرق لقد أوشك ماء العمر يجف قريبا
وفتحت معابد روحي المهجورة
إذ كنت سمعتك تخفق في الليل غريبا
أيقظت الأقواس وكل حروف الزهد تناديك حبيبا
وأمنتك أن الشجن الليلي توضأ في لهيبا
ووضعت أمام سني عينيك توسل كفي
وما أبقته الأيام لدي
وأنت بآفاق الروح شروقا ومغيبا
وأخذتك للخلوة ناديتك :
يا ثقتي أسرفت عليهم بالخمر
وأغفيت وخمري تتدفق بين أصابعهم
فلماذا ثقبوا باطيتي ؟
كان الكون معافى

فلماذا أنزل نعش الحزن ليدفن في عافيتي ؟
يا طير البرق
رأيتك وهما في أفق الماضي رافق قافلتي
وتساقط في العتم الكلي سني حرفيك على رئتي
ورأيتك صحوا يتذرذر من نهدين صبيين
كان الشبق الناري يعذبني
مذ كنت حليبا دافئ في النهدين
وكانت تبكي من لذتها شفتي
يا للوحشة أنصت فستبكي لغتي
ما كدت رأيتك لا تكتب في الليل هروبك من نافذتي
لا تكتب لغة العالم في
نغرق باللغة الضائعة اليومية
كل فوانيس الله مبللة
ونجومك تلثغ بالنوم على أبواب الأبدية
وأنا ارقب أن تأتي
في غسق جن من الفيروز بزهرة دفلى
من وطني كسلام الناس رمادية
أرقب أن تنقر فوق الباب المهمل مرتبك النظرات
وتوقظ بادية العشق الزاهد في عيني
يا طير هنالك في أقصى قلبي دفنوا رابعة العدوية
وبكيت وشب الدمع لهيبا

وكشفت مقابر عمري في غسق
لتراني شوكي الشفتين غريبا
لهبي العينين كأن سماء الله تعج ذنوبا
ما كنت أنام بغير دمي عارية
في المهد ألاعبهن طروبا
كم كان إله الشهوات يقبل جسر سريري
ومددت يدي تمسك ضحكته
ما وصلت كفاي إليه وفر لعوبا
وامتلأ العمر الفارغ أحلاما برؤاك
وأمس أتيت تأخرت
فواأسفاه تأخرت
وصار رحيل القرصان إلى بحر الظلمات قريبا
يا طير البرق تأخرت
فإني أوشك أن أغلق باب العمر ورائي
أُوشك أن أخلع من وسخ الأيام حذائي
يا للوحشة أسمع
فوراء محيطات الرعب المسكونة بالغيلان
هنالك قلعة صمت
في القلعة بئر موحشة كقبور ركبن على بعض
آخر قبر يفضي بالسر إلى سجن
السجن به قفص تلتف عليه أغاريد ميتة

ويضم بقية عصفور مات قبيل ثلاثة قرون
تلكم روحي
منذ قرون دفنت روحي
منذ قرون وئدت روحي
منذ قرون كان بكائي
ابحث عن ثدي يرضعني فأنا خاوٍ
وأريد حليب امرأة بإنائي
في تلك الساعة من ساعات الليل يجوع إنائي
والكلمات يصلن لحد الإفراز
في العاشر من نيسان بكيت على أبواب الأهواز
فخذاي تشقق لحمهما من أمواس مياه الليل
أخذت حشائش برية تكتظ برائحة الشهوة
أغلقت بهن جروحي
لكن الناموس تجمع في خيط الفردوس المشدود
كنذر في رجلي
ناديت : إله البر سيكتشفوني
وسأقتل في البر الواسع
والريح على أفق (البصرة) تذروني
ويد الطين ستمسح عن جبهتي المشتاقة نيران جنوني
في العاشر من نيسان

نسيت على أبواب الأهواز عيوني
وتجمع كل ذباب الطرقات على فمي الطفل
و رأيت صبايا فارس يغسلن النهد بماء الصبح
وينتفض النهد كرأس القط من الغسل
أموت بنهد يحكم أكثر من كسرى في الليل
أموت بهن
تطلعن بخوف الطير الآمن في الماء إلى قسوة ظلى
من هذا المستربل في الليل بكل زهور النخل
تتأجج فيه الشهوة من رؤيا النخل الحامل في الليل
شبقا في لحم المرأة كالسيف العذب الفحل
من هذا الماسك كل زمام الأنهار
يسيل على الغربات كعري الصبح
يراوغ كل الطرقات المألوفة في جنات الملح
يواجه ذئبية هذا العالم لا يحمل سكينا
يا أبواب بساتين الأهواز أموت حنينا
غادرت الفردوس المحتل
كنهر يهرب من وسخ البالوعات حزينا
أحمل من وسخ الدنيا
إن النهر يظل لمجراه أمينا
إن النهر يظل يظل أمينا
إن النهر يظل أمينا

فأين امرأة توقد كل قناديلي
فالليلة تغتصب الروح حزينا
هذا طينك يا الله يموت به العمر
ويشتعل الكبريت جنونا
هذا طينك قد كثرت فيه البصمات
وأفسق فيه الوعي سنينا
هذا طينك.. طينك.. طينك
تتقاذفه الطرقات بليل المنفى والأمطار
دلتني الأشعار عليك
فكيف أدل عليك بجمرة أشعاري
جعلتني الدمعات كمنديل العرس طريا
لا أجرح خدا
خذني وامسح فانوسك في الليل
نشع بكل الأسرار
لا تلم الكافر في هذا الزمن الكافر
فالجوع أبو الكفار
مولاي أنا في صف الجوع الكافر
ما دام الصف الآخر يسجد من ثقل الأوزار
وأعيذك أن تغضب مني
أنت المطوي عليك جناحي في الأسحار
إله نجوم البحر

لقد أبحرت إليك كآخر طيرٍ في البر
وكادوا يقتنصوني
إله البحرسيكتشفوني
إله البحر ألست تشم مساحات سكاكين الدم
سيكتشفوني
سباخك يا رب الليل يشد على قدمي المتورمتين
وأقدامي تهرب في قلب عدوي صارخة
وسيكتشفوني
انقذ مطلقك الكامن في الإنسان
فإن مدى المتبقين من العصر الحجري تطاردني
أنقذني من وطني
إذ ذاك التف على جسدي الواهن روح المطلق
متشحا بالقسوة والنرجس والزمن
حملتني ريح الغيب إلى درب
تترقرق فيه بواكير الصبح
وأول عصفور زقزق في الأفق الأزرق ملتهبا
أمن . . أمن . . أمن
أيقظ خبزي
أيقظ في القرية رائحة الخبز
فغافلني تعبي والشبق المتأصل في وجوعي للإنسان
فدقوا بابا مؤصدة

ناداني صوت ما زال كخيمة عرس عربي
والصوت كذلك أنثى
والغربة حين احتضنتني أنثى
والدكة أنثى
من ذاك . . .
أجبت كنار مطفأة في السهل أنا يا وطني
من هرب هذي القرية من وطني
من ركب أقنعة لوجوه الناس وألسنة إيرانية
من هرب ذاك النهر المتجوسق بالنخل على الأهواز
أجيبوا . . فالنخلة أرض عربية
حمدانيون بويهيون سلاجقة ومماليك أجيبوا
فالنخلة أرض عربية
يا غرباء الناس بلادي كصناديق الشاي مهربة
أبكيك بلادي . . أبكيك بحجر الغرباء
وكل الحزن لدى الغرباء مذلة
إلام ستبقى يا وطني ناقلة للنفط
مدهنة بسخام الأحزان وأعلام الدول الكبرى
ونموت مذلة
إلام أنا وطن في العزلة
يا غرباء الناس أغص لأن الدمع يجرح أجفاني
في الحلم يطنيني الدمع وتأتي الأفراح كسلسلة من ذهب من كنزك

يا ملك الأنهار بقلب بلادي
أبكيك بلاد الذبح كحانوت تعرض فيه ثياب الموتى
أمتد إليك كجسرٍ من خشب الليل
وسيعبر تاريخ الغربة
كل جسور الليل تسوسن سوى جسري
أحتك بكل الجدران
كأن الغربة يا قاتلتي جرب في جلدي
أتشهى كل القطط الوسخة في الغربة
لكن نساء الغربة أسماك
تحمل رائحة الثلج وأتعبني جسدي
يا أي امرأة في الليل تداس كسلة تمر بالأقدام
تعالي فلكل امرأة جسدي
وتد عربي للثورة يا أنثى جسدي
كل الصديقين وكل زناة التاريخ العربي هنا
أرث في جسدي
أضحك ممن يغريني بالسرج
وهل يسرج في الصبح حصان وحشي
ورث الجبهة من معركة (اليرموك)
وعيناه (الحيرة) والأنهار تحارب في جسدي
قد أعشق ألف امرأة ذات اللحظة

لكني أعشق وجه امرأة واحدة في تلك اللحظة
امرأة تحمل خبزا ودموعا من بلدي
أعبر أسواق اللحم فأبكي
يا بلدي يا سوق اللحم لكل الدول الكبرى بلدي
يا بلدا يتناهشها الفرس
ويجلس فوق تنفسها الوالي العثماني
وغلمان الروم
وتحتلم (الجيتات) الصهيونية بالعقد التوراتية فيها
بلد يخرج حتى ملك الأحباش الجائف عورته في وجهك
يا بلدي !
يا بلدي ورماح بني مازن قادرة أن تفتك فيك
والكل إذا ركب الكرسي يكشر في الناس كعنترة
فتعالي . . .
تعالي نبكي الأموات ونبكي الأحياء
فأنت حزينة والحزن ثقيل في الليل
في تلك الساعة من شهوات الليل
وقرى الأهواز المسروقة من وطني
يتسلل نحو مخادعها
ملك الريح المكتوب بأقصى الصحراء
والزغب النسوي
هناك يتيه كرأس الهدهد في البرية

يكتظ عليه الدفء كجمرة ليل
وأنا فوق الجمرة مقلوب كإناء
في تلك الساعة
حيث تكون الأشياء هي الشبق المطلق
كنت على الناقة مذهولا بنجوم الليل الأبدية
أستقبل روح الصحراء
يا هذا البدوي الممعن بالهجرات
تزود للقاء الربع الخالي بقطرة ماء
يا قاتلتي بكرامة خنجرك العربي
أهاجر في القفر وخنجرك الفضي بقلبي
وأنادي عشقتني بالخنجر والهجر بلادي
ألقيت مفاتيحي في دجلة أيام الوجد
وما عاد هنالك في الغربة مفتاح يفتحني
هأنذا أتكلم من قفلي
من أقفل بالوجد وضاع على أرصفة الشام سيفهمني
من كان مخيم يقرأ فيه القرآن
بهذا المبغى العربي سيفهمني
من لم يتزود حتى الآن
وليس يزاود في كل مقاهي الثوريين سيفهمني
من لم يتقاعد كي يتفرغ للهو
سيفهم أي طقوس للسرية في لغتي

وسيعرف كل الأرقام وكل الشهداء وكل الأسماء
وطني علمني أن أقرأ كل الأشياء
وطني علمني . .
علمني أن حروف التاريخ مزورة
حين تكون بدون دماء
وطني علمني أن التاريخ البشري بدون الحب
عويل ونكاح في الصحراء
وطني هل أنت بلاد الأعداء ؟
وطني هل أنت بقية (داحس والغبراء) ؟
وطني أنقذني رائحة الجوع البشري مخيفة
وطني أنقذني من مدن سرقت فرحي
أنقذني من مدن يصبح فيها الناس مداخن للزبل مخيفة
أنقذني من مدن ترقد في الماء الآسن
كالجاموس الوطني وتجتر الجيفة
أنقذني كضريح نبي مسروق
في هذي الساعة في وطني
تجتمع الأشعار كعشب النهر
وترضع في غفوات البر صغار النوق
يا وطني المعروض كنجمة صبح في السوق
في العلب الليلية يبكون عليك
ويستكمل بعض الثوار رجولتهم

ويهزون على الطبلة والبوق
أولئك أعداؤك يا وطني
من باع فلسطين سوى أعدائك أولئك يا وطني
من باع فلسطين وأثرى بالله
سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام
ومائدة الدول الكبرى؟
فإذا أجن الليل
تدق الأكواب بأن القدس عروس عروبتنا
أهلا أهلا
من باع فلسطين سوى الثوار الكتبة ؟
أقسمت بأعناق أباريق الخمر وما في الكاس من السم
وهذا الثوري المتخم بالصدف البحري ببيروت
تكرش حتى عاد بلا رقبة
أقسمت بتاريخ الجوع ويوم السغبة
لن يبقى عربي واحد إن بقيت حالتنا هذي الحالة
بين حكومات الكسبة
القدس عروس عروبتكم
فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها
ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب
لصرخات بكارتها
وسحبتم كل خناجركم

وتنافختم شرفا
وصرختم فيها أن تسكت صونا للعرض
فما أشرفكم
أولاد القحبة هل تسكت مغتصبة
أولاد القحبة
لست خجولا حين أصارحكم بحقيقتكم
أن حظيرة خنزير أطهر من أطهركم
تتحرك دكة غسل الموتى أما أنتم
لا تهتز لكم قصبة
الآن أعريكم
في كل عواصم هذا البلد العربي قتلتم فرحي
في كل زقاق أجد الأزلام أمامي
أصبحت أحاذر حتى الهاتف
حتى الحيطان وحتى الأطفال
أقيء لهذا الأسلوب الفج
وفي بلد عربي كان مجود مكتوب من أمي
يتأخر في أورقة الدولة شهرين قمريين
تعالوا نتحاكم قدام الصحراء العربية كي تحكم فينا
أعترف الآن أمام الصحراء
بأني مبتذل وبذيء وحزين
كهزيمتكم يا شرفاء مهزومين

ويا حكاما مهزومين
ويا جمهورا مهزوما
ما أوسخنا ما أوسخنا ما أوسخنا ونكابر
ما أوسخنا
لا أستثني أحدا
هل تعترفون
أنا قلت بذيء
رغم بنفسجة الحزن
وإيماض صلاة الماء على سكري
وجنوني للضحك بأخلاق الشارع والثكنات
ولحس الفخذ الملصق في باب الملهى
يا جمهور في الليل يداوم في قبو مؤسسة الحزن
سنصبح نحن يهود التاريخ
ونعوي في الصحراء بلا مأوى
هل وطن تحكمه الأفخاذ الملكية
هذا وطن أم مبغى
هل أرض هذي الكرة الأرضية أم وكر ذئاب
ماذا يدعى القصف الأمي على هانوي
ماذا يدعى سمة العصر وتعريض الطرق السلمية
ماذا يدعى استمناء الوضع العربي أمام مشاريع السلم
وشرب الأنخاب مع السافل (فورد)

ماذا يدعى أن تتقنع بالدين وجو التجار الأمويين
ماذا يدعى الدولاب الدمي ببغداد
ماذا تدعى الجلسات الصوفية في الأمم المتحدة
ماذا يدعى إرسال الجيش الإيراني إلى (قابوس)
وقابوس هذا سلطان وطني جدا
لا تربطه رابطة ببريطانيا العظمى
وخلافا لأبيه ولد المذكور من المهد ديمقراطيًا
ولذاك تسامح في لبس النعل وضع النظارات
فكان إن اعترفت بمآثره الجامعة العربية يحفظها الله
وإحدى صحف الامبريالية
قد نشرت عرض سفير عربي
يتصرف كالمومس في أحضان الجنرالات
وقدام حفاة (صلالة)
ولمن لا يعرف أن الشركات النفطية
في الثكنات هناك يراجع قدرته العقلية
ماذا يدعى هذا
ماذا يدعى أخذ الجزية في القرن العشرين
ماذا تدعى تبرئة الملك المرتكب السفلس
في التاريخ العربي
ولا يشرب إلا بجماجم أطفال البقعة
أصرخ فيكم

أصرخ أين شهامتكم
إن كنتم عربًا .. بشرًا .. حيوانات
فالذئبة حتى الذئبة تحرس نطفتها
والكلبة تحرس نطفتها
والنملة تعتز بثقب الأرض
وأما أنتم فالقدس عروس عروبتكم
أهلا ..
القدس عروس عروبتكم
فلماذا أدخلتم كل السيلانات إلى حجرتها
ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب
لصرخات بكارتها
وسحبتم كل خناجركم
وتنافختم شرفًا
وصرختم فيها أن تسكت صونًا للعرض
فأي قرون أنتم
أولاد قراد الخيل كفاكم صخبًا
خلوها دامية في الشمس بلا قابلة
ستشد ضفائرها وتقيء الحمل عليكم
ستقيء الحمل على عزتكم
ستقيء الحمل على أصوات إذاعتكم
ستقيء الحمل عليكم بيتًا بيتًا

وستغرز أصبعها في أعينكم
أنتم مغتصبي
حملتم أسلحة تطلق للخلف
وثرثرتم ورقصتم كالدببة
كوني عاقر أي أرض فلسطين فهذا الحمل مخيف
كوني عاقر يا أم الشهداء من الآن
فهذا الحمل من الأعداء
دميم ومخيف
لن تتلقح تلك الأرض بغير اللغة العربية
يا أمراء الغزو فموتوا
سيكون خرابًا .. سيكون خرابًا
سيكون خرابًا
هذي الأمة لابد لها أن تأخذ درسًا في التخريب .

الحركة الثانية

في تلك الساعة
حيث تكون الرغبة
فحل حمام في جبل مهجور
وأضم جناحيّ الناريين
على تلك الأحجية السرية
وأريج التفاح الوحشي
يعض كذئب ممتلئ باللذة
كنت أجوب الحزن البشري الأعمى
كالسرطان البحري
كأني في وجدي الأزلي محيط يحلم آلاف الأعوام
ويرمي الأصداف على الساحل
كم أخجلني من نفسي
هذا الهذيان المسرف بالوجع الأممي
فإني أتنبأ أن بذور اللذة مدت ألسنة خضراء وشفرات
في رحم الكون
وأعطت جملا أبدية
مولاي . . . .

لقد عاد حمام الجبل المهجور يمارس عادته النهرية
هل تعرف عادته النهرية ؟؟
وأما أنت
فأصحرت بلا أي علامات أو أي صوى
وعرفتك لا تنوي الرجعة
فالقلب تعلم غربته وتعلم بالبرق
تعلم ألا ينضج كل النضج
فيسقط بالطعم الحلو
ويسقط فيه الطعم الحلو
وأرهف وامتنع النوم عليه لأبواق الأزلية
عرف المفتاح الكامن في القفل
وما يربطه بالقفل الكامن في المفتاح
فباحت كل الأشياء
وتضرج قلبي بالأنباء
يا هذا البدوي المسرف بالهجرات
لقد ثقل الداء
قتر ريقك لليل فلابد لهذا الليل دليل
يعرف درب الآبار ويقنع بالحدو الناقة بالصحراء
يا هذا البدوي تزود واشرب ما شئت
فهذا آخر عهدك بالماء
من يخبر روحي أن تطفئ فانوس العشق

وتغلق هذا الشباك
فإن غبار الليل تعرى كالطفل
وإن مساحات خضراء احترقت في الوعي
فأوقدت ثقابا أزرق في تلك النيران الخضراء
لعلي في النار أرى ولعل اللحظة تعرفني
من ذلك يأتي بين النث
وبين عواء الذئب
وبين هروبي النخل
يرافقني نصف الدرب
وبعد النصف . . .
يقول يرافقني
ناديت بكلتا أذنيّ
فأيقظت مجاهيل الصحراء
رأتني في الطين أعدل من قدمي الملوية
والغيلان الإيرانية تقترب الآن من القدم الملوية
و الأضواء افترستني
أمسكت على الطين لأعرف أين أنا
في آخر ساعات العمر رفعت الطين إلى الرب
بهذا الطين تقربت إليه
فأفرد عاصفتيه
وكانت قبضته تشتعل الآن بنيران سوداء

وكان المطر الآن صياحا
وانطبقت كل الأبعاد
وصرت كأني صفر في الريح
وصلت إلى باب النخل
دخلت على النخل
فأعطتني إحدى النخلات نشيجا عربيا
وعرفت بأن النخلة تعرفني
وعرفت بأن النخلة في عربستان
انتظرتني قبل الله
لتسأل إن كان الزمن المغبرَ يغيرها
قلت : حزنت
فأطبق صمت وبكى النخل
وكانت سفن في آخر شط العرب
احتفلت بوصولي
ودعني النوتي وكان تنوخيا
تتوجع في اللكنة
قال إلى أين الهجرة
فارتبك الخزرج والأوس بقلبي
ومسحت التنقيط من الحدس لئلا يقرأني الدرب
وسيطر سلطان نعاس الصبح
فجاء الله إلى الحلم

وجاء حسين الأهوازى يفتش عن دعوته
جاء النخل
وجاء التعذيب
وجاءت قدمي الملوية في الطين
وزاغ الجرح
وطارت في عتمات القلب فراشات حمراء
وأشجان حزبية قد شحنت بالحزن وبالنار
نزلت إلى ذاتي في بطء
آلمني الجرح
مددت بساقي
خرجت قدمي كالرعب من الحلم
وكان لإبهامى عين حمراء
تحس برودة ماء الكارون
وهذا أول نهر عربي في قائمة المسروقات
وشم الذئب الشاهنشاهي دمي
شم الذئب دمي
شم دمي
سال لعاب الذئب على قدمي
ركض البستان
وكان . . . على أصغر برعم ورد
ناديت عليه ستقتل . . . فاركض

ركض . . . . الدرب . . النخل . . الطين . .
وأبواب صفيح تشبه حلم فقير
فتحت
ووجدت فوانيس الفلاحين
تعين على الموت حصان يحتضر
عيناه تضيئان بضوء خافت فوق أنوف الفلاحين
وتنطفآن
وينشج لو مات على الريح
وبين نثيث الضوء البري
لكان الموت سيحتضر
غطى شعب الفلاحين فوانيس الليل
برايات تعبق بالثورات المنسية
فاستيقظت الخيل
وروحي كالدرع ائتلقت
على جسر البرق المهجور انتظروا
وصرخت إلهي
هؤلاء الفلاحون كم انتظروا
علمهم ذاك حسين الأهوازى
من القرن الرابع للهجرة
علمهم علم الشعب على ضوء الفانوس
ولا والله على ضوء الظلمة

كان حسين الأهوازى
بوجه لا يتقن إلا الجرأة والنشوة بالأرض
وقال انتشروا
فانتشروا
كسروا الأنهار كسورا مؤلمة برضاها
أشاعوا الظلمة والأوحال وراء النخلة
وانتشروا
لفوا جسدي بدثار زركش بالطير
وأورثهم إياه حفاة الزنج
فقلت
لقد علمهم ذاك حسين الأهوازى
عشية يوم في القرن الرابع للهجرة
كيف نسينا القرن الرابع للهجرة
كيف نسينا التاريخ
دخان الأمل
أطلق فلاح في أقصى الحنطة نارا
فانقضت كل وطاويط الشاه هناك
وكانت قدمي الملوية قد تركت بقعا خضراء
من الدم المخلص
واستجوبت الأحجار فلم ينطق حجر
كيف نسينا التاريخ

كيف نسينا المستقبل
كان القرن الرابع للهجرة فلاحا
يطلق في أقصى الحنطة نارا
تلك شيوعية هذي الأرض
وكان الله معي يمسح عن قدمي الطين
فقلت
اشهد أني من بعض شيوعية هذي الأرض
ودب بجفني الخدر
وغفوت وكان الفلاحون يردون غطائي فوقي
في العاشر من نيسان تفرد عشقي
أتقنت تعاليم الأهوازى
ووحدت النخلة
والله وفلاحا يفتح نار الثورة
في حقل الفجر تكامل عشقي
ما عدت أطيق تعاليم المخصيين
تفردت نشرت جناحي في فجرحدؤس
ووقفت أمام القرن الرابع للهجرة
تلميذا في الصف الأول
يحمل دفتره
يفترش الأرض
ويعرف كيف تكلم عيسى في المهد

فإن الثورة تحكي في المهد
ويسمع صوت السدم النارية تبدأ بالخلق
اللهم ابتدئ التخريب الآن
فإن خرابا بالحق بناء بالحق
وهذا زمن لا يشبه إلا القرن الرابع
أو ما سمي كفرا زندقة
أوأدرج في الفتن
في طهران وقفت أمام الغول
تناوبني بالسوط وبالأحذية الضخمة
عشرة جلادين
وكان كبير الجلادين له عينان
كبيتي نمل أبيض مطفأتين
وشعر خنازير ينبت من منخاريه
وفي شفتيه مخاط من كلمات
كان يقطرها في أذني
ويسألني من أنت
خجلت أقول له
قاومت الاستعمار فشردني وطني
غامت عيناي من التعذيب
رأيت النخلة ذات النخلة
والنهر المتجوسق بالله على الأهواز

وأصبح شط العرب الآن قريبا مني
والله كذلك كان هنا
واحتشد الفلاحون علي
وبينهم كان علي وأبو ذر
والأهوازى ولوممبا
أوجيفارا أوماركس أو ماو لا أتذكر .
فالثوار لهم وجه واحد في روحي
غامت عيناي من التعذيب
تشقق لحمي تحت السوط
فحط علي رأسي في حجريه
وقال تحمل فتحملت
وجاء الحزب وقال تحمل
فتحملت
و النخلة قالت
والأنهر قالت
فتحملت تحملت
وشق الجمع
وهبت نسمات أعرف كيف أفيق عليها
بين الغيبوبة والصحو
تماوج وجه فلسطين
فهذي المتكبرة الثاكل

تحضر كيف يعذب أي غريب
أسندني الصبر المعجز في عينيها
فنهضت
وقفت أمام الجلاد
بصقت عليه من الأنف إلى القدمين
فدقت رأسي ثانية بالأرض
وجيء بكرسي حفرت هوة رعب فيه
ومزقت الأثواب علي
ابتسم الجلاد كأن عناكب قد هربت
أمسكني من كتفي وقال
على هذا الكرسي خصينا بضع رفاق
فاعترف الآن
على هذا الكرسي
اعترف الآن
اعترف الآن
اعترف اعترف اعترف الآن
عرقت
وأحسست بأوجاع في كل مكان من جسدي
اعترف الآن
وأحسست بأوجاع في الحائط
أوجاع في الغابات

وفي الأنهار
وفي الإنسان الأول
اللهم
انقذ مطلقك الكامن في الإنسان
توجهت إلى المطلق في ثقة
كان أبوذر خلف زجاج الشباك المقفل
يزرع في شجاعته فرفضت
رفضت . . رفضت . . رفضت
وكانت أمي واقفة قدام الشعب بصمت
فرفضت
اعترف الآن . . اعترف الآن
رفضت وأطبقت فمي
فالشعب أمانة في عنق الثوري
رفضت
تقلص وجه الجلادين
وقالوا في صوت أجوف
نتركك الليلة
راجع نفسك أدركت اللعبة
في اليوم التاسع كفوا عن تعذيبي
نزعوا القيد
فجاء اللحم مع القيد

أرادوا أن أتعهد أن لا أتسلل ثانية للأهواز
صعد النخل بقلبي
صعدت إحدى النخلات
بعيدا أعلى من كل النخلات
تسند قلبي فوق السعف كعذق
من يصل القلب الآن
قدمي في السجن وقلبي بين عذوق النخل
وقلت بقلبي إياك
فللشاعر ألف جواز في الشعر
ألف جواز أن يتسلل للأهواز
يا قلبي عشق الأرض جواز
وأبو ذر وحسين الأهوازى وأمي
والشيب من الدوران ورائي
من سجن الشاه إلى سجن الصحراء
إلى المنفى الربذي جوازي
وهناك مسافة وعي بين دخول الطبل
على العمق السمفوني
وبين خروج الطبل الساذج في الجاز
ووقفت
وكنت من اللّه قريبا .

* * *

وما هم ولكنه العشق

هام لم يدر متى أطفأه الشوق
وأين احترقا
سنة ما بين كأسين
غفا ثم صحا
واغتبقا
سقطت زهرة لوز عفة في كأسه
أجمرت عيناه شوقا
وتلظى شبقا
تركت من تاجها في غمرة غيمة تغرق
فاستل إليه الغرقا
تطرق الحانة في أطرافه حزنا
فإن حدق صارت حدقا
عرف الدنيا طريقا بين كأسين
فشق الدمع في خديه منها طرقا
صحبهم ناموا على أعناقهم
وغدوا من طاولات الخمر إلا رمقا
وهو ينضو بين أعناق القناني عنقا

وبعينيه يلم الغسقا
يدفع الكأس لكفي خله
ربما ينشر
فالقنينة الكبرى اشرأبت
والضحى بالباب رش الحبقا
يا مويلاي على الصمت نداماها ثقالا غادروا
مزق تسحب منهم مزقا
لا تمت لسنا قناني عرق فارغة
يقذفها الدهر
بنا قد سكر الدهر
وقطرناه في كأس الليالي
عرقا
ثمل الله بنا
مما فهمنا أدب الشرب
وأنهينا القناني
حيرة في لغزة سماره كنا
وكان الأرقا
سيدي . .
مولاي . .
لا تعف . . تأمل زهرة اللوز
أمن ربعية ملت

أنا الأيام لم تقدر على رأسي
وقد يثبت رأس قلقا
إن أكن أطبقت جفني داخلي
وإذا كأسي مالت
فكما البلبل ينساب أنيقا للسقا
يا لكأسي وجبين الصبح
كم مالا على بعضهما
ليس في الحانة غيري
وأخو الفتنة من أياهم يكتبني
أنا يا عر . . انقلاب أبيض
من عرق
قطره الدهر فمن أنت ؟
ومن فوقك ؟
أو فوقكما
سبحانه ماذا من الوردة ناسا
ومن القذار ناسا خلقا
طائر اللذة ملقى بين ضلعيك
سجينا
خذ رشيفات وحرره قليلا
ربما يشتاق من نافذة الحانة لله
ويغري الأفقا

أنا لم أشرك ولم ألق سوى الحانة هذي
أغلق الأبواب في وجهي مرارا وطني
وأظن الغربة الخرقاء
تستكثر منها كوة
اصرخ منها ألمي فحشتها خرقا
رب سامحهم وإن لم يسكروا
كيف يشتاق إلى خمرة جناتك
من لا يعرف الخمر ويشتاق صباياها
إذا كان هنا ما عشقا
هائم لم أدر ما أسر الشوق وماذا أعتقا
سقطت زهرة لوز غيمة في قدحي هذا النقا
أسمع القبرة الصفراء
تنعانا تمط الأفقا
يا خطايا . . يا خطايا
كم كبير هذه الأيام من كان خطايا
أنا منهم توبتني لم أنكسر
إلا لتقبيل نهيد نزقا .

* * *

أيها القبطان

اسقنيها وافضحي في الملاما
بلغت نشوتها الخمرة
في خديك
نثر الورد في كأس الندامى
وروت مبسم ورد
نزع التاج وألقاه بأرواح السكارى
بمعان نزعت ألفاظها
وقف العشق على كفيه مجنونا من النشوة
والعود ارتخت أوتاره
واللحن قاما
وانتضاني ضائع اللّب
بعيني من السكر دم العصفور
والجفن انكسارات الخزامى
جسدي مرتعش بالطّل
أنضوه كأني أفعوان
ترك الثوب السمومي
على ضكة نهديك ضراما

متعب
أبصم إن حسستني جسمي
فإني لست ألقاه
وإن قد اشتعل الليل أنينا وسقاما
ربما يقوى على حملي إلى بيت تعودت على فقدانه
ألقاه في عيني
وأغفوه
كأن الكون ناما
رسموا بحرا من الحبر وحطوا مركبا فيه
ويا غافل يا أنت لك اللّه
ركبنا
فوجدنا نفسنا في ورق الرسم
بلا صوت
ومشطوبين بالأحمر
والقبطان مشروخا إلى كعبيه بالذل
ادفعني
ومضى يفتك بالنسوة في قمرته العليا
اهتماما بالجماهير والفخذ اعتصاما
أيها القبطان زورا
ليس بالمركب والبحر ثقوب
إنما أنت هو الثقب

ولن يمنحك البحر احتراما
تدعي المركب هيهات
ومن أين ولم تبحر
وتاريخك وحل
ودم النوتية الأمجاد في عنقك
أصبحت على البحر إماما
اسقنيها لم يزل للبحر في رأسي دوي
والمدى لعبة أطفال بكفي
وتقي أشربها
راحاتها استغفرت اللّه لنا
والعود يلتف
كمن يعتصر الروح ضراما
اسقنيها وفدى خفيك من يشرب خمرا
وهو لا يعرف للخمر مقاما
أيها الشارب إن لم تك شفافا رقيقا
كزجاج الكأس لا تدخل طقوس السكر
والكينونة الكبرى فسوء الخمر يؤذي
بينما يقتل سوء الخلق
فاشربها كريما دمثا
تطمع أنّ النار تستثني الكراما
قارب الأيام ته بي

وتهني
فأنا أسمع تيها غامض البعد
وزار البحر من خلفي
وضعيني إماما
ابتعد عن أيّ شاطئ أيها النذر الشبوبي
بمقدار نوايا الشمع
نعط البحر بقشيشا
من الماء إضافيا
وطعما وغماما
أنت أنت المركب النشوان
ألواحا ومجدافا وروحا
تتهادى في نشيج الموت والطير
وصمت المطلق السيني
يا سيني يا سيني
يا سرا من الأسرار حققت الزمان الضد
غصنا فارعا بالورد
ممشوقا غلاما
كاشفا عن فخذيك الجبروتين أفادت من الرز
وصمت القصب الفيروزبادي
وكل امرأة تسندها
تسمع أصوت الغرانيق

وجيش الزنج
تنضم
وتعطيك الزماما
أينه وعد الذين استضعفوا في الأرض
والركض إلى المسلخ يوميا
أنا أصرخ يا رب التفت للناس
ما هذي القيادات المنافيخ فراغا
تشتكي من سوء هضم
داخل المخ
وتجتر نياما
أنا سكران بمن تخلقهم من نطفة اللوز
ونطق الكسل الصيفي
سكران بمن
يا رب يا تدري بمن
يا تدري بمن يا تدري بمن
قابض راحتي على جمرة كأسي
بهدوء ورضى
أمنح دنياي على علاتها أقمار زرقاء
ونارا وخياما
لم أزل أرجع للكتّاب والختمة والقرآن طفلا
دائما ألقاك في شارعنا الفرعي

تأويني من الصيف العراقي
بثوبيك
وتتلو صبر أيوب على وجهي
ولكني مهووس غراما
ببيوت أذن اللّه أن يذكر فيها
وكثيرا هيمتني (ألم نشرح)
(والضحى)
يا أخت هارون وإلا أمّك قد كانت بغيا
زكريا
وسليمان بن خاطر كان صديقًا . . .
وإماما
قبل القبر بأكياد
فهذا الهرم الطفل احتوى أسرار مصر كلّها
وأقانيم خلود الروح والطوفان والطود
أما كان كليم اللّه
في رابية الطود
وناداه سليمان بن خاطر
طهّر البيت من الأرجاس وانزل أرض مصر
حذر الأحزاب من دوامة السلطة
والنصفية العاهر
بلغها بأن اللّه لا يقبل إلا بالبواريد السلاما

يا صراخ الكوة السوداء يا يحيى نبي اللّه
سالومي تؤدي رقصة الموت
وألقت آخر الأشياء للستر
على استقلال مصر
والمزامير وصوت النقر من بيت رئيس الجيش
صلّ ركعة الموت
فإن الرأس مطلوب
ولم تصح الجماهير تماما
اسقنيها لا يزال الليل يشتدّ واشتد
ولا يبدو على الأفق دليل
ربما كلّت من الخيبة عيني
وأضافت ظلمات أو يروغ الأفق إمعانا بشيء
إنما أبصر من عين الذين استضعفوا
إن أطبقت كل المقادير جهاما
انا سكران بمن تخلقهم
من نطفة طاهرة
مثل مياه الصبح
في الخد قناديل من المسك
وفي العين شرود الظبي في الصحراء
أنا سكران بمن
يا رب يا تدري بمن

لامني الحب على الحب فأغويت الملاما
أمسك الصحب السكارى
ليل ردني
سقط الزر عليهم قمرا
وتدلى سلما خيط حرير
إلى حصته من قدمي
صار يلتف بروجا
أي كون بين كأسي ويدي
رب لا تغضب فإني استضعفوا
يأخذ الترتيل بالآية لبي
فإذا ما بسملت شاحنه بالحزن والبارود
سجلت على حاشية القرآن اسما
يشبه التفسير فعلا وكلاما
شاحنات للذين استضعفوا أهدافها شتى
فيا حضرة كتاب التقارير
تشيطنت
ولم أذكر نظاما
رافعا فردة سباطي كالهاتف
كي أشتمهم
يا أخوات الـ .
قُطِعَ الخطّ ولم أُكملُ مراسيم احترامي

ربما بالفردة الأخرى
أرادوا الاحتراما
اسقينها ودعي سبابتي الحمقاء تستفتح بالنهد
ولا أدري الختاما
إنني صب
أسمي كل ما يسلب لبي خمرة
إن كان حسنا
أو قراح الماء من كف كريم
أو حزاما ناسفا
أو بيت شعر أو مداما

* * *

يوميات عرس الانتفاضة

بدأ الصمت
والطرقات الصغيرة
حطت على كتفها صبرها
والدموع المباركة الزُرق
كانت تضيء البيوت
أمام الغروب العظيم
ورياح السمٰوات
تمسح زرقتها بالغسل
فما زال من بقع الدم
نجمات عشق تضيء وتخبو
كأن يبرق الدم شفرته
عبر كل الزمان
كأن الجريمة تمت بمدخل نابلس
كانت جموع الأفاعي الدميمة
تسحبهم في الظلام العظيم
الجريمة تمت بمدخل نابلس
تلك الجريمة تمت بمدخل نابلس

نابلس . . نابلس
تلك الجريمة تمت بمدخل نابلس
كانت حقول من اللوز
تغرق في الصمغ
لشتات . . هنا دفنوهم
لقد بقي الطين ينبض حتى الصباح
ولم يملأ أعينهم
أصبح الطين ينظر من أعينهم
وابتدأت كل عين كحبة زيتون
تدفع الأرض
طين رحيم كرب رحيم
ليلتف ولد الأفاعي
فكل فتى في المخيم
يعرف كيف يدوس رؤوس الأفاعي
لكل حجارته
فتية الوطن العربي
حجار كثير بأوطاننا
فانهضوا للأفاعي
بأشيائها الركب قاطبة
حجر فوق أفعى هنا
هو أيضًا على رأس أفعى هناك

أرادوا جحيما بمقدار ما يشتهون
بمقدار ما نشتهيهم
نعم . . وليعم الجحيم
ارم رب الحجر
ارم
شلت مدرعة تحت صليات عينيك
تلتف نابضٍ نار رشيقا
فما حجر طاش
من أين هذي الرشاقة للقدر الضخم
أم أنت مما صبرت نحت القدر
قف
كأنك تزلزل ظهر الزمان
بمقلاعك الأرض ثقلا
ووجهك بين دخان الدوالي
أسطع من شمس تموز
تقحم أو تراجع مثل تخفي القمر
لا تحدق بكل مرارة روحك
غربا وشرقا
فإن الهزيمة ترفع أوقاتها
نحن شعبك أنت
ولسنا شعوبا لهم

شعبك أنت بكل جمالك
وجّه ولا تتوجه
بزيف نصائحهم
عجزوا إذا قدرت
أزحهم وأيقظ حجار الجحيم
فإن تآمرهم ضد وعي الحجارة
لا يغتفر .

* * *

براءة الأم

يا بني ظلعك من رجيته
لظلعي جبرته وبنيته
يا بني خذني لعرظ صدرك
واحسب الشيب اللي من عمرك جنيته
يا بني طش العمى بعيني
وجيتك بعين القلب أدبي على الدرب المشيته
شيلة العلاقة يا بني
تذكر جتوفي بلعب عمرك عليهن
سنة وكفوفك وردتين على رأسي
وبيج أناغي كل فرح عمري النسيته
يا بني شوفك يبعث الماي الزلال بعودي وأحيا
وأنا ميتة
أبيض عيونك لبن صدري
وسواد عيونك الليل اللي عد مهدك بجيته
وابنك التوه يناغي الخرز بالكاروك يا بني
قتله لا تخاف اليتم جده
اللي ما مش ابه عده الحزب بوه الحزب بيته

قتله يا بن وليدي من يجبر على الأيام
تلقى حزام أبوك الماطواني وما طويته
تلقى منه خطوط أظمهن حدر ظلعي
لحد ما موت بعز على السر الحويته
يا عمد بيتي وقمر ليلي
وربيع الشيب والعمر الجنيته
جيت أهزك يا عمد بيتي
يكون الدهر ظعظع عظم منك للمذلة للخيانة
وساومت جرحك على الخسة وخفيته
يا بني خلي الجرح ينطف
خله يرعف
خله ينزف
يا بني الجرح اليرفض شداده
علم ثوار يرفرف
يا بني ابن الجلب يرضع من حليبي
ولا ابن يشمر لي خبزة من البراءة
يا بني ياكلني الجرب عظم ولحم
وتموت عيني ولا الدناءة
يا بني هاى أيام يفرزنها القحط أيام محنة
يا بني لا تثلم شرفنا
يا بني يا وليدي البراءة تظل مدى الأيام عفنة

تدري يا بني بكل براءة
كل شهيد من الشعب ينعاد دفنه
وخلي إيدك على شيبي
واحلف بطاهر حليبي
قطرة قطرة
وبنظر عيني العميته
قلبي ما ينهار اسمى و أنت أمي وذاك حزبي
وحزب أبوي المالواني وما لويته
قلبي ما أهدم حزب بيدي بنيته

* * *

براءة الأخت

خوي قابلت السجن

حر وبرد ليلي ونهاري

تحملت لأجلك شتايم على عرظي

وأشعلت بالليل ناري

تالي تهتكني بخلق وصلة جريدة

قرة عيونك ياخويه بهاي جازيت انتظاري

بهاي أقابل كل اخت تنتظر منك ثار ياخوي لعرظها

بهاي أقابل أمهات الناس وهمومي أفظها

جنت أرظى تدوس بعظامي

وقلك حيل رظها

جنت أرظى تذبح بطني جنيني

ولا براءة عار متبرقع تجيني

ولا تكون القاع تبلعني ش خبرالناس

والينشد شقله

شلون عيني تجابس عيون المحلة

شلون أوصفك وانت كلك عار وذلة

بعد مالك أرظ ويانا وخبز

لا تصل يمنا وهاك آخذ عار الجريدة
ولف ظميرك والكرامة
وعار يذلنا
مثل ما تبريت من شعبك تبرينا من اسمك
يا شعب هذا التشوفه موش ابنا .

❊ ❊ ❊

موت العصافير على دكة مولاي أبي الليل

يا مسيل الفرس الزرقاء في روح الغسق
وعلى سرجك ينثال رماد الليل والغمد
موشى بعراكات العصافير
وفجر المشمش الأزرق مسترخ على راحة أقدامك
ووراء القمر الفج
أوت كل العصافير إلى جمجمة الحجاج
لم تعثر على جذوة تهديد
وأعينها تهتز صغيرات بأقصى محجريه الثقفيين
غدا كل العصافير تموت
وأنا من سيفك إني أفق نخل بارد
هذا الصبا
أين البيوت
وأنا اصرخ في وادي الأباطير وقاعات المماليك
بان الشمس زرقاء على مئذنة العمر تموت
والعصافير على دكةِ مولاي تموت
أنت في بستان أحلامك بين الخمر والريحان
والعمر قد فارق على ناقة حزن للرحيل

ما ترى أنا رحلنا بعد يافا
نحمل الخيمة في ليل الجليل
وغدا أي الحكومات ترى تذبحنا
عذرا لمولاها الذي خلف الجبل
يا أبا الليل أفق
فالطل غطى حاجبيك النبويين
وقد مات من الجوع الجمل
أين بيسان تغطيك من الحمى وتسقيك الزهرات
فبيسان وإن قد سرقوا منها قفير النحل
ما زالت تبيع البرتقالات العتيقة
تحمل السلة ملأى بالزرازير
التي قد وسخت مئذنة الله العتيقة
والبواريد التي صارت من الصمت
أنابيب لتصرف الوساخات عتيقة
والزعامات العتيقة
وأرى ذيبا
أرى الشام غزالا راكضا في المسك
لا يحلم إلا أن كعبا سيعدون الجبل
فرسي وراء الجبل
وأرى حسان ما زال على شاربه المسكي
من خمر الشمال

أيها القاطع إغفاء الزرازير
ونوم البلبل النخلي في الفجر
وغفوة البرتقال
ها تثاءبت وقد هومك الوجد إلى أهلك
والنوم بعينيك زوايا
خذ لبيسان حكايا البشوات المستجدين
لكي تصنع للسواح لعبات جريح عربي وهدايا
قل لها كل الحكايا
فإذا ما حزنت عند وجاق النار
فارو من نكات الشعب في مصر
وخبرها بأن النكت الآن مرايا .

* * *

وأنسج كبادية من قطا
عصفت بها الذئاب والليل
عن السلطنة المتوكلية
والدراويش ودخول الفرس

أتيت الشام
أحمل قرط بغداد السبية
بين أيدي الفرس والغلمان
مجروحا على فرس من النسب
قصدت المسجد الأموي
لم أعثر على أحد من العرب
فقلت أرى يزيد
لعله ندم على قتل الحسين
وجدته ثملا
وجيش الروم في حلب
فرشت كرامتي البيضاء في خمارة لليل
صليت الشجى
وقرأت فاتحة على الشهداء بالعبرية الفصحى

فضج ألحان بالأفخاذ والطرب
خرجت إلى الضحى متلفتا حذرا
فألفيت العمائم آية الكرسي
تعلوها بتنقيط من الذهب
صرخت بحارة الفقراء
خلف مخيم اليرموك
يدعوكم ابو ذر الى عقد اجتماع جائع
لتدارس الأوضاع .

* * *

الاتهام

اتهم واقتحم وبغير المنايا البنادق لا تلتزم
قل أنا البندقية لست يزيدا ولا المعتصم
تدلهم أعرف ادلهمي ستبرق إذا تدلهم
وتطوي طربا على نارها حيث لم يستقم
شد صلبك بالبندقية يشتد..
أم الجبائر هذي وأم العزم
واقتحم واقتحم أو فأنت الذي اتهم
إن لحمك من لحم سيفك
فاضرب بمذبحة يلتهمونك أوتلتهم
إنما الرجل البندقية لا يستريح ولا يحتلم
مقدم البندقية نعم المبيت ونعم الرحم
راهنوك على دمعتي أمة أصنع الدهر من دمهم
وارمه وانتقم
مالنا والطلاسم والحظ
انهض إلى حربة أكملت وعيها نحتكم
لا تقوم الجسور ولا تستقيم إذا كان بناؤها ينهدم
اقتحم واحترق

لا تسلم عنانك للأشعري ولا تنزلق
أوثقت بمن بمواقفه لا يثق
ربما خدعتك المقاييس
كل بتاريخه يلتصق
قتلتنا الرتوق
فهذي الرتوق وما بلغت تنفتق
العراة السكاكين منهم أنا
لا الرتوق ولا ثوب ذل خلق
اقتحم..
ذئب خزي بلحم الجماهير في مصرنا يهتدم
أبشع العهر عهر هرم
ما غريب يقبل دعر عزيزته
نسب سافل يلتحم
الغريب الغريب تأخرا أسيافنا والذي نعتزم
طلقة والقرار لمصر
فمصر التي لعروبتها تنتقم
اقتحم ..
أنسيت بأنهم شنقوق لأنهم أنزلوك من المشنقة
إنهم حلقة
لا تصدق دعاة بدون بنادقهم
فأنا كنت في تلكم المحرقة

إنه العصر كل بحجم بنادقه
وهنالك من حجمهم بطنهم وشعارهم الملعقة
أيها القانعون بما تحتهم وطنا ومعالقهم ملصقة
البنادق ثم البنادق ثم البنادق
والخطوة الواثقة
لا أخاف عدوا يواجهنا
بل عدوا بنا اسمه القمع والسلطة المطلقة
نياشين دم الضحايا على صدرهم زنبقة
شعبنا من الخطب الخانقة
أي شعب تنادون للحرب
أى السجون على أمةِ مطبقة
اتركوا الشعب يعمل وفق أساليبه
فأساليبهم لا الديانات منها ولا الهرطقة
حضر الكركدن على قمعكم والتفاسير والحرتقة
إن من يغلقون السجون على الناس
لا يفتحون على القدس أبوابها المغلقة
اقتحم واسحب السلسلة
تجد الحل جزءا من اللغز
واللغز جزءاً من الحل والمعضلة
الذئاب هم قادة القافلة
فإذا أكلوك لعشق قضيتهم

أو أكلوها بدعوى لأجلك ما المشكلة
نحن في سلة المهملات إذا انتصروا
وإذا هزموا حملونا هزيمتهم كاملة
أيها الوطن المبتلى بالقيادات خنثى ومسترجلة
نفذ المهزلة
والتحم واقتحم بيدٍ قد برتها البنادق
عن وحشة جوعها يبتسم
إن هذي يدا تبدأ الخير من طلقة وبها اتسم
أطبقوا وحدة البندقية
وحدة أعدائكم تنهزم .

* * *

بالخمر وبالحزن فؤادي

عسل الورد الخامل ريقك
والنهدان أراجيف دفوف لئلاء
أهتز كما يهتزان
أحد من الشفرة طبعي
ورقيق ماء
أوسخ طين سيدتي ينبت فلا إن لقي الحب
وأطيب طين لا ينبت حين يساء
مسكون بالغربة
يجري الفيروز بأوردتي حزنا
هل تسمح سيدتي أنساب إلى جانبها
ليس علي سوى برد العمر رداء
دوريات الإخصاء تجوب الشارع
أغرب شيء . .
أي فم يفتح . .
فورا يجري التخدير ويخصى
ما هذا الصمت المتحرك بالشارع إلا إخصاء
جئتك من كل منافي العمر

أنام على نفسي من تعبي
ما عدت أزور فنارا
البحر تخرب
يحتاج البحر إلى إصلاح
والغرق الآن هو الميناء
مازلت على طاولة الحانة لست أعي
إلا ثملي بالكون
فالبعض على طاولة أخرى للسكر بدم المخلوقات
أنا .. هذي طاولتي
يقرأني من يرغب حسب ثقافته في العشق
وقد يخطئ لا أستاء
يا من تسعل من كل مكان إلا حلقك
البرد شنيع وقضيت الليل تراقبني
العرب الأعراب من البحر إلى البحر بخير
وسجون ممتعة
إسرائيل ترش علينا ماء الورد من الجو
وأنت تراقبني
ما أجمل هذا المنظر
إسرائيل ترش وأنت تراقبني
مبسوط .. ؟
مبسوط لا شك

أنا واللّه كذلك جدا

شكرا . . ولدي رجاء

اكتب ما شئت لمن شئت بما شئت

ووجهك للحائط أرجوك

تشكيلة وجهك تزعجني

عفوا لا أقصد جرحك في شيء

هل ظل هنالك ما يجرح فيك

ولكن خطأ في خطأ تشكيلة وجهك

يا رب لماذا الأخطاء

أنت مصر يا سيد تزعجني

هل آذيتك في شيء

أنزلت مرتبك الشهري

سبقتك في طابور الخبز

إن كنت بهذا التقرير توفر خبز عيالك

سيشبون حراما

أو كنت تريد شراء حذاء

أنت وتقريرك والراتب يا دوب حذاء

أهل الحانة ناموا

سامحني لأنصرف الآن

فؤادي مملوء بالخمر وبالحزن

بي شوق أتمرغ بالرمل

ورائحة البطيخ بشاطئ دجلة
سامحني إن كنت أسأت فما قصدي
نفق القلب . .
أعشق ألقاك غدا في الحانة إنسانا
تقدر يا سيد إن أنت تشاء
فرشت وفي قلبي الحانة
مرتعش بالمطر الفضي
كهر فقد المأوى
أتمسح بالأبواب
أقوس ظهري الثلجي
برأسي مشغل ماس منتظر شحنة نهدك
والعمر يباب
مولاي . . لقد نام ملوك الأرض وغلقت الأبواب
تنثرني الريح قبيل شجيرات الشارع والثلج
مطاعم آخر ساعات الليل تضيء هنا وهناك
تلكأ وجهي . .
أسمع طفلا يثغو في المهد
وأسمعه يثغو . .
يا رب يشب له وطنا
فأنا عشت بلا وطن
وأنا أعرف كيف يعيش الزرع السائب في الماء

ويشتاق إلى أي تراب
عصفور في الشباك الضالع في نومك
زقزق في زخرفة الشامي
وأغمض عينيه على أقدام أغنية غناها
رئتاي امتلأت دمعا
يوما ما . .
شغل الدنيا بالعشق
ولم يلق سوى الصيادين جواب
هرم الصيد
هرم الصيادون
ومازال العصفور كما كان يزقزق
كان يقول . .
إن مر حزين آخر ساعات الليل
كأن العصفور يقول له مساء الفل تأخرت
أقول صباح الخير لقد طلع الفجر
وبغداد تقوم الآن من الحلم بدون ثياب
تمسح بالطل وزرقة قبل الفجر مفاتنها
تدخل عند اللّه وتخرج بالشمس والشاي
البصري الموجع بالنعناع
شواطئ دجلة ما زالت نائمة
والسيد قد نسي التقرير على طاولة الخمر وغادر

مكتوب في التقرير
أن الخمرة سيئة
السيد كذاب
السيد كذاب
حتى في الخمرة يا سيد تكذب؟!!
حتى في الخمرة يا سيد تكذب؟!!

* * *

إلى الضابط الشهيد
ابن مصر العربية الذى فجر إحدى
الطائرات الامريكية ومزق بعدئذ زخات الرصاص

ليس بين الرصاص مسافة
أنت مصر التى تتحدى
وهذا هو الوعي حد الخرافة
تفيض . . وأنت من النيل تخبره
إن تأخر موسمه والجفاف أتم اصطفافه
وأعلن فيك حساب الجماهير
ماذا سيسقط من طبقات تسمى احتلال البلاد ضيافة
ولست قتيل نظام يكشف عن عورتيه فقط
بل قتيل الجميع
ولست أبرئ إلا الذى يحمل البندقية قلبا
ويطوى عليها شغافة
لقد قبضوا كلهم
وأحطهم من يدافع عن قبضة المال
مدعيا أنها الماركسية أم العرافة

رسالة حربية عاشقة

نداء إلى الطيارين العرب ما زال مفتوحا

في الليل تسلل
حمل طائرة الفجر قنابل وهلاهل
نفذ عشقك
أخرج عن أمر قياداتك
خذ في الجو طريقا مشبوها تعرفه وأنا أعرفه
وجماهير الأمة في عين الحلوة تعرفه
امرق سهما منتصرا
امرق نسرا شامخا منتحرا
اخترق الجبن الرسمي
الآن.. الآن العاصمة الإسرائيلية تحتك
من أخذوا رضع عين الحلوة تحتك
من قصف الدامور
من أحرق صور
من أمطر آلاف قنابله العنقودية في أرنون وخلدة تحتك
من دفن النبطية فلم تدفن
بالضبط هو الآن هنالك تحتك

افتح أبواب جهنم يا نسر
رشاشاتك يا نسر
حبك للدنيا . .
غضبك
ألهب أحزانك . .
غربتك المرة في صمت العالم
نارك
العب لعبتك الربانية على عنق مدافعهم
وتأرجح نشوانا . . نشوانا . . نشوانا
مثل سكارى العالم قاطبة بين قذائفهم
نفذ نارك
يا الله ننفذ أقدارك
يا نسر إذا حاصرك الأعداء
يا نسر إذا لم يبق لديك قنابل
يا نسر إذا حان لقاء الله
خل جبين الطائرة الفذة نحو الأرض
تماما نحو الأرض
خذ سرعتك القصوى
دمر أي مكان في العاصمة الإسرائيلية واستشهد
فالله سيلقاك قبيل وصول الأرض
أو أنت وصلت احتضنتك فلسطين

الخوازيق

لله ما تلد البنادق من قيامة
إن جاع سيدها وكف عن القمامة
إن هب نفح مساومات كان قاحلا قاتلا
لا ماء فيه ولا علامة
هو والسلاح المكفهر دعامة
حتى إذا نفذ الرصاص هو الدعامة
قاسى فلم يتدخلوا
حتى إذا شهر السلاح
تدخل المبغى ليمنعه اقتحامه
لا يا قحاب سياسة
خلوه صائم موحشا فوق الزناد
فإن جنته صيامه
قالوا مراحل
قولوا قبضنا سعرها سلفا
ونقتسم الغرامة
لكن أرى غيبا بأعمدة الخيام
تعبث الأحقاد فيه جهنما

وتحجرت فيه الغلامة

حشد من الأثداء ميسرة تمج دما

وحلق في اليمين لمجهض دمه أمامه

حتى قلامة أظفر كسرت

ستجرح قلب ظالما

فما تنسى القلامة

وأرى خوازيقا صنعن على مقاييس الملوك

وليس في ملك وخازوق ملامة

لله ما تذر البنادق حاكمين مؤخرات في الهواء

ورأسهم مثل النعامة

ودم فدائي بخط النار يلتهم الجيوش

كما الصراط المستقيم به اعتدال واستقامة

لم ينعطف خل على خل كما سبابة فوق الزناد

عشي معركة الكرامة

نسبي إليكم أيها المستفردون

وليس من مستفرد في عصرنا إلا الكرامة

* * *

باب الكون

لا توقدا الليلة في وحواصل الأزقة الرطبة
غير الدمع والسلاح
وأخرجوا أطفالكم قلائدا حزينة
تطوق الدم الفدائي المباح
وللرضيع تؤخذ التعاويذ
من الثوب المرقط الشجاع
يشرئب خنجرا قراح
عقارب الساعة تعطي زمنا آخر
غير هذا الزمن الرديء
كأنما تقحم مفرزة من الرماح
وفجرت فأنصت الزمان كله
واتسعت مساحة الكفاح
ترتطم الدهور والتابوت هذا مثلما بارجة
قد رفعت مدفعها تواجه الأقدار والرياح
حشد الجماهير الذي يحملها لقبرها تحمله لفجره
دم الشهيد واسع الجناح
مخطئة أنظمة السفاح
مخطئة . . لا يقهر الفدائي ولا يزاح
إذا أراد احتدمت جهنم لأكثر من طاقتها
بلى . . فحرر السلاح أولا

فأولا يحرر السلاح
مخطئة أنظمة المخابرات
ليس تنطفئ النجوم بالرصاص والظلام والنباح
وليس يمرض الفدائي
سوى من قائد به انفتاح
أعرف منهم واحدا
صلت على أذياله من خلفه الرياح
لا توقدوا الليلة في بيت الشهيد أي شيء
فالجراح وحدها تضيء فوق رأسه
ووحدها لا تنطفئ الجراح
لم يزل القرار تحت جفنه مفتحا
ولم تزل سبابة اليمين صلية
والقلب ثابتا كأن مهرا ثابتا على الجماح
أضاف نبضه للأرض كي تسرع في مهامها
وأول المهام حقله
وآخر المهام حقله
يفتح باب الكون للصداح
ها هي بيسان على أهدابه
في خده
في شفتيه
في جبينه تنتظر الصباح

* * *

سلفيني..

ذابت السنوات الفتية في هدأة النهر
لم أحتجز زورقا لهذي الصباحات
ذات القميص المنشى
لكم يجرح الروح هذا
بحد النشاء الوثير جرحت.. لماذا
لماذا تضيفين جرحا بسيطا ؟
لماذا تضيفين قطرة طل ؟
على قدح تتفايض تسقي الندامى
خذيني إلي مركز اللوز فاتحة ذراعيك
والزنبق البدوي المعافى
كأن المجاذيف عاجزة
امسك البرق ..
اكشف عن فخذي للضباب
اسلوهما
آه أنت هما
إنه صحوهما ورذاذهما
والرطوبة بين السفرجل أنت.. وأنت وأنت

كما غابة ضيعت عندليب
وأنت المرايا
تلم زوايا العطور وغير الزوايا
ووجهك توا تنضى من السلفان الرخيم
وألب في لبه القلب كل النوايا
واستغفر الله إطباقة الفم إغفاءة الله بين الخطايا
ونهد تركز تركيزة الأقحوانة
مثل الخروج إلى غزوة طافحا
والدخول الوثير إلى حانة دمثا
ملكا للتأمل ركب التكايا
أنا متعب سلفيني رداءك ومشبك شعرك
أجمع حزني وطمت السنين الخوالي
وكأسا له رشفتان إضافيتان تلم شتائي
وتثبت سكري بهذا الطريق
أحب الطريق
وتزعجني باب خمارة أغلقت
ونوافذ دائرة الأمن
لم يبق من أحدٍ لم ينم غيرنا ليلة البارحة
لا أزال أراقب هذي الشبابيك
ليس لشيء أريد أبول
ألا تستحي ابنة الكد.. من نقطتين ومن شارحة

مسكوني ثانية بملابسي الداخلية فوق الحكومة
لم يرحموا رغبتي الجارحة
مطر.. مطر.. مطر
قطة فوق سور الحديقة تقرأ وجهي وتمسحه
والمذيع المسائي يلقي النفايات مبتسما
نشيد.. فقرة من خطاب الرئيس العتيد
سورة الفاتحة
ملك من له الآن زاوية يتجمع فيها ويرضع ربعية
يترك الباب منفتحا ليس من أحد
إنما يترك الباب مفتوحة ربما
ربما يأتي الحزن يمشط
تأتي الحديقة تكوي ملابسها
ربما نهدها يشتهي ليلة البارحة
ربما يشتهي أن يراها النور
جدب.. أمطري
أتشهى ثيابك فوق السرير النسائي
أركان قواتك العربية
حزن الحوار الصباحي..
تدلف فيه العصافير
تأخذ بعض الفتات

وتقلب بعض الأواني
مطلق خدري جمرة غفوتي
والزمان نساني
تمر المباهج في ضجة لا تراني
تمر القيامة ثم تلفت نحوي
أنا عاشق يا قيامة
وبين عشق وعشق كثير ثواني
إذا لم أجد زورقا للهيام
أهيم كل المواني
ومن أين دفتر عمري انتهى
أشترى زورقا
أستدين
وأبحر سدا لكل الديون
إلا من يسلفني ورقا والسداد أغاني
الأمس وجه الزوارق
أدعو رحيلا عظيما لمن يملكون زوارقهم
إنه الشوق. . آه هو الشوق
آه هو الذي لا يتوازن
فكيف اتزان .

* * *

بيان سياسي

ليست تسوية أو لا تسوية
بل منظور رؤوس الأموال
ومنظور الفقراء
أعرف حقا من يركض من تاريخ الغربة والجوع بعينيه
وأعرف أمراض التخمة
يمكنني أن أذكر بعض الأسماء
لن تصبح أرض فلسطين لأجل سماسرة أرضين
وإن حمي الاستمناء
لا تخشوا أحدا في الحق
فما يلبس حق نصف رداء
ليس مقاتلٌ من يدخل نجد بأسلحة فاسدة أو يجبن
فالثورة ليست خيمة فصل للقوات
ولا تكية سلم للجبناء
إياكم أبناء الجوع
فتلك وكالة غوث أخرى
أسلحة فاسدة أخرى
تقسيم آخر

لا نخدع ثانية بالمحور أو بالحلفاء
فالوطن الآن على مفترق الطرقات
وأقصد كل الوطن العربي
فإما وطن واحد
أو وطن أشلاء
لكن مهما كان فلا تحتربوا
فالمرحلة الآن لبذل الجهد مع المخدوعين
وكشف وجوده الأعداء
المرحلة الآن لتعبئة الشعب إلى أقصاه
وكشف الطباخين وأي حفاة طبخوا بالوعد وبالماء
وهذي مرحلة ليس تطول
وأول سيف يشهر ضد الثورة مشبوه
عن سابع ظهرمن كل الفرقاء
لا تنسوا أن سلاح (الكحالة) ضد فلسطين
جزء أو أجزاء
كشف البطل اللعبة
أما التفتيش فما كشف شيئا في الأشياء
تتوحم هذي الرجعية ليل نهار
فلا تنسوا تزييت بنادقكم
أيلول الأسود ما زال هنا يتربص بالأنحاء .

* * *

ندامى

اسقنيها لأوة أجمل عاما
بلغت نشوتها الخمرة في خديك
نثر الورد في كأس الندامى
فبسطت الراح كي آخذ حظي
وبعيني من السكر انكسارات الخزامى
قاربي تاه وأطبقت له جفني
ابتعد ته جيدا
ما عاشق من لم يته فيها وهاما
كل بحار عتيق يشرك الدفة بالسكر
ويرخي جفنه لليل
نم يا ليل أنا لم نناما
ته . .
ته وهذي رشفة علمني البحارة العشاق ميناء الليالي
ها أنا امضي ولا أسمع من سفر في ساقية
يشكو من البحر الغراما
دفعوا في دهرهم أحزانهم
وأنا آخذ أحزاني

ولما قارنوا أغمضت جفني على البحر
وسلمت على الطحلب والصمت احتراما
أنت والصحب السكارى عطر ردني
سقط الزر عليهم قمرا
وتدلى سلما خيط حرير
مس من طاولة الخمرة أعصابا
سكارى نحن واللوحة هذه
والكراسي والقناني
ليس صاحب بيننا إلا أخ السكر الكلاما
إن تمادت راحتي في عزفها الأسود
في شعرك يا سيدتي
أقدامي لم يعجبها هذا اللحن
والأنغام لم تأت كما الآن انسجاما
أيها الصحب مفاتيحي على آخرها
أسكتوا أورتاركم
أعزف وحدي
أو تكونوا وترا أنكم في حالتي
يترك العود رمادا وضراما
كم مغن تاه في الخمر
أنا الخمرة أعطتني اهتماما
آه من رخص المغنين

احترم صمتي
لم أعد أغني غير في أقذر حنات الأسى
هيا بكأس يا رفاق الحانة الأولى
خذوا قلبي
اعزفوا لحنا على خاطركم
والذي أقرب للباب
يسلملي على الصحو سلاما
لم أعد أمزج خمري غير بالخمر
فمن دجلة أولا
لم أجد ماء وسكرا رعيا مثلهما في الذماما

* * *

باللون الرمادي

دمشق عدت بلا حزني ولا فرحي يقودني شبح مضنى إلى شبح
ضيعت منك طريقا كنت أعرفه سكران مغمضة عيني من الطفح
أصابح الليل مصلوبا على جسد لم أدر أي خفايا حسنة قدحي
أسى حرير شامي يداعبه إبريق خمر عراقيّ شج نضح
دفعت روحي على روحي فباعدني نهدان عن جنة في موسم لقح
أذكى فضائحه لثما فيطردني شدا إليه غرير غير مفتضح
تستقرئ الغيب كفي في تحسّسه كريزة فوق ماء ريّق مرح
يا لانحدار بطيء أخمص رخص ولارتفاع سريع طافح طمح
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه نهد عليّ ونهد كان في سرح
هذا يطاعنني حتى أموت له وذاك يمسح خدي بالهوى السمح
كأن زهرة لوز في تفتحها تمجّ في قبضتي بالعنبر السمح
دمشق عدت وقلبي كله قرح وأين كان غريب غير ذي قرح
هذي الحقيبة عادت وحدها وطني ورحلة العمر عادت وحدها قدحي
أصابح الليل مصلوبا على أمل أن لا أموت غريبا ميتة الشبح
يا جنة مر فيها اللّه ذات ضحى لعل فيها نواسيا على قدحي
فحار زيتونها ما بين خضرته وخضرة الليل والكاسات والملح
لقد سكرت من الدنيا ويوقظني ما كان من عنب فيها ومن بلح
تهر خلفي كلاب الليل ناهشة أطراف ثوبي على عظم من المنح
ضحكت منها ومني فهي يقتلها سعارها وأنا يغتالني فرحي





فهرس الديوان

فهرس الديوان

الموضوع	الصفحة
* تقديم ودراسة	٥
* ثلاث أمنيات على بوابة السنة الجديدة	٦٣
* صرة الفقراء المملوؤة بالمتفجرات	٦٦
* اعترافتان فى الليل والإقدام على ثالثة	٧٤
* في الرياح السيئة يعتمد القلب	٧٩
* البقاع ، البقاع	٨٨
* الرحلات القصية	١١٢
* المساورة أمام الباب الثانى	١١٨
* المسلخ الدولى ، باب أبواب الابجدية	١٢٤
* ليس بين الرصاص مسافة	١٣١
* بحار البحارين	١٣٣
* بنفسج الضباب	١٦١
* آر . بي جي سفن	١٦٥
* ترنيمات استيقظت ذات يوم	١٦٨
* تل الزعتر	١٨٥
* دوامة النورس الحزين	٢٠٤

الموضوع	الصفحة

* رباعيات ٢٠٨
* طلقة ثم الحدث ٢١٠
* عبد الله الإرهابي ٢٢٨
* عروس السفائن ٢٥١
* فتى اسمه حسن ٢٧٠
* في الحانة القديمة ٢٨٤
* قراءة في دفتر المطر ٢٨٨
* كيف نبني السفينة في غياب المصابيح والقمر ٢٩٩
* قل هي البندقية أنت ٣٢٠
* جزر الملح ٣٢٣
* مرثية لأنهار من الحبر الجميل ٣٣٨
* من الدفتر السري الخصوصي لإمام المغنيين ٣٤١
* نهنهني الليل ٣٨١
* وتريات ليلية / الحركة الأولى ٣٩١
* الحركة الثانية ٤١٧
* وماهم ولكنه العشق ٤٣٠
* أيها القبطان ٤٣٤
* يوميات عرس الانتفاضة ٤٤٣
* براءة الأم ٤٤٧
* براءة الأخت ٤٥٠

الموضوع	الصفحة
* موت العصافير على دكة مولاي أبي الليل	٤٥٢
* عن السلطنة المتوكلية والدراويش ودخول الفرس	٤٥٥
* الاتهام	٤٥٧
* بالخمر وبالحزن فؤادي	٤٦١
* إلى الضابط الشهيد	٤٦٧
* رسالة حربية عاشقة	٤٦٨
* الخوازيق	٤٧٠
* باب الكون	٤٧٢
* سلفيني	٤٧٤
* بيان سياسي	٤٧٨
* ندامى	٤٨٠
* باللون الرمادي	٤٨٣
* فهرس الديوان	٤٨٥

تم الصف والإخراج الفني
بمركز الصفا للكمبيوتر
مصر - منية سمنود - دقهلية
ت : ٠٥٠٦٤٩٢١٧٨ محمول : ٠١٢٧٥١١٠٠٣